

# دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى

العدد الثالث. السنة الرابعة
رجب 1380 دجنبر 1960
ثمن العدد: درهم واحد

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

# دعوة الحق

العدد الثالث
السنة الرابعة
رجب 1380
دجنبر 1960

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب


## صورة الغلاف



موكب صاحب الجلالة والرئيس جمال عبد الناصر يجتاز احد شوارع الدار البيضاء في حماس منقطع النظير

## بيانات إدارية


تبعث المقالات بالعنــوان التالــي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقــاف ـ الرباط ـ المغــرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فــأكثــر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

لدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعــوة الحــق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الربــاط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعــوة الحــق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقــاف ـ الرباط ـ المغــرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئــات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خــاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشــر

المجلة مستعدة لنشــر الاعلانات الثقافيــة .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الــى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الربــاط
تليفون 308.10 ـ الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة العدد

# الثقافة والمثل الأعلى

**يعيش** المغرب فى الوقت الحاضر مرحلة ثقافية ضحلة ليس فيها انتاج فكري او ثقافي رفيع يمكن لنا ان نفاخر به ؛ ولا مجال هنا الى تعداد العوامل التي يعدها بعض الناس مسئولة عن هذا التوقف الفكري الذي نعانيه ، ربما كان صحيحا ان الوظيفة تستاثر بالنخبة المثقفة من شعبنا وتستبد بكل وقتها ولا تترك لها مجالا تحقق فيه اثارا جيدة جديرة بالخلود ، وربما كان صحيحا ان الجمهور المغربي المثقف ذاته لا يقبل على القراءة ولا يشجع بالتالي المفكرين الذين تراودهم الرغبة فى الانتاج ويانسون من انفسهم القدرة عليه ، قد يكون هذا كله صحيحا لولا اننا نريد ان نتجاوزه الى القاء ضوء على الواقع الحقيقي الذي يعيش عليه الفكر المغربي هذا الواقع الذي يعطل فى راينا كل خلق وابداع اذا لم نبادر باصلاحه والوقوف على العناصر الضرورية الحيوية التي تنقصه.

لقد انسحب الاستعمار من المغرب تاركا وراءه اتجاهين او طرازين من التفكير ، الطراز الاول تمثله طائفة من الناس ترى ان تراثنا الاسلامي العربي يغنينا عن اي اقتباس من الغرب وتعتقد ان ذاتية الامة العربية ينبوع ثر يمكن للمرء ان يستقي منه ما يشاء دون اللجوء الى عون خارجي ودون الارتماء فى احضان اية ثقافة او مدنية اخرى ، اما الطراز الثاني فتمثله طائفة تذهب هي الاخرى مذهبا قصيا اذ يتراءى لها انه ليس بالامكان ان تحيا الحياة

الحقة ولا ان نبدع الابداع الصحيح الا بالسير في ركاب الحضارة الغربية وطرح هذه التقاليد والافكار والعادات التي ورثناها عن تراث لم تعد له سوى قيمة تاريخية محض .

ان وراء الموقف الاول وان كان يبدو فيه تصلب وجمود رغبة صادقة في المحافظة على كياننا ومميزات شخصيتنا ، وان وراء الموقف الثاني وان كانت تبدو عليه مسحة من اليأس والانهيار ميلا الى الاخذ بالاساليب الحديثة في الخلق والابداع.

بيد ان الذي تجدر الاشارة اليه ــ ما دمنا في بداية الطريق وما دمنا لم نتجاوز مرحلة التفكير الصامت الى مرحلة العمل الجاد ــ هو ان نذكر جمهور المثقفين في بلادنا بعنصر هام لابد منه ليس فقط لبناء نهضة سليمة بل ولكي نستلهم منه القوة والحماس على البناء ونستمد منه صور الابداع ومعاني الخلق ، انه المثل الاعلى الذي نرمقه ونتطلع اليه . لقد كان الاستعمار الذي منيت به الامة العربية بمختلف الوانه يركز اهتمامه ويوجه كل فعاليته للقضاء على الشخصية الفذة التي تتميز بها هذه الامة ، فلقد ادرك منذ الوهلة الاولى التي بدا يتغلغل فيها في بلادنا ان لهذا الشعب تراثا وحضارة وقيما خالدة ومثلا عليا ؛ لذلك بيت الخطة واعد العدة لتجريد هذه الامة من شخصيتها واقامة سد منيع بينها وبين تاريخها الحافل بالامجاد والذكريات ؛ على هذا الاساس كان الاستعمار يرسم برامج التعليم ، وعلى هذا الاساس كانت تحارب اللغة العربية ؛ وعلى هذا الاساس حيل بيننا وبين الاتصال باخواننا العرب ، ولكن هل كان للاستعمار ما اراد ؟ ان الشخصية التي اراد الاستعمار تحطيمها هي الشخصية ذاتها التي حطمت الاستعمار . ومع ذلك فلسنا مكابرين حتى نزعم باننا خرجنا من هذه المعركة سالمين كل السلامة فما زلنا نعاني من آثار المعركة ما نعاني، وما زلنا نرفع عن شخصيتنا ما تراكم عليها من انقاض، ونعتقد ان عمل المخلصين الذين يريدون ازدهارا لهذه الامة في مختلف الميادين ينبغي ان ينحصر في تنقية الشخصية المغربية من رواسب الاستعمار والتخلف وربط هذه الشخصية بالمثل الاعلى الذي علقنا عليها وجودنا في الحياة منذ ان كان لنا وجود ، المثل الاعلى الذي ظل خلال حقب التاريخ المديدة يجول في ضمير امتنا وايمانها ، ويفجر امكانياتها في الخلق والابداع .

لن نبتدع شيئا جديدا اذا قلنا ان مثلنا الاعلى كامن كله في الرسالة الخالدة التي حملها العرب ، رسالة الاسلام ، وما رسالة الاسلام سوى هذه الآية الكريمة التي يتفتق مضمونها عن اروع مثل اعلى (اني جاعل في الارض خليفة) فكان الانسان العربي والمسلم بوجه عام ما وجد الا ليحقق صورة الله على الارض ؛ ان هذا الكمال المرموق هو الذي ظل ينفخ في العرب روح الحرية ، روح الاعتزاز بالحرية والاصرار على التشبث بها ؛ بل ان هذه الروح هي التي تلقي ضوءا على ضروب الشجاعة والبطولة التي عرف بها العرب وتعطي معنى للكفاح الطويل المرير الذي خاضته الامة العربية ضد الاستعمار من اجل التحرر والانعتاق .

،، ا المثل هو الذي جعل العربي يحرص اكثر من غيره على القيم الخلقية السا،  • القيم التي لا تشوبها مصلحة ولا يداخلها نفع ، القيـم التـي تتجاوز الثروه  ُجاه وتتجاوز حتى المعرفة (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

ومن هذا المثل الاعلى ايضا كان اعتقاد العرب انهم خير امة اخرجت للناس ، واختارها الله لا لينقل بها ارادته الى هذا العالم ، بـل ليحقـق بها هـذه الارادة ؛ فنصرة الضعيف ، وحماية المظلوم ، وعدم التميز بين الناس ، في العرق والدين واللغة كلها مبادىء كانت تلهب حماس الانسان العربي وتدفعه الى القيام باروع البطولات لانها كانت تتجاوب مع مثله الاعلى الذي علق عليه كل وجوده ووقف حياتـه كلهـا لتحقيقـه .

ليـس معنى كلامنا هذا ان الامة العربية ليـست في حاجة الى الاقتباس ، ان الامة العربية خلال تاريخها الطويل لم تنكمش على نفسها ، بل ان عبقريتها تجلت في تمثلها لحضارات مختلفة نتج عنها تركيب نوعي جديد يختلف عن العناصر التـي كونته واسهمت فيه ، وذلك لسبب بسيط هو ان الحضارة العربيـة كانت دومـا نسيجـا متجددا يتم حول نواة ثابتة خالدة هي المثل الاعلى الذي حدد نظرة العرب الى الوجود .

ان الاتصال والاقتباس ليسا سوى تجاوب حي مع المرحلة التاريخية الحاضرة وليسا سوى تفاعل ضروري مع التجارب الانسانية ، والامة التي تريد ان تعطـي لابـد ان تأخـذ .

دعوض الحق

# خطاب حضرة صاحب الجلالة

## بمناسبة افتتاح مؤتمر القمة بالدار البيضاء

منذ ان ابتليت قارتنا الافريقية بالاستعمار ، وهي تعاني من ويلاته الامرين ، فهو اما يسومها سوء العذاب بالفتك بابنائها ، وحرمانهم من ابسط الحقوق الانسانية ، والحيلولة بينهم وبين الاندراج في معارج الرقي والتقدم ، الى جانب استحواذه على ما تزخر به قارتهم من كنوز وثروات ، او يدس لها ويكيده ويمشي بين طبقاتها بالوقيعة ، مؤلبا هذا الجانب على ذاك ، ومحرضا فريقا على آخر ، سعيا منه في تمزيق شمل الوحدة وتفكيك عرى التضامن ، وهو في كل الاحوال يسلك نحو الجميع سياسة عنصرية مقيتة ، جاعلا من بلادنا ميدانا لتجربة اسلحته الجهنمية الفتاكة .

وقد سنحت الفرصة لكثير من الاقطار الافريقية فتحررت بفضل كفاحها من اغلاله ، واندفعت في حزم وايمان تصلح حالها ، وتبني مستقبلها ، وترأب ما انصدع من وحدتها ، لكن عز على الاستعمار ان يراها منهمكة في اعمال التشييد والبناء ، فجنح من جديد الى عرقلة جهودها ، وبث الاشواك في طريقها ، متسترا تارة وكاشفا عن وجهه طورا .

ولما لم يرعو الاستعمار عن غيه ، بل تمادى في مكره وصلفه في غلو وعناد ، كان لابد من اتخاذ انجع الوسائل لايقافه عند حده ، واحباط خططه ، وفضح مؤامراته ودسائسه ، ولهذا ارتأى جلالة الملك اعزه الله ـ وهو الموفق السديد الرأي ـ ان يدعو زمرة من اخوانه رؤساء الدول الافريقية المتحررة الناهضة لعقد اجتماع في مستوى عال ، تبحث فيه الوسائل العملية الكفيلة بان تدرأ عن قارتنا الافريقية اخطار الاستعمار في شكليه القديم والجديد ، وتعزز جانب الوحدة الافريقية ، وتزيد اواصر التضامن الافريقي قوة ومتانة واحكاما .

وقد استجاب الاقطاب الافارقة لهذه الدعوة الملكية الكريمة ، فانعقد مؤتمر القمة بمدينة الدار البيضاء من يوم الاربعاء 16 رجب 1380 الى يوم السبت 19 منه ( 4 ـ 7 يناير 1961 ) وافتتح جلالة الملك جلسات المؤتمر بالخطاب التالي :

أصحاب الفخامة

أصحاب المعالي

حضرات السادة

يسرنا ان نرحب بكم في مملكتنا ، ونعبر لكم عما نشعر به نحن وشعبنا وحكومتنا من فرح وارتياح بوجودكم بين ظهرانينا ، وما نعلقه من آمال على هذا الاجتماع الذي تتطلع جميع الشعوب المحبة للحرية والسلام الى أن يسفر عن نتائج ايجابية لصالح التحرر الافريقي والسلم العالمي .

لقد كان يودنا ان يكون نطاق هذا المؤتمر أوسع ، فتشترك فيه جميع الدول الافريقية ، لان معركة افريقيا واحدة ، ومصيرها واحد ، ومطامح شعوبها وأهدافها مطامح وأهداف مشتركة بينها جميعا ، ولكن خطورة الحالة الراهنة في الكونغو ، وما تكتسيه مجابهتها من صبغة استعجالية ، جعلت الحضور فيه قاصرا علينا : نحن الذين كنا في طليعة الدول التي قبلت تحمل مسؤوليات مباشرة عظيمة في ذلك القطر ، وظهر من خلال نشاطنا الديبلوماسي داخل منظمة الامم وخارجها ما بيننا من انسجام في السياسة ، ووحدة في الرأي ، وتجانس في الموقف ، وتحرر من التبعيات ، واننا نستهدف أهدافا افريقية محضة ، ونعمل لتحرير قارتنا من مختلف أشكال النفوذ الاجنبي تحريرا حقيقيا .

## الاستعمار يتزيا بزي جديد في الكونغو

لقد استعاد شعب الكونغو استقلاله يوم فاتح يوليوز الماضي بفضل كفاحه ومؤازرة الشعوب الافريقية له ، ووقوفها الى جانبه في نضاله ؛ ويوم التحق بركب الدول المتحررة ، غمرت الفرحة قلوب جميع الافارقة ، وقويت آمالهم بتحرر الاقطار التي ما تزال مستعمرة بقاراتهم ؛ ولكن لم تكد تمر ايام قلائل على هذا الحادث حتى لاحت في الافق بوادر سيئة : فقد وجدت حكومة الكونغو نفسها امام مشاكل ومصاعب متنوعة متعددة ، ناتجة عن الفراغ الذي تعمد الاستعمار خلقه في كل ميدان ، كما وجدت نفسها امام مكايد ومؤامرات تهدد كيان الكونغو نفسه، وتشكل خطرا على استقلاله الوليد ، لان الاستعمار التقليدي المبني على الحكم المباشر والسيطرة الكاملة – وقد عرفناه جميعا – ابى ، بعد هزيمته ، ان يسلم بها ويعترف بالامر الواقع ، واصر على ان يجعل من الكونغو حقلا تجريبيا لاستعمار جديد شر منه ، فعمد الى وسيلة ماكرة لفرض نفسه وتوطيد اركانه مرة اخرى ، بتجزئة البلاد واضعاف سكانها ، وخلق حركات انفصالية فيها وتشجيعها ، واقامة حكومة صنيعة تعيد الاستعماريين، وتمكنهم من مقاليد الامور، وتمنحهم من الامتيازات الاقتصادية والعسكرية والسياسية تحت ستار الحرية والاستقلال اكثر مما كانوا يتمتعون به من قبل باسم الغزو والاستعمار .

ولقد كانت استغاثة حكومة الكونغو بمنظمة الامم المتحدة يوم سابع يوليوز خطة قويمة ، وسياسة رشيدة ، استحسناها لاعتقادنا ان تلك المنظمة هي الهيئة الجديرة بحل مشاكل من النوع القائم بين الكونغو ومستعمريه السابقين ، واملنا ان يكون حلها لها سابقة حسنة، وتجربة مشجعة يستفاد منها في حل ما بقي من نظم الاستعمار ، وتطلعنا الى ان تقوم الامم المتحدة في تحرير ما بقي مستعمرا من افريقيا بدور قيادي في مستوى الآمال التي تعلقها البشرية عليها ، وطبق رسالتها السامية التي هي حبل النجاة في عالم كثير الاضطراب .

### مبادرتنا الى نجدة الكونغو

ولما وصلتنا دعوة رئيس الحكومة الكونغولية السيد لومومبا ، ثم رسالة الامين العام لمنظمة الامم المتحدة ، للمساهمة في تنفيذ مقررات مجلس الامن الخاصة بالكونغو ، لم يتردد واحد منا في تلبيتها ، وفاء بالتزاماتنا نحو المنظمة ، وقياما بواجب التضامن الافريقي ، وسعيا في خنق الاستعمار المقنع في المهد ، حتى لا تنتقل الى اقطارنا المحررة عدواه ، وتصيبنا بلواه ، وحرصا على ان لا تكون قارتنا بضاعة للمساومة، وميدانا تصطرع فيه النزعات ، وتتصادم التيارات .

وكانت المهمة التي قبلنا القيام بها ، وفهمنا اننا نرسل جنودنا ورجالنا الاداريين والفنيين من اجلها ، تنحصر في دعم استقلال الكونغو وصيانة وحدته الترابية ، ومساعدة حكومته الشرعية على تذليل المصاعب الطبيعية التي تواجهها وتواجه كل امة في فجر استقلالها الباكر ، والمشاكل التي اثارها الاستعمار وخلقها عمدا .

ولقد كانت قضية الكونغو من جملة الفرص التي تسنح لمنظمة الامم المتحدة لتخليص العالم بكيفية سلمية ناجعة من شر الاستعماريين السافر القديم ، والمقنع الجديد ، وانقاذه من ويلات الاستغلال البشري ونحن الذين نؤمن برسالة الامم المتحدة وصلاح المساعدة الدولية ، ونريد القضاء على الاستعمار في مختلف اشكاله ، وتخفيف حدة التوتر بواسطة المنظمة العالمية ، وضعنا انفسنا رهن اشارتها تلقائيا وبدون تحفظ ، لاننا من ذوي النيات الحسنة ، همنا الوحيد محو الاستعمار والعنصرية ورواسبها ، ومؤازرة الامم المتحدة على تبليغ رسالتها وتحقيق عالميتها ، وان ينشر عن طريقها بين البشر عدالة وديمقراطية عالمية تجعل الشعوب كلها متساوية متضامنة ، يعين غنيها فقيرها، وياخذ متقدمها بيد متخلفها ، وان لا تتكتل الدول الا للسلم والخير والتعاون النزيه ؛ وهذا مذهب يشاطرنا فيه جميع الدول المستضعفة الموجودة في مثل مستوانا الاقتصادي والاجتماعي ، والتي تكون الكثرة الكاثرة من سكان المعمور .

وعندما وصلت النجدات العسكرية والبعثات الفنية والادارية الى الكونغو تحت راية الامم المتحدة ، وجدت حكومة شرعية قائمة ، ومؤسسات تمثيلية تباشر عملها ، وشعبا مصمما عزمه على استكمال تحرير سيادته ، ومصاحبة ركب التحرر الافريقي الزاحف الى الامام ؛ كما وجدت الخلاف منحصرا بين شعب الكونغو والاستعمار . وكان المظنون ان الدول التي ظلت مسيطرة على افريقيا ازمنة طويلة فهمت الوضعية الجديدة في العالم ، وان عهود الاستعمار

ومخلفاته ادبرت الى غير رجعة ، لتدع المجال فسيحا للتساوي والتراضي والتعاون في الميادين البناءة ، واقامة العلائق على اساس الاخوة والمودة والاحترام المتبادل ؛ ولكن الاحداث توالت بسرعة مدهشة وتطورت من سيء الى اسوا ، وظهر استعمار جديد باساليب جديدة واشكال متنوعة ، وتبين ان سلفه لم يسامح في السيطرة الادارية والسياسية السافرة ، الا للمحافظة على الامتيازات الاقتصادية ، والاستحواذ على المواد الستراتيجية، والابقاء على القواعد العسكرية وتكثير عدد التوابع التافهة الدائرة في فلكه . وبالطبع وقفت الدول الاستعمارية صفا متراصا ترعى الوليد الجديد ، فكان الذي شاهده العالم بحسرة ومرارة من تمزيق وحدة الكونغو ، واقامة حكومة صنيعة في اجزاء منه ، وتشجيع حركات الانفصال والعصيان على سلطته الشرعية ، وتعطيل المؤسسات التمثيلية والحياة الدستورية ، واقصاء الحكومة الوطنية المتمتعة بثقة البرلمان وتاييد الشعب ، واعتقال رئيسها الوطني السيد لومومبا ، ومعاملته معاملة مزرية ، وتاجيج نار الحروب الاهلية بالبلاد ، وتعرض سكانها لمجاعة فتاكة، اخذت تنشب فيهم بالفعل مخالبها وتفرز براثنها .

## اخلال الامم المتحدة بواجبها

ولقد كان من المنتظر ان تقوم منظمة الامم المتحدة برد فعل شديد ازاء التآمر السافر على شعب الكونغو واستقلاله ، لانها هي الحكم في النزاع بواسطة السلطة التي وكلت اليها مهمة تنفيذ مقرراتها ، ولانها هي التي تملك في عين المكان الوسائل المادية التي لا يجرؤ الاستعمار الجديد على الاصطدام بها ، ولانها هي الهيأة التي استغاثت بها حكومة الكونغو ، ووضع شعبه فيها كامل الثقة ، وعلق عليها كل آماله ، وفتح ذراعه لرجالها المدنيين والعسكريين مرحبا مستبشرا ، كما يرحب ويستبشر الغريق بوصول زورق الانقاذ ؛ ولكن منظمة الامم المتحدة لم تقم ــ ويا للاسف ــ بمواجهة الحالة بالوسائل المطابقة لالتزاماتها ، ولم تنفذ حتى القرارات التي اتخذتها ؛ وهكذا راينا حكومة الكونغو الشرعية تمنع من حقها في الاتصال بالخارج ومخاطبة الراي العام في بلادها ، في الوقت الذي كانت اصوات الاستعماريين معباة للدعاية ضدها ، وطياراتهم تتدفق بالمال والسلاح والمسيرين على المطارات الخاضعة لسيطرة الانفصاليين على مراى ومسمع من ممثلي الامم المتحدة دون أن يحركوا ساكنا .

فبسبب هذه المواقف التي شجعت الاستعماريين على الاستمرار في تصرفاتهم ، تمكن الاستعمار من العودة الى الكونغو والقبض على ازمة أموره من جديد. وحادت الامم المتحدة عن الخطة التي حددت لها ووكل اليها تنفيذها ، فاصبحت بذلك متعرضة لامتحان شديد من شانه ان يضعضع كيانها ويفقدها نفوذها ، ويقضي على الثقة الموضوعة فيها .

## نداء الى رؤساء الدول

واننا بهذه المناسبة ، نهيب بالضمير العالمي ، ونلفت انظار رؤساء الدول والقابضين على ازمة السياسة العالمية بالخصوص ، لينظروا نظرة جديدة في المازق الحرج الذي توجد فيه المنظمة الآن بسببذلك الانحراف ، ونذكرهم بما آلت اليه جمعية الامم السابقة ، عندما عجزت سنة 1936 عن ايقاف العدوان على الحبشة وسلمت بالامر الواقع ، ونحن اذ نوجه هذا النداء ، انما يدفعنا اعتقادنا بضرورة بقاء منظمة الامم المتحدة لخير البشرية ، وتشبثنا بمبادئها السامية واهدافها النبيلة ، ورغبتنا في أن تستمر منبرا تتبادل الدول فوقه الراي واداة لتقارب الشعوب وتعاونها والدفاع عن الحق والعدل ومقاومة الطغيان والعدوان ، اذ في عجزها عن القيام بواجباتها ، واخفاقها في اداء مهامها ، خطر كبير على العالم . وقد اخذت اشباح ذلك الخطر تتراأى وتبرز بوضوح ، بعدما انتهت مداولات الجمعية العامة ومجلس الامن دون اتخاذ اي قرار ايجابي ، رغم استفحال الحالة في الكونغو وازديادها تأزما . وانه ليخشى أن تجتمع غدا لاعادة النظر في الموضوع ولكن بعد فوات الاوان .

## الاسباب التي دعتنا لسحب قواتنا من الكونغو

فازاء هذه الحالة التي تتجسم خطورتها في تمزيق وحدة الكونغو وتعطيل حياته الدستورية ومؤسساته التمثيلية ، واقصاء حكومته الشرعية واعتقال رئيسها ، واتقاد نيران الحرب الاهلية فيه ، وتعرض سكانه لاخطار المجاعة ، قررنا يوم 12 دجنبر سحب القوات المغربية العاملة هناك تحت راية الامم المتحدة ، حتى لا نكون مشاركين في سلوك سياسة مضرة بشعب الكونغو ، منافية لمصلحة التحرير الافريقي ، مخالفة لمقررات منظمة الامم المتحدة ، مصادمة لضميرنا ومثلنا العليا .

## ضرورة تحديد سياسة افريقية مشتــــركـــة

هذا ولكي لا نقف مكتوفي الايدي ازاء الحوادث الجارية ، ولكي نحول دون امتداد عدوى الاستعمار الجديد الى اقطارنا المستقلة ، كان من الضروري ان نلبي الرغبة التي طالما خامرتنا جميعا للاجتماع قصد دراسة الحالة الراهنة فى الكونغو ، وتحديد سياسة افريقية مشتركة لمعالجتها، والسعي لحمل منظمة الامم المتحدة على القيام بالمهمة التي التزمت بها بناء على طلب حكومة الكونغو الشرعية ، ومبادلة الراي لوضع اسس سياسية تحرر افريقيا وتشييد وحدتها وتامين مستقبلها .

ففيما يخص الكونغو نرى انه ينبغي خلق اجواء سليمة لوضع حد لازمته ، بما يتلاءم ومصالح الشعب الكونغولي والقارة الافريقية والمجموعة الدولية ، وذلك طبقا لقررات مجلس الامن والجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة .

وفى هذا الصدد ، نريد ان نتدارس خلال مؤتمرنا هذا ،المقترحات التي من شان تطبيقها بكامل الحزم والاخلاص ان يعين على اعادة الاستقرار الى البلاد الكونغولية ويرد اليها نظامها وامنها ووحدتها . ومن جملتها على الخصوص الرجوع بالكونغو الى الوضع الشرعي الدستوري الذي كان عليه ، واعادة جميع المؤسسات الدستورية التمثيلية الى نشاطها الطبيعي اعادة تمكن البرلمان من استرجاع مهامه ، والحكومة الشرعية من ممارسة سلطتها من جديد ، واطلاق سراح كافة المعتقلين السياسيين وخصوصا اعضاء البرلمان الذين يتمتعون بالحصانة ، وعلى راسهم السيد لومومبا رئيس الحكومة .

وبالاضافة الى ذلك ، نقترح تجريد سائر العصابات المسلحة التي تهدد الامن العام فى البلاد . ولضمان نجاح هذه التدابير ، وتمكينا للامم المتحدة من القيام بواجبها فى الكونغو ، ينبغي ان تكف جميع الدول عن امداد العصابات وسائر الانفصاليين باية مساعدة كيفما كان نوعها ، وذلك محافظة على وحدة التراب الوطني للكونغو ، وسعيا لضمان النظام والامن فيه .

ومن جهة اخرى يظهر ان من المتعين التعجيل باجلاء جميع القوات البلجيكية المرابطة فى مختلف انحاء البلاد الكونغولية اجلاء كاملا يتناول باديء ذي بدء القواعد العسكرية هناك ، طبقا لقررات هيئة الامم المتحدة ، كما يتاكد تجريد جميع المدنيين البلجيكيين من الاسلحة التي يتوفرون عليها ؛ والى جانب هذا كله ، يجب التنديد بكل حركة انفصالية ، ووضع حد لكل عمل يقوم على اساس احترام الوحدة الترابية للكونغو . واذا ما تحققت هذه الاهداف ، فمن الضروري ءانئذ العمل على تيسير اسباب التعاون المثمر بين السلطة الشرعية الكونغولية وبين ممثلي المنظمة الاممية فى الكونغو ، سواء منهم المدنيون والعسكريون ، اذ ذلكم التعاون هو الكفيل بطي المراحل نحو تحقيق ما ينشده كل منا لهذه البلاد من استقرار وامن ورفاهية وازدهار .

## نقترح لمعالجة الحالة بالكونغو :

ولتجسيم هذا التعاون المنشود ، نقترح ان يكون ضمن ما نتدارسه فى اجتماعنا هذا **انشاء لجنة قارة فى الكونغو ، معينة من طرف الجمعية العامة للامم المتحدة ، تستمد سلطاتها من هذه الجمعية وتكون مؤلفة من الدول الممثلة فى اللجنة الاستشارية المكونة بجانب الامين العام** قصد ابداء الراي فى المشاكل الكونغولية ، والادلاء بما يلائمها من حلول .

كما نقترح من جهة اخرى سعيا وراء تصفية الجو الداخلي للكونغو من كل ما يعكره من تطاحن ونزعات ، التداول حول فكرة**توجيه نداء عام لجميع الزعماء الكونغوليين لعقد مؤتمر وطني للتوفيق ، بمحضر اللجنة الاممية الآنفة الذكر** ، يهدف الى ايجاد تقارب بين وجهات نظرهم ، وقطع دابر كل نزاع يفرق كلمتهم . ومن الواجب ان تتحقق اثناء انعقاد هذا المؤتمر هدنة سياسية تساعد على المضي فى طريق اصلاح ما فسد ، ورأب ما انصدع . ولا ينبغي ان يعزب عن اذهاننا ما يواجه الكونغو من مشاكل مختلفة يجب ان يتغلب عليها ، ولذلك نناشد الامم المتحدة ان تقوي من مساعدتها اياه لانقاذه من الحالة المؤسية التي هوى اليها ، واغاثته حتى يتمكن من تلافي الخصاص الذي يحسه من الناحية المادية والفنية .

ونرى من واجبنا ان ندعو الدول الافريقية على الخصوص لبذل الحظ الوافر من هذه المساعدة ، ولتتقدم الى الشعب الكونغولي الشقيق قبل غيرها

لشد ازره والاخذ بساعده ، اذ بذلك تؤدي احسن اداء رسالة التضامن والاخوة الافريقية التي تعتبر شرطا اساسيا لبناء افريقيا مستقلة موحدة كريمة ، رغم ما تحسه دولها نفسها من خصاصة وما هي عليه من احتياج . وهنا نرى لزاما علينا ان نعلن ان افريقيا تجتاز اليوم في القضية الكونغولية امتحانا عسيرا ، فاما ان تعمل على حل هذه القضية حلا سريعا ناجعا يضمن تحقيق مطامح الشعب الكونغولي تحقيقا كاملا . وذلك هو الفوز المبين لا للكونغو فحسب ، بل لجميع شعوب افريقيا ، والا فستتعرض سائر شعوب هذه القارة الى اخطار استعمار جديد ، من شانها ان تمزق وحدتها، وتعبث بسيادتها واستقلالها، وتعرقل تطورها المنشود نحو ما تصبو اليه من رقي وازدهار ، كما ستحول بينها وبين تأديتها للمهمة المنوطة بها في المجال الدولي . فمن المتعين اذن ان نعمل جميعا على احباط مساعي الاستعمار بنوعيه الجديد والقديم بهذه القارة ، وذلك بتعاوننا جميعا على معالجة المشكل الكونغولي تعاونا صادقا ، وبالعمل على خلق وعي افريقي ووطنية افريقية .

## محنة الجزائر الشقيقة

أصحاب الفخامة

أصحاب المعالي

حضرات السادة

لقد عاشت افريقيا ردحا من الزمن تحت نير الاستعمار ، ولئن تحرر بعض اقطارها فان بعضها الآخر احد فريقين : فريق ما زال يعيش تحت وطأة استعمار مقنع ، وفريق ما انفك يعاني ويلات الاستعمار العتيق ، وكلاهما يعتبر في الحقيقة خطرا مهددا لافريقيا ، وحجر عثرة في طريق تحررها ونهوضها . واذا كان الواجب الانساني وواجب الاخوة الافريقية قد دفعانا الى بذل قصاري الجهود لحل المشكل الكونغولي ، فان ذلك ايضا لا ينسينا بل انه ليفرض علينا بازاء هذا المشكل ان نواجه بجوارنا في الجزائر الشقيقة استعمارا تقليديا لدودا يذيقها منذ اكثر من ست سنوات مرارة حرب ابادية ، لا لشيء سوى ان شعبها يطالب بحقه في الحرية والكرامة والاستقلال .

وبالرغم مما ابدته الحكومة الجزائرية من حسن استعداد لحل المشكل عن طريق المفاوضات ، نجد الطرف الآخر لا يعير ــ مع الاسف الشديد ــ هذه البادرة الحسنة اي اهتمام ، ولا يقيم لها وزنا . وليس خطر هذه الحرب في الحقيقة قاصرا على الجزائر الشقيقة وحدها ، ولكن يخشى ان يمتد نطاقه فيشمل الاقطار المجاورة ، ولذلك ناشدنا الامم المتحدة لتتدخل في الامر ، وتعمل على تمكين الشعب المكافح من التمتع باستقلاله وسيادته .

ولقد اظهرت الحوادث الدامية التي كان القطر مسرحا لها اخيرا مدى تشبث الشعب الجزائري بمطالبه العادلة ، والتفافه حول حكومته الوطنية ، ورفضه البات لكل شكل من اشكال المؤسسات الممنوحة التي يراد ارغامه على قبولها .

واننا نغتنم فرصة هذا المؤتمر وحضور اخينا فخامة الرئيس السيد فرحات عباس رئيس الحكومة الجزائرية ، لنوجه في شخصه تحية المؤتمر الى الابطال المكافحين في سهول الجزائر وجبالها وصحرائها، ونؤكد لهم وقوفنا بجانبهم موقف التاييد والمؤازرة لان قضيتهم قضيتنا ، ونضالهم نضالنا ، مطالبين بمنح الجزائر حقها في الحرية والاستقلال بدون قيد ولا شرط ، ومنددين في الوقت نفسه بكل محاولة آثمة ، ترمي الى تجزئة التراب الوطني للقطر الشقيق ، كما سبق لنا ان نددنا بها في كل مكان حاول الاستعمار ان يفرضها فيه .

اننا من اعرف الناس بهذا الاسلوب الجديد من الاستعمار ، الرامي الى تجزئة التراب الوطني لبعض الاقطار ، اضعافا لشانها ، وتفريقا لكلمة اهلها ، وذلك ابتغاء ارضاء رغبته في استغلالها ، وتركيز نفوذه فيها. فلقد تعرض وطننا كما تعرضت فلسطين الشقيقة والكونغو في كاطانغا ، واندونيسيا في ايريان الغربية وغيرهما لخطر تجزئة ترابه ، وحاول الاستعمار ان يغتصب من بلادنا موريطانيا التي تكون جزءه الجنوبي، خارقا بذلك التزاماته وعابثا بالمعاهدات الدولية .

ولكننا ازاء هذا الاعتداء ، سنواصل الدفاع عن حقنا حتى يستكمل وطننا وحدته التامة كما عرفها التاريخ ، وكما هي رغبة السكان في شمال البلاد وجنوبها .

## افظع مظاهر الاستعمار في القارة الافريقية : الميز العنصري

ان القارة الافريقية هي الجزء الوحيد في العالم الذي ما زال مسرحا للميز العنصري كمذهب ونظام ، ذلك الميز الذي هو افظع مظاهر الاستعمار وامقت بقية من بقاياه . واذا كان الاستغلال البشري في حد ذاته جريمة لا تغتفر ، فان اشنع من تلك الجريمة واقبح ، ان ينكر على الانسان انسانيته ، ويعامل معاملة مزرية من اجل لونه او عقيدته او لغته . وستبقى البشرية في الحضيض الاسفل من التاخر والانحطاط ، ما دامت فيها طائفة تحمل رؤوسا تؤمن بالعنصرية وتتعصب لها .

واننا لنهيب بالشعوب الافريقية ان تتزعم حركة المساواة بين البشر ، وتجعل من نفسها قدوة للغير في الدعوة الى احترام كرامة الانسان ، والدفاع عن حقوقه ، وتقدير قيمه المنبعثة من صميم تكوينه ، والتي لا اثر للثغات والالوان فيها .

## على الاقطار الافريقية ان تعبىء طاقاتها لدرء الخطر عنها

كما نهيب بها ان تعبىء قواها بغية جعل حد لاستعمال افريقيا حقلا للتجارب الذرية ، وتعريض سلامة سكانها لاخطار محققة بسبب ذلك . ومنذ ايام اقدمت الحكومة الفرنسية على اجراء تجربتها الذرية الثالثة بجزء من تراب مملكتنا واقع بقلب افريقيا ، عابثة بتوصيات الامم المتحدة ، مستفزة الشعوب الافريقية ، متحدية الانسانية والضمير العالمي ، ولكن ذلك الاستفزاز وهذا التحدي لن يزيدانا الا عزما على مواصلة النضال ضد الاستعمار ، والسعي لاستخلاص فلسطين العربية من براثن الصهيونية المعتدية ، وتحرير الكونغو والجزائر وكل شبر في العالم ما يزال تحت سيطرة الاستعمار ، اذ ليست هناك قوة تستطيع ان تفل من حد عزائمنا ، او تواجه قوانا المعنوية وطاقاتنا التحررية ، او تسد افواهنا عن التنديد بهذه التجارب العدوانية والفتاكة .

اصحاب الفخامة
اصحاب المعالي
حضرات السادة

اتى على القارة الافريقية حين من الدهر عاشت فيه مستعمرة مقسمة مستغلة مهينة مهضومة الحق مهيضة الجناح ، ولم يكن هناك ما تساهل عليه عيشة الشقاء والحرمان الا لون بشرتها في نظر الاستعماريين ، ووفرة خيراتها التي استحلوا في سبيل استغلالها ما حرمته الشرائع السماوية والقوانين الارضية من عنف واضطهاد . ولقد كان من الظواهر الكبرى التي امتاز بها النصف الثاني من القرن العشرين يقظة افريقيا ونمو وعيها وبروز شخصيتها ، وتصميم عزمها على كسر الاغلال التي تصفدها والمساهمة في خدمة السلم والحضارة ، واحتلال المكان الجدير بماضيها وموقعها وطاقاتها الانسانية وثرواتها الطبيعية فوق الصعيد الدولي . ولقد قطعت افريقيا اشواطا كبيرة في طريق التحرر والانعتاق ، وسجلت الشهور المتوالية والسنون المتعاقبة لها نصرا بعد نصر ، حتى عدت سنة 1960 بحق سنة انبعاث افريقيا . ولكن هذا الانبعاث هال الاستعمار العتيق ، وجعله يتشكل في شكل جديد ، ويتخذ اساليب جديدة ، ويمهد لمستعمراته سبيلا مضللة يكمن في ثناياها الخطر ، ولا تفضي بسالكيها الا الى حرية بتراء . ولهذا يجب على الشعوب الافريقية ان تضاعف انتباهها وحذرها ، وتعد العدد ، وتهيىء الاسباب الكفيلة بكشف الاستعمار الجديد واستئصال اخطاره .

## ميثاق افريقيا الجديدة

اصحاب الفخامة
اصحاب المعالي
حضرات السادة

ان هذه اللحظة التي نجتمع فيها الآن لحظة تاريخية حاسمة في حياة افريقيا . فبعد ما عاشت شعوبها سنين طويلة مستعمرة مقسمة محالا بينها وبين الاتصال الحر المباشر ، ها هي ذي طائفة من دولها المستقلة بشرقها وغربها ووسطها ، تجتمع لتضع ميثاق افريقيا الجديدة ، وتعبد سبل التحرر والسعادة لاجيالها الحاضرة والمقبلة .

وان هذا المؤتمر لاحسن ما يسنح من الفرص لوضع ذلك الميثاق ، وتقرير العمل الايجابي الذي يجب القيام به لتحقيق الاهداف التالية التي نتطلع جميعا اليها :

1) القضاء على النظام الاستعماري وذلك بتحرير الاجزاء التي ما تزال مستعمرة بافريقيا تحريرا حقيقيا

2) القضاء على العنصرية بجميع مظاهرها ونظمها

3) محاربة الاستعمار الجديد في جميع اشكاله ومختلف الوانه ، وفضح اساليبه التضليلية الجديدة .

4) دعم استقلال الاقطار الافريقية المحررة والدفاع عنه .

5) تشييد وحدة افريقية .

6) اقرار سياسة عدم التبعية بالاقطار الافريقية .

7) انهاء كل احتلال عسكري لافريقيا ، ومنع استعمالها ميدانا للتجارب الذرية .

8) معارضة كل تدخل اجنبي في الشؤون الافريقية .

9) العمل على تثبيت دعائم السلم العالمي .

ان هذه الاهداف التي نريد خطها للمستقبل لا ترمي الى عدوان ، ولا تصطبغ بعنصرية جديدة ، وليست موجهة ضد دولة ولا قارة ، كما انها لا تعني اثرة او انعزالا ، بل هي مستوحاة مما لنا جميعا من رغبات ملحة في حفظ السلم وتقوية اسباب التقارب بين الشعوب والتعاون بين الدول ، القائم على اساس الاحترام وضمان السيادة وصيانة الكرامة ، ومن شانها — اذا تحققت — ان تكون من افريقيا وحدة من اجل السلام والرقي ، وتجعلها موطن الامل الباسم ، والاستقرار الدائم ، والعمل المنتج المفضي الى التقدم والرخاء .

ونظرا لنبل هذه الاهداف وما لها من اهمية لا تخفى على احد منا ، وضرورة تحقيقها بسرعة ، فلعل الوقت يكون قد حان لاتخاذ الخطوات العملية التي يجب اتباعها لتطبيقها ، واقامة بعض المؤسسات التي تسهر على تحقيقها **كتاليف مجلس استشاري افريقي ، وانشاء لجان تجتمع دوريا لتنسيق سياسة الاقطار الافريقية في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية** ، واتخاذ التدابير اللازمة لتامين سلامتها ، وتقرير المساعدة التي يجب ان تقدمها لبعضها اذا وقع الهجوم على احدها .

اصحاب الفخامة

اصحاب المعالي

حضرات السادة

اذا كانت الاقدار اتاحت للدول الافريقية المجتمعة في هذا المؤتمر السبق الى الاستقلال والحرية، فانه دين عليها ان تمد يد المساعدة الى الشعوب الافريقية الاخرى حتى تتمتع بنفس الحرية والاستقلال ، وحتم عليها ان تخطط من الآن المناهج الواضحة التي ينبغي لافريقيا الجديدة ان تسلكها ، والسياسة التي يحسن ان تتبعها ، فلا ينبغي ان تعالج مواضيع هذا المؤتمر على اساس الاعتبارات الخاصة بالدول المشاركة فيه فحسب ، بل على اساس الاعتبارات العامة والمصالح العليا لافريقيا . وان لنا اليقين بان المؤتمر المقبل سيحضره عدد اوفر من الدول الافريقية ، واننا لنتطلع بمنتهى الامل الى اليوم الذي يجتمع فيه المسؤولون عن دول افريقيا كلها بشرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، للنظر في شؤون قارتهم، وقد اختفت منها اشباح الاستعمار والعنصرية والانقسام ، واشرقت عليها شمس الحرية والوحدة والرخاء والسلام ، واشتدت اواصر تعاونها على ما فيه خير الانسانية مع القارة الاسيوية التي نغتنم هذه الفرصة فنحيي شعوبها الناهضة ، ونعبر لها عن تمنياتنا بتمام التحرر ، ومواصلة السير في سبيل الرقي والازدهار .

# خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر

## بمناسبة انتهاء مؤتمر القمة بالدار البيضاء

خصص مؤتمر القمة الافريقي جلسته الختامية التي عقدها يوم السبت 7 يناير للاستماع لكلمات رؤساء الوفود ، وقد كان من بين هذه الكلمات التي اعلن فيها الاقطاب الافارقة ايمانهم بمستقبل القارة الافريقية وشعورهم بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم نحوها الكلمة التالية للرئيس جمال عبد الناصر ، رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وفيما يلي نصها :

الحمد لله وحده

**يا صاحب الجلالة**

لقد كانت الايام القليلة الماضية ايام الفة ومودة . فلقد عشنا معكم هنا في جو افريقيا الواعية التي احست بمسؤولياتها تجاه نفسها وتجاه السلام العالمي . ولقد كان في فكري دائما انه اذا كان العام الذي مضى ، عام 1960 ، هو عام اعياد الاستقلال في افريقيا ، فان هذا العام الذي بدأناه ، 1961 يجب ان يكون عام صيانة الاستقلال ودعم معانيه الحقيقية ، حتى لا نكتفي من الاستقلال بالعيد ، بينما ينقض الاستعمار في نفس يوم العيد ليسلب القوى الوطنية اكبر ثمرات نضالها ضده وصبر السنين الطويلة في مقاومته .

فلقد راينا في الكونغو ان ما تصورناه عيدا للانتصار، كان في واقع الامر يوم الخطر الاكبر . وفي رايي ان هذا المؤتمر الذي تنتهي اعماله بهذه الجلسة انما هو بداية لها قيمتها في عام حاسم خطير ، من اجل تدعيم الحرية وتعميق اسسها في افريقيا ، سواء بحمل اعلام الاستقلال الى الشعوب التي ما زالت تقاتل لترفعها ، او لحماية هذه الاعلام في يد الشعوب التي امسكت بها وانطلقت تحتها الى الاهداف التالية من كفاحها ، واخطرها واهمها عملية التطوير الاقتصادي والاجتماعي، لتكون النتيجة ذلك المواطن الافريقي الحر الذي نتمثله جميعا في آمالنا . وبعد هذه البداية الهامة في هذا العام الحاسم ، فان هذا المؤتمر كانت له دلالات اخرى : فان اجتماع دول افريقيا الحرة هنا ، كان معناه انها في نفس الوقت الذي ملكت فيه حريتها ، تحققت ان هناك وحدة تربط اسباب الكفاح بين شعوبها جميعا كذلك فقد انهارت في هذا المؤتمر اسطورة الاستعمار في تقسيم القارة وفصلها بالصحراء الافريقية الكبرى الى افريقيا عربية في الشمال والى افريقيا سوداء في الغرب والى الجنوب .

وتاكد في هذه الاجتماعات التي عقدت ان الصحراء الكبرى كانت جسرا ولم تكن فاصلا ، وليس معنى ذلك وانا اريد ان اكون واضحا يا صاحب الجلالة اننا وجدنا التماثل شاملا في وجهات نظر كل من التقوا حول هذه المائدة . والحق ان المناقشات الطويلة بيننا دليل على واقعية النضال الافريقي وعلى ابرازه ، وان جديته واعانته الى ابعد الحدود هي ارجح الاحتمالات لنجاحه.

ولقد كان من ابرز معاني المؤتمر الافريقي انــه خلال هذه المناقشات بينتا تبدت ارادة عمل افريقي ظاهرة ، ارادة شخصية افريقية متحررة ، ارادة مسؤولية واقعية وجادة . فلسطين هي اعظم مشاكل مؤتمرنا هذا في رايي ، كما ان اهم واجباتنا بعده هو ان نصون هذه الارادة ، ارادة العمل الافريقي وان نفتح الطريق لها .

يا صاحب الجلالة

لقد منحني هذا المؤتمر فرصة لتاكيد صداقات قديمة اعتز بها وربط اواصر صداقات جديدة فتحت لها قلبي دون تحفظ . فلقد اتيح لي ان التقي بجلالتكم وان اعزز معكم ذكرى لقائنا في القاهرة اثناء الاحتفالات بتدشين العمل في سد اسوان العالي ، كذلك فقد التقيت مرة اخرى بصديقي العزيز الرئيس قوامي نكرومة ، الذي يربطنا به اعمق الود واخلصه ، ومن ناحية اخرى اتيح لي ان التقي بالرئيس احمد توري وموديبوكيتا ، وهو لقاء طالما تطلعت اليه مع بطلين من ابطال الكفاح الافريقي .

يا صاحب الجلالة

بقي ان استاذنكم بتوجيه الشكر الى شعبكم الذي كانت رعايته الواعية لهذا المؤتمر ومنهـا كان ترحيبه الكريم بالمشتركين فيه ، من اكبر دعامات نجاحه . لقد كان هذا الشعب ، صديق الحرية العريق وسندهـا الطبيعي ، يجدد امامنا جميعا في طريقنا الى جلسات المؤتمر وعودتنا منه عزيمة الجماهير الافريقية وتحفزها وايمانها غير المحدود برسالتها وباهدافها . ومن هنـا فان هذا الشعب لم يفتح بيته لضيافتنا فقط ، وانمـا منحنا طاقة دافعة حققت اثرها .

يا صاحب الجلالة

انني اوجه لكم صادق الشكر وعميق التقدير لمبادرتكم الايجابية الى دعوة المؤتمر . فقد لمسنا جميعا مدى الجهد الثقافي الذي واجهتم به رئاستكم لجلساته واننا لندرك جميعا ان هذا الجهد كان من اهم مقومات نجاح العمل الذي تصدينا له . واذا كانت لي كلمة اضيفها بعد ذلك ، فهي الامل في مؤتمر آخر يعقد على ارض قارتنا الافريقية لتجتمع اليه ومعنا قادة الشعوب الاسيوية الحرة . واننا لنؤمل ان مثل هـذا المؤتمر في هذه المرحلة من كفاح آسيا وافريقيا سيكون له مثل الاثر الذي كان لمؤتمر باندونغ سنة 1955 .

شكرا لكم جميعا ، والسلام عليكم ورحمة الله .

---

# دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 10 -

**قال** المؤلف متابعا كلامه في فصل غرائز الحيوان : (والمحارة العادية التي تاكل عضلاتها تحتوي على « دوزينات »عدة من العيون الجميلة ــ الدوزينة اثنى عشر كما هو معلوم ــ وهذه العيون الجميلة شديدة الشبه بعيوننا ؛ وهي تلمع لان كل عين منها تشتمل على عدد لا يحصى من العاكسات الصغيرة التي يظن انها تمكنها من رؤية الاشياء من اليمين الى الاعلى . وهذه العاكسات لا وجود لها في عيون البشر ، فهل خلق الله تلك العيون الكثيرة في المحارة لانها ليس لها قوة دماغ كالانسان ؟ ولما كان عدد العيون في الحيوان ما بين عينين اثنتين الى آلاف العيون في المخلوق الواحد ، كان على الطبيعة ان تلاقي مشقة عظيمة لا قبل لها بها في تطوير علم المرئيات ، الا اذا صحبها صنع الله الذي اتقن كل شيء . ان النحل التي يخرج من بطونها العسل لا ترى الازهار الجميلة بالعين التي نراها بها نحن ؛ لكنها تراها بالضوء الذي فوق البنفسجي وهو يجعلها في نظرها اجمل مما نراها نحن . ان بين اشعة التموجات البطيئة وبين اللوحة (الفوتوكرافية) التصويرية عوالم من الجمال والبهجة والالهام التي قد بدانا نقدرها حق قدرها ونسيطر عليها ؛ فدعونا نؤمل ان نقدر في يوم من الايام على الاستمتاع بعالم الضوء الواسع ، بواسطة النبوغ في الاختراع ؛ وها نحن منذ الآن نقدر أن ندرك تموجات الحرارة في كوكب بعيد عنا بمسافة عظيمة ، ونقيس قوتها .

ان العاملات من النحل تصنع بيوتا مختلفة الحجم في القسم الذي يستعمل لتربية الصغار . وتصنع بيوتا صغيرة للعاملات ؛ وتبني بيوتا اكبر لليعاسيب ، وتعد بيوتا خاصة للملكات الحوامل ؛ وتضع ملكة النحل بيضا ناقص التغذية في الخلايا المعدة للذكور ، غير انها تضع بيضا كامل التغذية في البيوت المخصصة للاناث العاملات والملكات المنتظرات ؛ ثم ان العاملات اللاتي هن اناث قد انتظرن من زمان طويل الجيل الآتي واستعددن ايضا لايجاد الغذاء للنحل الصغار بمضغ العسل ، وتيسير هضمه ، واعداد النوع الآخر من الغذاء المسمى باللقح، ثم ينقطعن عن المضغ وتيسير الهضم في مرحلة معينة من تطور الذكور والاناث، ويقدمن لهن عندئذ العسل واللقح بلا مضغ ولا تيسير للهضم، والاناث اللاتي يعاملن بهذه المعاملة يصرن عاملات .

واما الاناث اللاتي في بيوت الملكة فان غذاءهن يستمر مضغه وتيسير هضمه قبل تقديمه لهن ؛ وهذه الاناث التي تعامل بهذه المعاملة يصرن ملكات وهن وحدهن التي يضعن بيضا كامل التغذية ، وتكرار النتاج هذا يستلزم بيوتا خاصة وبيضا خاصا ، واثراء عجيبا في تغيير الغذاء ؛ وذلك يدل على التوقع وسبق العلم باثر الغذاء ؛ هذه التغيرات تنطبق بوجه خاص على حياة الجماعة ويظهرانها ضرورية لوجودها ، ولابد ان هذه المعرفة والمهارة قد تم اكتسابهما بعد ابتداء هذه الحياة الجماعية ؛ وبذلك يظهر ان النحل قد فاقت الانسان في معرفة تاثير الغذاء في احوال خاصة .

### تعليق على ما تقدم :

1) نسأل الماديين واذنابهم وعباد المستعمرين من اوجد للمحارة هذه العيون الكثيرة ؟ ومن الذي زودها بتلك العاكسات التي لا وجود لها في عيون الناس؟ فهل الطبيعة العمياء البكماء الصماء هي التي علمت حاجة المحارة الى تلك العاكسات فزودتها بها وعلمت ان الانسان لا يحتاج اليها فلم تزوده بها ؟ اذن فالطبيعة عليمة حكيمة قادرة مدبرة لها ارادة ومشيئة ، فان

آمنتم بذلكم فكيف تجحدون خالقكم وهو الخلاق العليم العظيم الذي احسن كل شيء خلقه ، وبدا خلق الانسان من طين ، وان لم تؤمنوا به ، فاجيبوا عن السؤال الاول ، ولن تستطيعوا له جوابا حتى يلتقي سهيل والثرياء وحتى تجيبوا على جميع الاسئلة التي تحديناكم بها في المقالات التسع الماضية ، وهيهات ليس امامكم الا احد امرين اما الرجوع الى الحق والايمان بالحق والندم على ما ضاع من اعمالكم في ظلمات الجهل وخبطكم خبط عشواء في ليلة ظلماء او المكابرة والمغالطة والوقاحة .

اذا رزق الفتى وجها وقاحا
تقلب في الامور كما يشاء

2) لقد اجاب المؤلف وهو من هو ! رئيس المجمع العلمي في الولايات المتحدة . اجاب بقوله : فهل خلق الله تلك العيون الكثيرة في المحارة لانها ليس لها قوة دماغ كالانسان ؟ الجواب نعم ، فتبارك الله احسن الخالقين .

3) ثم اشار المؤلف الى ان الطبيعة لا تستطيع ان توجد لانواع الحيوان تلك العيون المتعددة من عينين اثنتين لكل مخلوق الى عدة ءالاف من العيون للمخلوق الواحد ، وهذه العيون تختلف في كل مخلوق على حسب ما يناسبه ، اذا فالخالق البارىء المصور هو الذي فعل ذلك وانف المادي واذنابه راغم .

4) ومن الذي علم حاجة النحل الى عيون تنظر بما فوق البنفسجية لتبدو لها الازهار ، اجمل مما تبدو لنا ، فتجذبها الى اخذ مادة العسل منها لتخرج لنا عسلا لذيذا نستمتع باكله ، ونستشفي بخواصه ، هل تقدر الطبيعة ان تعلم هذه الحاجة وتسدها فاين تذهبون ؟ .

5) يقول المؤلف : « ان بين اشعة التموجات البطيئة وبين اللوحة الفوتوكرافية التصويرية عوالم من الجمال والبهجة والالهام التي بدأنا نقدرها حق قدرها ولنسيطر عليها ، فدعونا نؤمل ان نقدر في يوم من الايام على الاستمتاع بعالم الضوء الواسع بواسطة النبوغ في الاختراع . هكذا يعترف العلماء المحققون انهم لا يزالون في بداية الاطلاع على عالم الضوء وعجائبه، ويؤملون ان يزدادوا علما ويتوصلوا الى النتائج العظيمة بخلاف الطائشين الذين يصدرون احكامهم جزافا ، ويقنعون باول بصيص ويزعمون انهم احاطوا بكل شيء علما وذلك هو الجهل المركب .

6) ان تصرفات مملكة النحل ، واعداد العلامات منها من البيوت والتغذية لكل صنف ما يناسبه لا للموجود منها فقط ، بل لما سيوجد لبرهان قاطع على تدبير رب العالمين وتصرفه في خلقه بحكمته البالغة . قد اعترف المؤلف ان تدبير هذه المخلوقات الملهمة لملكتها يفوق تدبير البشر ، وما اجمل قوله تعالى : **« واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** . لا جرم ان تفوق النحل الضعيفة على الانسان في بعض النواحي سببه ذلك الوحي الرباني ، ولذلك نوه الله به ممتنا على عباده ، ومنبها لهم على كمال حكمته وعظيم قدرته ليعتبروا ، وقد سميت السورة بسورة النحل لوجود هذه الآية فيها ، وما يعقلها الا العالمون .

ثم قال المتصف : والكلب بانفه الذي لا يفتر عن السعي في استنباط المعلومات بما اوتي من قوة الشم يستطيع ان يعرف الحيوان بعد مروره بالمكان الذي هو فيه ، ولم يستطع الانسان حتى الآن ان يخترع آلة تقوي حاسة الشم عنده الى ان يساوي هذه الحاسة عند الكلب ، ونحن لا نكاد نعلم كيف نبتدىء في فحص امتدادها ، وعلى ذلك نرى ان حاسة الشم على ضعفها عند الانسان قد تطورت الى حد انها تدرك اصغر الذرات المجهرية (المكروسكوبية) وكيف نعرف اننا جميعا نتاثر تاثرا واحدا بشمنا رائحة بعينها ؟ والحقيقة اننا لا نتاثر تاثرا واحدا ، وكذلك الذوق فانه يعطي كل واحد منا شعورا خاصا ، والعجب ان اختلاف احساساتنا هنا هو وراثي . وكل انواع الحيوان تسمع الاصوات التي كثير منها خارج عن دائرة ادراكنا ، وسبب ذلك دقة السمع عندنا بكثير ، وقد توصل الانسان بالوسائل التي اخترعها في هذا الزمان الى انه يستطيع ان يسمع حركة ذبابة وهي تمشي على مسافة اميال بعيدة منه ، كما لو كانت تمشي على صماخ اذنه ،وبمثل تلك الالات يستطيع الانسان ان يسجل وقع شعاع عالمي .

ان جزءا من اذن الانسان هو سلسلة من نحو اربعة آلاف حنية دقيقة ، ولكنها معقدة ، متدرجة بنظام دقيق في الحجم والشكل ويمكن ان يقال ان تلك الحنايا تشبه آلة موسيقية ، ويبدو انها قد نظمت تنظيما محكما ، بحيث تدرك الاصوات ، وتنقلها الى الدماغ ،

بوجه محكم تنقل كل ضجيج او صوت صغيرا كان ام كبيرا من صوت الرعد المجلجل الى حفيف الشجر ، وتنقل تلك الخنايا نغمات آلات الموسيقى الممتزجة ، واصواتها المختلفة مما يتضمنه الجوق الموسيقي . لو كان المراد خلق الاذن ان تحس خلاياها الاصوات بالقدر الذي يعيش معه الانسان فقط ، فلماذا امتد مداها الى ان وصل الى ارهاف السمع ؟

لعل القوة الكامنة وراء هذه الخلايا ، قد توقعت حاجة الانسان الآتية فى المستقبل الى الاستمتاع بالاستماع العقلي ، ام كان خلق تلك الخلايا على وجه افضل مما يحتاج اليه على سبيل المصادفة ؟

**تعليق :**

بعد ما شرح المصنف تكوين الاذن العجيب وبين كيف تنتقل المسموعات منها الى الدماغ القى سؤالا على الماديين بطريقته اللطيفة احرجهم فيه وشدد عليهم الخناق وهو قوله : فلو كان المراد عند (خلق) الاذن ان تحس خلاياها الاصوات ، بالقدر الذي يعيش معه الانسان فقط فلماذا امتد مداها الى ان وصل الى ارهاف السمع ، ثم حصل الجواب فى امرين اثنين لا ثالث لهما احدهما قوله : لعل القوة الكامنة وراء هذه الخلايا قد توقعت حاجة الانسان الاتية فى المستقبل الى الاستمتاع بالاستماع العقلي . اشار فى هذا الجواب الى ان الله العليم الخبير حين خلق سمع الانسان لم يخلقه على القدر الذي يحتاج اليه ليعيش فقط ، بل خلقه بقدر ما يحتاج اليه الانسان فى كل وقت لعلمه بتطور حياة الانسان وتجدد حاجاته ، وذلك يستلزم الاعتراف بعلم الله ، بجميع احوال البشر من اول خلقهم الى فنائهم ويبطل مزاعم الماديين . والامر الثاني ان يكون ذلك كله وقع على سبيل المصادفة بلا علم ولا تقدير ولا تدبير رمية من غير رام وقد علمت بطلان هذا القول فيما مضى من هذه المقالات .

ثم قال المؤلف : والصغير من الحوت المعروف بسلمون يقضي سنين فى البحر ثم يرجع الى نهره الخاص به ، واعجب من ذلك انه يصعد جانب النهر الذي يصب فيه الجدول الذي ولد فيه، وقد تكون قوانين الولايات المتحدة الامريكية التي على احد جانبي النهر شديدة وقوانين الولاية التي على الجانب الآخر متساهلة ولكن هذه القوانين لا تسري الا على الحوت الذي يمكن ان يقال فيه انه يخص الجانبين كليهما ، فما الذي يجعل السمك يرجع الى مكانه بالتدقيق التام ؟ فلو نقل حوت من نوع سلمون الى نهر آخر ، والقي فيها لادرك فى الحال ان ذلك النهر ليس نهره ، ورجع بكل قواه شاقا طريقه الى نهره الخاص به ولا يصده عن ذلك التيار المعاكس ، وهناك مشكلة اشد استعصاء وصعوبة على الحل وهي قصة ثعابين البحر ، فان هذه المخلوقات العجيبة متى تم نموها ترحل من مختلف الحياض والانهار ، فى كل مكان .

فاذا كانت فى مياه اوربا مثلا تقطع آلاف الاميال فى المحيط متجهة الى الاعماق البعيدة المدى جنوب نهر برمودا وهنالك تضع بيضها وتموت ، ان صغارها التي لا تملك اي وسيلة من معرفة اي شيء غير انها وجدت نفسها فى تيه من المياه، فانها تتوجه راجعة لا تضل طريقها الى الشاطيء الذي جاءت منه امهاتها . ثم يتوجه كل منها الى النهر او الحوض او البركة الذي جاء منه اصله، وبذلك يبقى كل بحر محتويا على ثعابينه ، فيا عجبا كيف صاولت التيار وغالبت العواصف ومدود البحار ، وهزمت الامواج المتلاطمة فى كل شاطيء ! ثم بعد ذلك تنمو ، فاذا بلغت منتهى نموها ، يهيجها قانون خفي من اسرار الكون ، فترجع لتتم رحلتها ، فمن اين جاء هذا الدفاع الموجه الذي ساقها ؟ ولم يتفق قط ان ثعبانا اوربيا من هذه الثعابين قد صيد فى المياه الامريكية، ولا صيد قط ثعبان امريكي فى المياه الاوروبية ! ومن عجائب صنع الله ان الثعبان الاوربي يتاخر نموه سنة او اكثر ليكون ذلك عوضا عن زيادة مسافة الرحلة التي يقطعها ، فهل تملك الذرات التي يتالف منها الثعبان ، قوة الاهتداء ومعرفة اماكن امهاتها ؟ وهل تركت تلك الامهات لابنائها وصية مكتوبة ومنهاجا مرسوما وامرتها ان تنفذه ؟ فلو ان جماعة من البشر هاجروا من اوربا الى امريكا وولدوا اولادهم وتركوا لهم وصايا مكتوبة وزودوهم بالخرائط اللازمة والارشاد الكافي لشق عليهم بل تعذر عليهم ان يقرؤوا تلك الوصايا ، ويفهموا ما تضمنته فكيف بتنفيذها ، فيجب على الماديين ان يحلوا هذه الالغاز قبل ان يخوضوا فيما لا علم لهم به . فسبحان الله الخلاق العليم .




**ليس** التاريخ الا احداثا منتظمة في حلقات من الزمن ، يشرف الزمان شرفها ويتضع بضعتها ، فيكون زمان خيرا من زمان بالاعمال النافعة للانسانية الواقعة فيه ، كما تكون نفس ازكى من نفس حيث يكون عنصرها خالصا ومتمخضا للخير ، او يكون الخير غالبا على بقية صفاتها ، فاذا اشرقت في الزمان نفس خالصة بعنصرها للجمال والكمال الانساني ، وتجلت بافعالها لخير الانسانية ، فذلك الزمن من خير الازمنة أو هو خيرها على الاطلاق ، والمكان الذي تنبعث منه اشعاعاتها النورانية لهداية البشرية وخيرها هو خير الامكنة ، وهذا هو المقياس المناسب لخير الزمان وشرف الانسان ، والا فالزمان المنسوب لحركات الفلك في حد ذاته ليس فيه جزء اشرف من جزء كما ان الانسان لا يفضل اخاه من جهة حقيقته المحدودة بالحياة والنطق والمساقة للفناء والموت . وعلى هذا كانت ازمنة بعثة الرسل والانبياء مشارق انوار ، ومطالع اسرار ، ومنابع ارشاد وهداية ، ومهابط خيرات وبركات الاهية ، ينبئك عنها قول الله لسيدنا نوح « اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك » الى ما قاله عيسى في مهده : اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ، ولم يجعلني جبارا شقيا ، والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا .

كما قال الله في حق نبيه محمد : وما ارسلناك الا رحمة للعالمين . وقال ايضا : هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وقال في اخلاقه : وانك لعلى خلق عظيم . وهكذا فضلت امم الانبياء وقت اتباع تعاليم انبيائها على الامم التي لم تتمسك بتلك الهداية .

وعلى ذلك قال رسول الاسلام في حق اصحابه المحافظين على شريعته وعهده : خير القرون قرني ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم فلم يجاوز كل هذا صحائف التاريخ التي كتبها الانبياء بتعاليمهم وسيرهم واعمال اتباعهم بين البشر . واذا تكلمنا على ذكرى ميلاد المسيح فاننا معشر المسلمين نؤمن به كرسول من اولي العزم جاء داعيا لتوحيد الله ولشريعة الاخاء والمحبة بين البشر وقد اثمرت دعوته حتى غمرت قلوب اتباعه الحقيقيين الصفات التي ذكرها الله في قوله : وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله ، فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون .

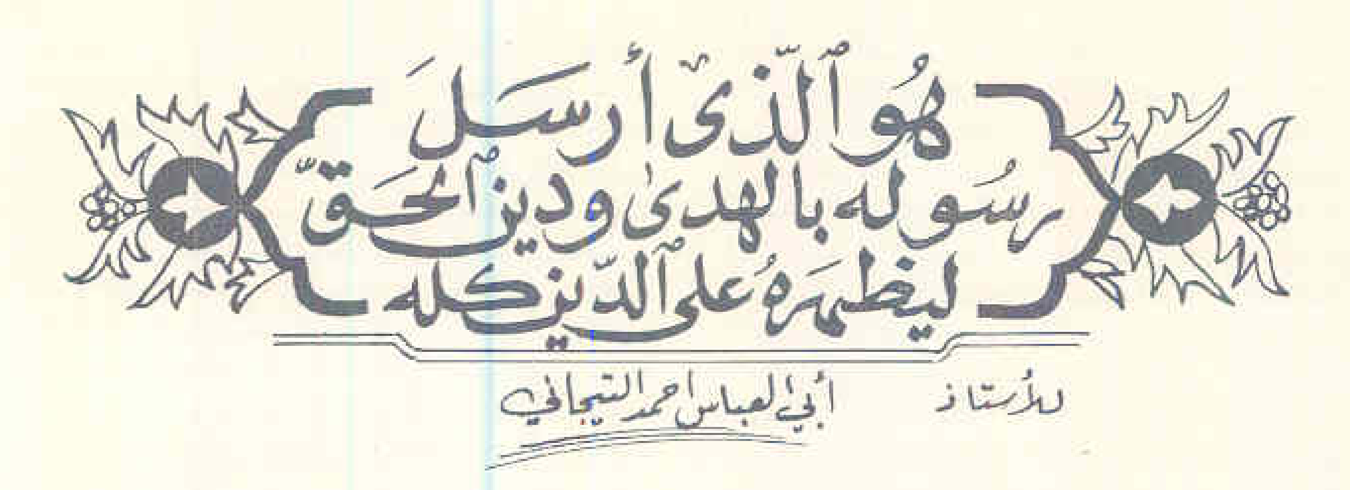
ومن هذا السياق الذي المعنا اليه يتضح ان للاسلام والمسيحية هدفا مشتركا يجب ان يتعاون عليه المسلمون والمسيحيون وهو العمل لخير الانسانية ونشر السلام في الارض كما اشترك الاسلام والمسيحية في ان كلا منها مبني على الاسس القويمة التي تحفظ المجتمعات البشرية من الانهيار والانحلال كنظام الاسرة ومكارم الاخلاق من الصدق والوفاء والمؤاساة والاسعاف والاحسان وما الى ذلك .

وقد اصبح هذا التعاون لازما امام تفشي الالحاد والمبادىء الهدامة التي استفحل امرها في اوربا واخذت تغزو البلاد الاسلامية بتيارها الجارف . وقد استهوت المادة والشهوات كثيرا من نفوس المسيحية فتركت تعاليم المسيح وراءها ظهريا ورتعت في حماة الشهوات وميدان ارضاء الغرائز ونشا المذهب الوجودي قبل اعلانه رسميا بين احضان الهادمين لتعاليم المسيح فبعثت الجاهلية الاولى حية تسعى في الزمان الذي

يسمونه بعصر النور والعلم ناشرة ما تلقفه اهل الجاهلية الاولى من مذهب المادية العمياء القائلة ما هي الا ارحام تدفع وارض تبلع ، وما يهلكنا الا الدهر وتبع هذه الميول الفاسدة حب الجاه والرئاسات والمال الى درجة العبادة والتقديس ، فخرجت الجحافل مدججة بالسلاح وبالحديد والنار تغزو الامم الضعيفة المطمئنة بغية المال والسيطرة ضاربة عرض الحائط بمبادىء العدالة والقيم الاخلاقية ومرتكبة شر انواع الظلم والعدوان من قتل الابرياء وتكثير الأيامى وتشريد اليتامى الى ما ينتشر من مخزيات وموبقات من خمور وقمار وفجور ولهو ومجون وقضاء على البقية الباقية من رصيد روحي وحياء ومروءة بين المستضعفين : فاين المفر من مخزيات الاستعمار ومن رواسبه وسمومه في النفوس والافكار ؟ وكيف الخلاص من تقاليده المادية الضارة في امم عاشت بروحانية طاهرة ، حلقت بها نفوسها في اوج القناعة والرضى والاطمئنان وسلامة القصد وراحة الضمير ؟ فاصبحت الامم الشرقية بهذا التعدي والاستعمار الاوربي البغيض فاقدة لاستقلالها السياسي وفاقدة للتحرر الاقتصادي ، وفاقدة لشخصيتها الفكرية والاجتماعية ؛ بل اصبحت في خطر يتهدد عقيدتها الدينية . فكان لزاما على مختلف طبقات الامة ان تكافح للخلاص وتحطيم كل هذه القيود ، فتعاونت جميعها في مغربنا على الخلاص السياسي حتى وقع الاعتراف بالاستقلال رسميا ؛ واحرز بفضله ولا زالت للاستعمار ذيول نرجو الله ان يعين على تطهير البلاد منها في القريب . وقد اصبحت الرغبة في التحرر الاقتصادي والفكري واحياء مقومات الامة وتقاليدها الصالحة في الحياة بعد هذه النكبات المختلفة التي تشغل بال اكبر المسؤولين وبال المفكرين المصلحين في هذا البلد الامين ، اذ يصعب على اية امة من الامم ان تنسلخ من تقاليدها ومقوماتها لتتقمص تقاليد غريبة عنها ، كما يريد ان يلبسها هذا اللون من الحياة بعض المشايعين للاستعمار او خلفاؤهم في هذه الديار ، لان هذه الحياة الغربية ستجعل الامة بعيدة عن تقاليدها وروحانيتها الشرقية التي استقرت اوضاعها فيها منذ قرون واجيال ، وكانت راسا فيها بامجادها وتاريخها وفتوحاتها وصلاتها المتعددة بامم الشرق من رحم وعقيدة وتشريع ولغة واخلاق وتقاليد ، وفي وقت انسلاخ الامة عن كل هذه المقومات تريد تلك الفئة الشاذة ان تجعلها ذنبا تابعا لاوربا ، وامة دخيلة عليها ، ولصيقة فيها ، فتتبرا الامة من شقيقاتها الشرقية والعربية وتصبح عالة على اوربا في كل مقوماتها وهذا ما لا يرضاه لهذه الامة مخلص لامته ودينه ووطنه .

وهذه الحالة المنذرة بالخطر هي التي بعثت عاهل المغرب مولانا محمد الخامس نصره الله على توطيد دعائم الصداقة مع دول الجامعة العربية بواسطة سفراء المغرب بالرحلة الميمونة التي قام بها بطل تحرير المغرب بنفسه في اول العام المنصرم الى تلك الدول ودرس قضايا الاسلام والعروبة معهم عن كثب ، ومن المناسب هنا التنويه بحملة التعريب الاداري الواسعة التي تقوم بها الحكومة المغربية وعلى راسها جلالة الملك .

وانا لنرجو ان يتخذ في القريب العاجل سياج من الاحتياطات تحفظ القيم الروحية وارصدة المغرب الروحية من الانهيار كما تتخذ الوسائل الاقتصادية لحفظ كيان المغرب الاقتصادي وبذلك يمكن المغرب ان يحتفظ بجميع مقوماته معنويا وروحيا واقتصاديا وتصبح دولة لها وزنها التام في الميزان الدولي العام .




للأستاذ أبي العباس احمد التيجاني

تسابق الشعوب الى خلع ربقة الاستعمار من اعناقهم يعد فتحا لطريق انجاز ما وعد به الله سبحانه من ظهور دين الحق على الاديان كلها ؛ بيان ذلك ان الاستعمار في جوهره نظام حربي في الباطن ديموقراطي في الظاهر ، ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب، المحور الذي يدور عليه هذا النظام (ارادتي هي القانون) والهدف الذي يرمي اليه تذليل ظهور الاهالي واسلاس قيادهم ليصيروا مجرد فلاحين عند الحكومة بشهادة ما كتبه مشاهير مؤرخي القوم انفسهم ، اذكر من بينهم الكاتب الكبير اوجين كاط واقتطف من كتابه تاريخ افريقيا الشمالية ما نصه : « ان سياسة فرنسا ( ولا مفهوم لفرنسا اولاد عبد الواحد كلهم واحد ) تحذو حذو السياسة الرومانية التي رسمت خطة لها تصير الاهالي فلاحين واجراء عند الحكومة » .

لذلك كان من اصول هذه السياسة ضرب نطاق الحصار على البلاد الواقعة في ثقاف جدول القوم لتسم السعي كل السعي الى اقامة نظام يضمن الراحة والهناء للدخلاء واعقابهم واعقاب اعقابهم هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى اخماد كل ما من شانه ان يحفظ للاهالي تقاليدهم ومقدساتهم ؛ لهؤلاء الراحة والاحترام مع الوسائل التي تكفلها لهم ، ولاولئك الكد والامتثال :

ولجندب سهل البلاد وعذبها
ولي الــباخ وحزنهن المجدب »

على حد ما قال احد دهاقنة الاستعمار المعتمد السابق اربا بلان اثناء جلسة المجلس الشوري بمسمع من جميع الاعضاء مغاربة وفرنسيين : « نحن الدماغ المفكر ، وانتم الاعضاء العاملون » يضاف الى هذا ما هنالك من خبايا في زوايا الاستعمار ، اذكر منها للعبرة اني كنت يوما في القطار ما بين تلمسان والجزائر العاصمة فسمعت من راهبة تقول لرفيقة لها اوروبية عندما رات بعض البنات المسلمات لابسات للزي الاروبي: « وصلنا مع الجزائريين الى طور التجنيس ، ثم ننتقل الى طور آخر طور التمسيح » ، فلم اتمالك ان لاحظت عليها ان التمسيح الذي ذكرت كشف عنه الشام علماؤكم بكيفية تدعو اهله انفسهم الى الخروج منه اكثر مما تدعو الجزائريين او غيرهم الى الدخول فيه ، من بين هؤلاء العلماء المؤرخ الشهير بيار رهم في كتابه تاريخ الديانات العام ، والفيلسوف ليون دوني صاحب التاليف الجمة ، والفيلسوف ديدرو ، فلاحظت علي مقطبة الوجه ان اقل ما يقال عن الديانة المسيحية انها ديانة التمدن والترقي؛ فاجبتها على الفور بان قولها هذا بان المسيحية هي ديانة التمدن مصادم لتعاليم الكنيسة المدونة في سفر السيليوس ؛ لائحة الاقوال التي يحكم على قائلها بالردة؛ ونص ما جاء في هذه اللائحة : « ملعون من يقول او يعتقد بان البابا رئيس الكنيسة يمكنه او يجب عليه ان يتصالح مع التمدن ويبارك في الرقي » على هذا تفرقنا عندما نزلنا من القطار ، فذهبت مع رفيقتها وهي تلتفت الي من حين لآخر في استغراب وامتعاض .

نظرت اليك بحاجة لم تقضها
نظر المريض الى وجوه العود

اعود الآن الى الموضوع المترجم له في العنوان فاقول :

من وسائل الاستعمار الاساسية ضرب نطاق الحصار على الشعوب التي وقعت في ثقاف جدوله

وترويضهم على استحسان ما يحسنه لهم واستهجان ما يهجنه ، والحق يقال لقد صدق ابليس الاستعمار ظنه على شعوب افريقيا السوداء ، دخل اوطانهم فاتحا بالجيوش والرشاشات ، ومن ورائه جحفل المبشرين . شاهدت بعيني هذه الحقيقة المرة اثناء رحلة قمت بها الى سويسرة في جمعيات عمومية ثم من سويسرة الى امريكا ، وهل في تمسيح امثال هذه الشعوب الساذجة ما يدعو الى العجب اذا فكرنا فيما يجنده الاستعمار من مرتزقة المبشرين ، وما ينفقه من الاموال ، وينشئه من المؤسسات على حساب الشعوب المحتلة نفسها ، وبعبارة جامعة ان الغاية التي يرمي اليها الاستعمار هي تذليل ظهور الاهالي لاجل استخدامهم في مصالحه الخاصة والعامة اولا ، ثم الاجلاب عليهم بخيله ورجله لاجل تمسيحهم ( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) لكن لكل غائب قفول ، ولكل نجم افول ، لقد طلع النهار، وارتفعت الشمس في الافق ساطعة وهاجة ، واخذ زبد الباطل يتبخر والسحب تنقشع، فاصبحنا نرى الشعوب على تفاوت درجاتها في الوعي والاستعداد تتسابق مثنى وثلاث ورباع الى الدخول في حظيرة الامم الحرة ، ونرى الحواجز من حولها تهوى وتتساقط ، تلك الحواجز التي كانت بالامس تحول بين امثال امير البيان شكيب ارسلان وبين الدخول للمغرب .

على هذا الطريق درج الاستعمار من اول نشاته الى اليوم بالرغم عما لايزال الزمان يمليه عليه من الدروس، ويسديه اليه من العبر ، وبالرغم مما وصل اليه المجتمع البشري من تعارف وتقارب ، لا يزيد هما كر الغداة ومر العشي الا التحاما واحكاما ، حتى كان الزمان اصبح يتكلم بجميع الالسن مثل المجانة التي يتكلم حلقها النحاسي جميع اللغات يفهمها كل احد .

بعد هذا الاستعراض الوجيز لدولة ابي هول الاستعمار وملتويات طرقه واساليبه اقول ان اجل نعمة نذكرها لهذا العهد الجديد اننا اصبحنا نرى فيه صروح الاستعمار تتقوض الواحد بعد الواحد ، وانجلى ليله البهيم عن شعوب هبت متسابقة في حلبة الاستقلال بعد ان نسفت نطاق الحصار الذي كان مضروبا عليها ، حصار كان اقفل الابواب وسد النوافذ للحيلولة دون كل ما من شانه ان يبعث على اليقظة وينبه الشعور بالقومية والجنسية . والآن وقد اصبحت جنة الحرية مفتحة ابوابها ، فسيحة رحابها ، دانية قطوفها ، يحق لنا ان نقول للاستعمار :

ان قاضي الزمان قد سوى بين الخصمين كنت بالامس انت الآمر الناهي كنت كما تقول دهاقنتك انت الدماغ المفكر ونحن الاعضاء العاملون الكادحون ، لقد نفضنا ايدينا من تراب دفن الاستعمار ، واصبح السائد والمسود على قدم السواء ، نزولا على حكم الفطرة ، وتحت سمائها ، وفوق ارضها تكون المسابقة بين الجميع في الخيرات يحفزنا نحن معاشر المسلمين ما امر به كتابنا الذي يقول : ( ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات ) ونبينا من جهته يقول ( اليوم الرهان ، وغدا السباق ، والجائزة الجنة ، الناس رجلان ، رجل يعمل لمحو السيئات ، ورجل يعمل لعلو الدرجات ، ولا خير في سواهما ) .

قلت فيما تقدم ان الاستعمار نال بغيته وبلغ امنيته من افريقيا السوداء فعمم التمسيح بين اهلها، والتمسيح كما هو معلوم في عرف الاستعمار بمنزلة الجنسية الروحية ، اعانه في هذا السبيل عدم المزاحم بسبب التطويق المضروب على تلك الشعوب ، الامر الذي مكنه من بسط شبكة التبشير بكل اطمئنان ، وبكل ما لديه من وفرة الامكانيات الحسية والمعنوية ، فجال ما شاءت غفلة الشعوب ان يجول، وصال ما شاء له دهاؤه وحنكته ان يصول ، تلكم صفحة طواها الزمان ، فيما طوى ولم يبق لها ذكر ، اللهم الا ما كان من امر مناقشة الاستعمار الحساب ، يحكى عن اهل البادية ان ذئبا من الذئاب كان ياتي لاولاده مرة بخروف يخطفه ، ومرة بجدي ، فقال له احد اولاده يا ابي هذه اللحوم هل تدفع ثمنها فاجابه: اذا لم ارجع فذاك وقت الاداء .

تقديما للاهم افتح مناقشة هذا الحساب بالكلام على انكى واعمق طعنة وجهها الاستعمار للمسلمين في دينهم ، وهي ما شاهده اهل الجزائر اثناء احتفال القوم باحتلال الجزائر سنة 1830 شاهدوا يومئذ اللافتات في ايدي رجال الكنيسة موشاة منمقة بما لفظه: ( اتدرون مغزى هذا الاحتفال ؟ مغزاه تشييع جنازة الاسلام في هذا القطر ! ! ) بمثل هذا ناعت السنة القوم جهارا علانية ، وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون . ان الاسلام يجيبكم :

هي الشمس مسكنها في السماء
فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعود
ولن تستطيع اليك النزولا

وان شئتم زدتكم شهادة احد ابنائكم المارشـــال بيجو القائد الاعلى لجيش الاحتلال الـذي يقـــول في مذكراته : ( لقد خبرت اهل الجزائر واختبرتهم طيلة سبع عشرة سنة غاية ما اقوله عنهم : انه لو طبخ راس جزائري مع راس فرنسي في قدر واحدة لافترقت مرقة هذا من مرقة هذا ) .

وبعد هذا وذاك اقول للقوم : اني آنست من خلال رماد الاستعمار جذوة ستطير منها الشرارة المبشرة بانجاز ما وعد به الكتاب حيث يقول : ( هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلـــه ) والبوادر المبشرة هي ما حكم به الزمان من انهيار صروح الاستعمار وتهافت الحواجز التي سور بها اقطاعاتـــه فتفتحت بذلك الابواب في وجوه الدعايات والاتصالات ليصبح الكلام للحجة لا للقوة ، لاسيما والحجة زيادة على ما لها من قوة وسلطان قد حباها الزمان بعاملين مـن اقوى العوامل عامل حسي وعامل معنوي : العامـــل الحسي روسيا ومن الى جانبها شاهدنا برهان سطوتها في قضية العدوان الثلاثي حيث كفى مجرد انذار منها لرد المعتدين الثلاثة على اعقابهم بريطانيا وفرنســـا ونالتهم كلهم . والعامل المعنوي: ما استفدناه من علمائك انفسهم من تضعضع اسس المسيحية واكتشاف الجرف الهاري الذي تتماسك عليه . كلا العاملين جاءا حاملين لهذه الرسالة من عندكم وهما منكم واليكم ويرحم الله القائل ( ولكل شيء آفة من جنسه ※ حتى الحديد سطا عليه المبرد ) وسوف تعلمون ان من كان بيته من زجاج لا يرمي الناس بالحجر . ولا عجب ، بهذا وبمثله جاءت السنن الاجتماعية ( بقاء الباطل في غفلة الحق عنه ) وكذا السنن الالهية ( ان الباطل كان زهوقا ) ومثله قول بعض العارفين : ( ان الله يدفع في كل زمان مدبرا بمقبل ومبطلا بمحق وفرعونا بموسى ودجالا بعيسى فلا تستبطيء ) .

---

« عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي ص قال : مثل مـا بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به » .




العقيدة السليمة خير مركب لعناصر الحضارة في النفوس واقدر على خلق امة والصعود بها في مدارج الرقي والكمال ، وبما ان الحضارة ليست سلعة تباع في الاسواق ولا حبوبا تستنبت من الارض ولا مركبا كيماويا يصنع في المعامل وانما هي اشعاع روحي ينبثق من اعماق الانسان في صورة مركب من عناصر الحياة : عناصر الحضارة الاساسية التي اشرنا اليها في مقالاتنا عن استاذنا مالك بن نبي ـ بان الدين كان وما يزال ـ هو الشرارة التي تعتمد عليها الحضارة في بناء كيانها وهو الاساس الذي تبنى عليه المدنيات ، وسرعان ما يتزلزل البنيان اذا ما ضعف الاساس .

ولاستمرار الحضارة في حالة سليمة وصحيحة لابد من وجود وعي صحيح وحذر دقيق ، اذ قد يتسرب الى النفس التي انبثق منها ذلك الشعاع جراثيم فتاكة وافكار خاطئة ، وضالة ، فتشوه الفكرة وتسلبها سر فعاليتها ، فتقتل روحها ، وتتركها جثة هامدة ، تعبر عن الشكل دون الجوهر ، وقد تتعرض الجثة لعوامل الفساد والفناء ، وقد تبقى محتفظة بدماء ، تعطي بعض الامل في الاستعداد لعوامل الحياة والتجدد اذا وجد من ينفخ في أرجاء تلك الجثة نفخة البعث والاحياء ، وهذه قصة الدول والامم : منها ما يفنى الى الابد ، ومنها ما يقاومه الفناء ببعض ما يحتفظ به من حصانة روحية ، ولذلك فانها تتجدد في فترات مختلفة ، وقد تدخل في مركبات اممية جديدة نتيجة ظهور عقائد او افكار جديدة .

والمسلمون كانوا خير امة اخرجت للناس ، يوم كان للعقيدة الصحيحة دورها الفعال في النفوس تدفعهم الى البناء والتشييد وتقودهم من نصر الى نصر ، وتضع في يدهم الوسائل المختلفة لاستكمال كيانهم وسد حاجاتهم بما يحقق والغاية التي يرمون اليها وتبعثهم على الابتكار والتجديد ، والتوسع في ميدان العلم والفن ، وتبعدهم عن مواطن الزلل وورطات الغرور والخيلاء ، بما رسمت لهم من معالم واضحة واخلاق صالحة وسبل هادية ، وبما امدتهم به من علاقات اجتماعية بناءة .

ولما بدات عناصر العقيدة تنحل في ارواحهم ، ويضعف اثرها الفعال في نفوسهم ، بما خالطها من شوائب معوقة للنمو الروحي والفكري ، وملوثة صفاء العقيدة الاولى ، وملونة سلوك المسلمين بلون هو اقرب الى الجاهلية منه للاسلام ـ حينئذ تمكن الضعف منهم وبث في اعصابهم الارتخاء وفي عقولهم الجمود وفي نفوسهم الوهن ، فقعد بهم عن سيرهم الحضاري الرائع بل عجزوا عن الاحتفاظ بحضارتهم وفتوحاتهم ففقدوا الاخلاق والارض ، وشاع نوع من الانظمة السياسية بعيدة عن ان تحقق اهداف الاسلام ، واستولى العبيد والمغرورون على مقاليد الامة الاسلامية ، واصبحت اهدافهم ومثلهم تنبثق من بطونهم وفروجهم ، وخضع الكل لتحقيق تلك الاهداف ، كما شاعت في المجتمع الاسلامي عقائد تضلهم عن طريقهم وتسلك بهم في مهاوي الانحطاط ومزالق الفناء ، اذ كانت تصادم معاني التوحيد الصافية وغيرها من العقائد التي كانت تشكل منابع السعادة للمجتمع الاسلامي .

ومن الطبيعي ان يكون لعوامل الهدم زمن طويل ليتاح لها القيام بدورها في تهديم ذلك الصرح العظيم الذي بني على اسس قوية ، وقيم خالدة ، ومنذ الفتنة الكبرى وتلك العوامل تتعاون وتتفاقم خط هجومها على المجتمع الاسلامي في العقائد والافكار ، وكانت

نتيجة التفاعل بين العرب وغيرهم ان فقد المسلمون كثيرا من خصائصهم الفاضلة على مر الزمن ، واستطاع الدخلاء والمتآمرون على الاسلام ان يؤثروا على المجتمع الاسلامي في حياته العامة والخاصة وكانت لنتيجة ضعف الوعي العام وقلة الحذر مما يهدم الحضارة الاسلامية ان استسلم المسلمون الى نوم عميق واتخذوا المؤخرة مستقرا لهم حيث لا ازعاج هناك ، وجمدوا كذلك قرونا طوالا يتحكم في سلوكهم غرور ارعن: يحجب عن اعينهم حقائق الحياة وسنن التاريخ ! وربما كان اشد البلاء الذي نزل بهم انهم لم يفطنوا الى تدهورهم (1) واخطر من المشكلة الجهل بها وعدم تقدير خطورتها او تشخيصها تشخيصا اعتباطيا او مزيفا لان ذلك ما هو الا اعطاء الفرصة لها كي تتعقد وبتراكم عليها غيرها ، حتى تحدث بعبئها الثقيل تصدعا في الصدح وتهيئه لان يتناثر لاقل صدمة كما تناثر العالم الاسلامي عند ما هاجمه الاستعمار الغربي .

ولكن هذا « العالم الاسلامي » على الرغم مما حل به من ويلات عبر التاريخ : من فتنة كبرى الى انقسام داخلي الى هجوم التتار والصليبيين الى الاستعمار اخيرا ما يزال محتفظا ببقية من الحياة : بشيء ولو قليل من ذلك الاشعاع الرباني ، بخميرة روحية ، وهي ذلك الاستعداد الذي يتجاوب مع صيحة المصلحين الذين لم يخل منهم التاريخ الاسلامي الى اليوم على الرغم مما يلاقونه من مقاومة جبارة من لدن اعداء الاسلام : « المواطنين » و « الاجانب » .

وقد عرف العالم الاسلامي نوعين من القيادة او من مريدي الاصلاح : نوعا مضللا عن سوء نية او عن غفلة ، ونوعا يعتمد على الاسس التي اعتمد عليها المسلمون اول الامر في بناء شخصيتهم، وما جاءت دعوة اصلاحية حقة الا صادفت مقاومة وحربا عوانا من مختلف الجهات ، فعند ما حاول المسلمون النهوض في اواخر القرن الماضي واوائل هذا للتخلص من اسباب الانحطاط ولانقاذ البلاد الاسلامية مما يهددها من استعمار وجدوا امامهم قوة خطيرة تحاربهم ليس في الميدان الحربي بل في الميدان الفكري : فكانت حركة الاستشراق احدى جوانب تلك الحرب بما استعملته من وسائل التضليل وقلب الحقائق والدس والمكر ، وقد وجد الاستعمار في « بعض » المسلمين من هم على استعداد لبيع ضمائرهم وتقديم خدمات جلى في الميدان الديني والعلمي لمصلحة الاستعمار واهدافه .

فتاسست مذاهب وابتدعت افكار وتكونت احزاب و « مدارس » القصد منها مقاومة الاصلاح بوسائل التهريج على المسلمين ، وفي ذلك يقول استاذنا مالك في انشودته الرمزية الرائعة : « ها هم ينصبون الآن على باب المدينة التي تستيقظ ، السوق وملاهيه لكي يميلوا هؤلاء الذين جاءوا على اثرك ويلهوهم .

وهاهم قد اقاموا المسارح والمنابر للمهرجين والبهلوانات لكي تغطي الضجة على نبرات صوتك .

وها هم قد اشعلوا المصابيح الكاذبة لكي يحجبوا اضواء النهار ...

وها هم قد جملوا الاصنام ليلحقوا الهوان بالفكرة (2) » .

ولهذا كان على الاصلاح ان يحارب في واجهتين ، واجهة الاستعمار الصريح وواجهة الاستعمار الخفي الذي يتقمص « شخصيات اسلامية» وافكارا تجديدية صادرة عن المسلمين ويكمن خلف مؤسسات ومنظمات وكتب ونشرات يوجهها حيث يريد؛ ولكي يتقن المؤامرة يلبس بعلها اثوابا علمية — وما العلم حينئذ الا عنوانا كاذبا لا يدل على معناه المقدس — وهذه الواجهة اخطر على المسلمين من الواجهة الاولى بما لديها من فعالية مضللة وخداعة ، وبما تتوفر عليه من قوة النفوذ الى نفوس البسطاء والمغرورين والمرضى بحب الظهور عملا بقاعدة « خالف تعرف » وهذه الناحية من المؤامرة على الاسلام لا تزداد الا حدة وتكاثرا مع الايام ، بما نشاهد من سريان افكار غريبة عن الاسلام تتردد في اجواء العالم الاسلامي ويكاد بعضها يصبح قاعدة عامة لا تحتاج لمناقشة او برهان (3) . واذا قمنا بمقارنة تاريخية تبين المؤامرات الحديثة والمؤامرات القديمة على الاسلام فسنجد تشابها كبيرا في الاهداف بل وفي كثير من الاساليب كتزييف نصوص دينية وتاويلها

---

1) الاسلام بين امسه وغده — للدكتور محمود قاسم
2) شروط النهضة ومشكلات الحضارة ص 16 للاستاذ مالك بن نبي
3) ان المراكز الثقافية الاجنبية في البلاد الاسلامية اخطر علينا من المراكز العسكرية

تاويلا فاسدا لمهاجمة القيم الاسلامية مهاجمة غير مباشرة حيث لم ينفع الهجوم المباشر ، وكمحاولة للانتقاص من رسول الله ( ص ) بقلب الحقائق وتجاهل الوقائع وما لديها من ارتباط ، وبالانتقاص من اصحابه الاجلة توسلا للنيل منه ، فهذا احد زعماء القرامطة والباطنية يوصي اصحابه بقوله : لا تشتموا محمدا بل ابكوا عليا وتأسفوا عليه وادعوا انه كان احق بالخلافة من الشيخين واشتموهما فانكما ان شتمتموهما شتمتم صاحبهما ، وهذه خطة الاستعمار اليوم في محاربة الاسلام حيث عجز عن تحطيمه مباشرة ، فالاستعمار لا يقول لشباب المسلمين لاتصلوا ولكن يبتدع افكارا ومفاهيم خاصة تتعاون لتضعف الايمان بالصلاة ، فيترك الشاب المسلم الصلاة اعتمادا على افكار اعتنقها وآمن بها وتوهم انها من وعيه وابتكاره فالفكرة المتداولة « بان الصلاة رياضة ابدان » لا يراد منها تبرير الصلاة علميا والرفع من شانها وانما يراد تعليلها تعليلا عاديا وسخيفا ، حتى اذا ما استقر هذا التعليل في النفوس ، تلاشى عنها المعنى الديني المراد ، وكان من الهين ان يستغني الانسان عن هذه الرياضة « ما دام يتابع رياضة بدنية منظمة . ولا عجب ان تكون هذه الفكرة وامثالها قد ملات العالم الاسلامي ولقنت حتى للاطفال الصغار ، ومن تلك الافكار « الدين لله والوطن للجميع » ابتكرها الاستعمار في الشرق لحمل المسلمين على التخلي عن دينهم من اجل التاخي في القومية في حين يظل المسيحيون على عقائدهم دون تغيير ، فالقومية (1) اذن فوق الاديان ، فهي التي تحدد لنا شروط الاخوة دون الدين .

فالفكرة اذن موجهة ضد الاسلام : لقطع العلاقة بين العرب وبين فكرة الخلافة وبينهم وبين الشعوب الاسلامية من جهة اخرى حتى اننا سمعنا مرارا وتكرارا انه لا معنى للتآخي مع الاندونيسي البعيد ، واهمال الاخ العربي المسيحي المواطن ، فالاخوة يجب ان تكون في دائرة القومية لا في دائرة الدين ، وهكذا اصبحت كتلة من الشبان لايؤمنون باخوتنا نحن العرب مع اخواننا المسلمين غير العرب ، ويلاحظ على هذه الفكرة التي صنعها الاستعمار وطبخها وجهزها وقدمها سما زعافا لبعض السذج ـ يلاحظ عليها كثير من السذاجة والغفلة وضعف التفكير لانها تجعل اخوتنا للمسلمين غير العرب شرطا لعداوتنا لاخواننا المسيحيين العرب ، والعكس بالعكس ، مع أن تعاليم الاسلام ترفع هذا التناقض، فالاخوة الاسلامية لا تعني عداوة احد ، اما موقف الاسلام من المواطنين غير العرب فيتسم بالعدالة والرحمة والعطف مما لايوجدلدىالامم الاخرى والتاريخ شاهد علىماتقول ، والغربيونانفسهم يعترفون بذلك .

فهذه الافكار وامثالها كثيرة تسربت الى فكر المسلمين وعاداتهم واخلاقهم وكما توجد بعض السموم التي بثها اعداء الاسلام وبعض المخطئين من ذوي النيات الحسنة في ثقافتنا الاسلامية القديمة فكذلك توجد في ثقافتنا الحديثة من تلك السموم التي يراد بها عرقلة نهضتنا وتضليل خطواتها ، ولها دور كبير في انحرافنا عن الجادة الاسلامية وما زالت تلك المفاهيم الخبيثة تتوارد على العالم الاسلامي في اثواب علمية وعادات مدنية الامر الذي يشوه العقيدة الاسلامية ويشل فاعليتها في النفوس (2) ؛ ولم تذهب مؤامرة الاستعمار الثقافية سدى بل استطاعت ان توجد في البلاد الاسلامية عصابات تشهر السلاح على الاسلام وتهاجمه في كل مناسبة وتعمل على اقصائه واستئصاله من الحياة الاسلامية الحديثة عن طريق استبدال الشريعة الاسلامية بقوانين الكفار وتحطيم الثقافة الاسلامية واهالة تراب النسيان على تراثنا الثقافي واحلال الثقافات الاجنبية محله ؛ غير أن الميدان لم يبق فارغا لهؤلاء طيلة التاريخ الاسلامي بل هناك رجال مؤمنون حاولوا انقاذ العالم الاسلامي مما يتخبط فيه ومقاومة الدجالين والمهرجين والامام الشيخ محمد عبده احد اعلام اولئك الابطال في عصرنا الحديث الذين اثروا في فكرة الاصلاح بلتزعموا تلك الفكرة ، وموعدنا العدد المقبل بحول الله لنعيش لحظات مع الفكرة الاصلاحية عند محمد عبده رحمه الله .

---

1) ان القومية من الناحية السياسية الزمنية نحبذها ونظاهرها ونعمل من اجلها اما ان تكون هي الاساس في نهضتنا فاني على يقين من انه لاينهض بهذه الامة الاالعقيدة الاسلامية .

2) ان تصفية التراث الاسلامي من الدخيل والسموم المبثوثة فيه لهو اجل عمل يجب أن يقوم به علماؤنا كما فعل اسلافهم الكرام .

# مناط التفاضل والمساواة بين الافراد في شريعة الاسلام

للاستاذ ابي عبدالله

ينحو العصر الحديث نحو المساواة ومحو الفوارق في الاعتبار من اللون والجنس والعنصرية بين بني الانسان ، وان الباحث في شريعة القرءان يجدها اقرت التفاضل بين البشر في جوهر الفضل ، ومحت الفوارق في باب الحقوق والعدل ، اقرارا بالحق وحفظا للامن ومصالح المجتمع في الوجود ؛ فقالت الآية ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال الرسول عليه السلام لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لابيض على اسود الا بالتقوى . فبالتقوى يزيد الفضل ويكثر الفرق بين الافراد وقد بين الرسول الاخيار من الاشرار بين جماعة المسلمين فقال : خيركم من يرجى خيره ويومن شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يومن شره . والتفاضل في الكمالات الانسانية الروحانية بتطهير النفس والاعمال الصالحة لا يمكن نكرانه من اي منصف .

اما في باب الحقوق والواجبات فقد سبق الاسلام الى جوهر المساواة بين جميع المومنين في اول ما يشهدون بعقيدة التوحيد ورسالة محمد عليه السلام فكان شعار الدعوة الى الاسلام من اجاب الدعوة له ما لنا وعليه ما علينا ، جاء في رسالة عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص حين افتتح العراق قوله : وقد كنت امرتك ان تدعو من لقيت الى الاسلام قبل القتال فمن اجاب الى ذلك قبل القتال فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، وله سهم في الاسلام اي وقت قسمة الغنائم بين المجاهدين . انتهى ، رواه ابو يوسف في كتاب الخراج .

فهذا المبدا الذي هو شعار دعوة الاسلام قد محا العنصرية والشعوبية ومحا الجنسية التي صارت الآن ذات قوانين واقتلع جدورها من المجتمع الاسلامي فلا تبعية لقطر من الاقطار والدولة من الدول بل اوطان الاسلام عامة لجميع المسلمين دون اعتبار لون ولا جنس فالمسلمون اخوة وقانونهم واحد هو الشرع الاسلامي وربهم واحد وامتهم واحدة ، على هذا الاساس السليم عاشت الخلافة الاسلامية في خير القرون فلم تكن لدى الحكومة الاسلامية شروط في الجنسية ولا اعترف لتبعية افراد معينين غير اتحاد العقيدة والدين .

ومما ينبغي الاشارة اليه في هذا الموضوع بعض الحقوق المدنية والجنائية التي يحصل فيه اشتباه في باب المساواة ، من ذلك قضية القصاص في القتلى هذه القضية اقر فيها ائمة المالكية عدم المساواة بين الحر المسلم وبين الكافر بينما اقر فيها المساواة ائمة الحنفية والكل يستدل بالآية يا ايها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فالحنفية يقولون بالقصاص في عموم القتلى ، ويرون ذكر الامثلة بعض نص العموم لا يخصص العموم وقد وقعت مناظرة عجيبة بين الزوزني من علماء الحنفية وبين عطاء المقدسي امام الشافعية بمحضر الحافظ ابن العربي الذي نقل خلاصة من تلك المناظرة عند تفسير آية القصاص فالحنفية يقولون ان المسلم والكافر متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص وهو حرمة الدم الثابتة على التابيد فان الذمي محقون الدم على التابيد والمسلم كذلك وكلاهما قد صار من اهل دار الاسلام والذي يحقق ذلك ان المسلم يقطع بسرقة مال الذمي وهذا يدل على ان مال الذمي قد ساوى مال المسلم فدل على مساواته لدمه اذ المال انما يحرم بحرمة مالكه وكذلك يرى الحنفية ان الحر يقتل بالعبد لعموم صدر آية القصاص كما يقتل الذكر بالانثى .

ونحن عندما نذكر صلاحية شريعة الاسلام لكل زمان ومكان لا ننظر اليها من خلال مذهب معين بل ننظر الى اصولها وجهها الوجه من غير تقيد بمذهب خاص ، وعلى هذا فمبدا

المساواة في القصاص يتحقق على مذهب الحنفية وهـذا هو المناسب لحرمة الانفس وحفظ الامن في البلاد ويؤيده قتل الجماعة اذا اعتدت على الفـرد الواحد مشتركة في قتله . وقد يرد هنا تساؤل عن الرق الذي شرع لـه الاسلام شرائع في المعاملات فنقول ان الارقاء هـم في الاصل اسرى حروب يمكن لامام المسلمين ان يحررهـم او يقبل الفداء عنهم او يسترقهم اذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين ، وقد شرع الاسلام لهـم مـن الحقـوق ان يطعمهم مولاهم مما ياكل ويكسـوهم مما يلبس ولا يكلفون من العمل ما لا يطيقون كما فتح لتحررهـم وعتقهم في الكفارات عن الايمان وفي غير الكفارات من القربات ما لا يبقى معه اي رقيق مع الايام ، ونحن نعلم ان الحـــرب الدولية الاولى والثانية في هذا القرن خلفت من الاسارى العدد العظيم وقد لاقى هؤلاء من الارهاق والقتل بالجملة ما يعد التشريع الاسلامي في جانبه ارقـى ما عرف في التاريخ الانسانـي من الرفق والعطف على هؤلاء .

وقد اعتبر الاسلام مساواتهم في روايـة الكتـاب والسنة كما اعتبر شهادتهم في الحقوق وان الفاهـا بعض المذاهب فذكر الحافظ بن القيم في كتابه الطرق الحكمية الحكم بشهادة العبد والامة في كل ما تقبل فيه شهادة الحر والحرة قال وهذا هو الصحيح من مذهب احمد وعنه تقبل في كل شيء الا في الحدود والقصاص لاختلاف العلماء في قبول شهادته فلا ينتهض سببا لاقامة الحدود التي مبناها على الاحتياط والصحيح الاول .

وقد حكى اجماع قديم حكاه الامـام احمد عـن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال ما علمت احدا رد شهادة العبد ، وهذا يدل على ان ردها انما حدث بعـد عصر الصحابة واشتهر هذا القول لما ذهب اليه مالـك والشافعي وابي حنيفة وصار لهم اتباع يفتون ويقضون باقوالهم فصار هذا القول عند الناس هو المشهور ولمـا كان مشهورا بالمدينة في زمن مالك قال : ما علمت احدا قبل شهادة العبد ، وانـس بن مالك يقول ضـد ذلـك ، وقبول شهادة العبد هو موجب الكتاب والسنة واقوال الصحابة وصريح القياس واصول الشرع وليس مع من ردها كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس انتهى كلامه.

ونحـن نعلم ان عهد الارقاء الافراد قد مضى ولم يبق غير استرقاق الامم التي تمسكت بعض دول اوربـا به وهو في طريق الزوال بحول الله ، ولكن يهمنا فـي الدرجة الاولى ان نثبت سمو التشريع الاسلامي لنبين فضل هذه الشريعة في الوجود ونسير على مقتضاهـا في حياتنا والله ولي المومنيـن .

---

**اخوانكـم خـولكـم**

قال ابو ذر اني سابيت رجلا فعيرته بامه فقال لي النبي ص : يا ابا ذر اعيرته بامه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ! اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحـت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسـه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم .

أبحاث ومقالات

# علماؤنا والتبادل الفكري بين المغرب والمشرق

للأستاذ: عبد العزيز بنعبد الله

**لعل** ابلغ الروابط واعمقها بين الشرق والمغرب العربي قد تحققت على يد رسل الفكر الذين كانـــوا يتواردون من المغرب بالالاف (1) كل عام علـى مختلف اقطار الشرق فيصلون اسانيد الغرب باسانيد الشـرق ويتبادلون الوان العلوم والفنون ويجددون الاواصـــر المتينة التي ما فتئت تتجلى منذ ازيد من الف عـام في الوحدة الفكرية والروحية القائمة بين جناحي العروبـة والاســلام .

وكانت لوفود المغرب الى المشرق اهداف مختلفة فريق عابر يتجه الى الحجاز عن طريق طرابلس ومصـــر للحج والزيارة وقد يستفيد من العلماء الذين تجعلهـم الصدفة في طريقه وفريق ثان يقصد علماء معلومين للاخذ عنهم وفريق ثالث يستوطـن الشـــرق او يقيم طويلا في رحلات شيقة عبر اسيا والشرق الادنى ثم يعود الـى المغرب وكان ملوك المغرب يوفدون في الغالب ركبا رسميا للحج لتجديد الروابط مع حكومات الدول الشقيقة .

ويحمل هذا الركب هدايا لامراء طرابلس ومصـــر والشام والحجاز واليمن وجوائـز سنية لرجال العلم والادب في كبريات العواصم علاوة على الاموال الطائلـة التي توزع على الطبقات العربية المعوزة وكـان الشعب المغربي يسهم بحظ وافر في هذه الاكتتابات الدوريـة ويوقف الاوقاف الضخمة لتركيز هذه الميرة .

وقد ضرب المنصور السعدي المثل الاعلى لتثبيت اللحمة الروحية بين الشرق والغرب فبعث الى علماء مصر يستجيزهم رغبة في توثيق الاسانيد فاجازه محمد البكري وبدر الدين القرافي .

وكان المنصور هذا يكرم العلماء فلذلك كثر عليـه الوافدون من الحرمين وبيت المقدس ومصـــر والشام والعراقين والهند فاجتمع لديه مرة مدني ومكي وقدسي ( الاعلام للمراكشي ج 1 ص 47 )ومن حسن سيرتـه ترجاه اهل مصر وغيرهم ان يكون ملكهم (ص 50) .

ومعلوم ان المهدي بن تومرت ملك المغرب اجتمـع في الشرق بالغزالي والطرطوشي ودرس هنالك علـــوم الشريعة والحديث والاصول وقد ذكـر ابن ابي زرع ان المهدي لقي مشايخ واخذ عنهم ونبـغ في الاصـــول ولازم الغزالي ثلاث سنيـــن (2) .

ولما توحدت مصر والشـام والقدس تحت رايـة الايوبيين عام 583 انقض عليها المسيحيون من كل جهة وتتابعت اساطيلهم لاعتراض الاسطول الايوبي الرابض بالاسكندرية فاستصرخ صلاح الدين بالمنصور الموحدي طالبا اعانته بالاساطيل المغربية بمنازلة عكا وصـــور وطرابلس والشام واوفد الى مراكش ابا الحرث عبـد الرحمن بن منقذ الشامي فامده السلطان على قول ابـن خلدون بمائة وثمانين قطعة من الاسطول المغربي في حين انكر مؤرخون اخرون هذا الامداد .

---

1) ذكر كودار في تاريخ المغرب المصنف عام 1860 ان ثلاثة ءالاف مغربي يسافرون كل سنة الى الخـارج منهم اربعمائة او خمسمائة الى اوربا والباقـي الـى الشـرق ( ص 242 )

2) اكد ملاقاته مع الغزالي اصحاب الحلل الموشيـة ورقم الحلل واليوسي في محاضراتـه وصاحب نشـر المثاني وصاحب تاريخ الدولتين والشيخ مرتضى ولم يجزم ابن خلدون في تاريخـه ولا صاحب المعجب وقطـع بنفيـه ابن الاثيـر في الكامـل

ولما استولى ابو الحسن المريني على المغربين الاوسط والادنى وجه سفيره فارس بن ميمون الى الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر والشام والحجاز ليعلمه بارتفاع العوائق عن ركب الحاج في سابلتهم وتيسر المواصلات بين البلدين فعاد برسالة تؤكد روابط المودة ثم ما لبث ملك المغرب ان اقتنى شياعا بالمشرق واوقفها على القراء ووجه وفدا فيه بعض الادباء مع هدايا ثمينة جدا احتفاء باخيه ملك الكنانة وقد احتفل الشعب المصري بمقدم الوفد المغربي في يوم مشهود وصفه ابن خلدون وابن مرزوق والمقريزي مؤرخ مصر الذي ذكر ان الاسطول السلطاني هو الذي نقل الهدايا المغربية التي كانت عبارة عن ثلاثين قطارا من بغال النقل سوى الجمال قيمتها مائة الف دينار اي مليون ونصف فرنك بالصرف الذهبي لذلك العصر او نحو 300 مليون فرنك حالي وقد بودلت الهدايا بمثلها من منتوج مصر.

وكان للادب تفتق في هذه المناسبات فعندما وجه ابو الحسن مصاحف منتسخة بخطه الى الحرمين والقدس كتب ملك مصر توقيعه من انشاء اديب مصر الشهير جمال الدين بن نباتة في الثناء على شقيقه ملك المغرب.

وعندما توفي ابن قلاوون اوفد ابو الحسن عام 745 هـ. بعثا الى ابنه اسماعيل مع رسالة تعزية طويلة بليغة لتجديد « عهود موثقة ، وموالاة محققة والود الثابت الاركان » واخبره بالجهود التي يبذلها لانجاد الاندلس ثم اكد ان البلاد المصرية والمغربية هي «باتحاد الود متحدة ، والقلوب والايدي منها منعقدة» فاجابه ملك مصر برسالة بديعة من انشاء خليل الصفدي شارح لامية العجم .

وعندما كان امير الركب المغربي في القاهرة حمله ملك مصر الظاهر برقوق هدايا من النتاج الكنانة الى ملك المغرب ابي العباس بن ابي سالم بن ابي الحسن .

ومما يدل على اهتمام ملوكنا بمصر خاصة والشرق العربي بوجه عام ان سيدي محمد بن عبد الله حبس على مصر القاهرة والاسكندرية نسخا من ابن خلدون وابن خلكان وقلائد العقيان والاغاني ونفح الطيب وتاليف ابن الخطيب السلماني (اتحاف اعلام الناس لابن زيدان ج3 ص 251) .

وقد جلب السلطان سيدي محمد بن عبد الله من الشرق كتب الحديث المهمة مثل مسانيد الايمة احمد وابي حنيفة والشافعي وكثير من مهم المتون والشروح كما رتب لاهل الحجاز واليمن مائة الف مثقال في كل عام وفك عام 1200 هـ 48 الف اسير حتى لم يبق اسير مسلم في الشرق ولا في الغرب .

وكان الجيش النظامي الذي اسسه المولى محمد ابن عبد الرحمن يعمل تحت قيادة ضابط مصري (كودار تاريخ المغرب ص 141) .

على ان علماءنا وادباءنا كانوا يلقون نفس الحظوة عند ملوك الشرق فهذا ابو الخطاب ابن دحية الاندلسي تجول بالاندلس والمغرب واستقر بالقاهرة في كنف الملك الكامل ثم زار اصبهان وبغداد ونيسابور وشيراز ودمشق والقدس وسبتة ، وقد اخذ بالقاهرة عن ابي اسحق ابن احمد ابن الواعظ ، وكان له عند الكامل بمصر جاه عظيم وحظوة علية بعد العهد بمثلها حتى ليذكر انه هم بتنصيبه خليفة وبعثه رسولا الى الناصر لدين الله ببغداد فبعثه هذا بدوره سفيرا الى بعض ملوك العجم وتوفي بالقاهرة عام 633 هـ (الذيل والتكملة)

والخطيب ابن مرزوق الذي ولاه السلطان الاشرف الوظائف حيث دفن بين ابن الاشهب وابن القاسم (النيل ص 274) وكان يقول « ليس اليوم يوجد من يسند احاديث الصحاح سماعا من باب الاسكندرية الى البرين الى الاندلس غيري » (ص 275) وقد توجه مجتهد المغرب عبد الله الورياجلي القصري ليأخذ العلم عن ابن مرزوق فقال له ابن مرزوق « ليس احد اعلم منك فرجع » (دوحة الناشر لابن عسكر ص 26) وقد الف ابن مرزوق لامير مصر كتابا سماه « اشرف الطرف للملك الاشرف » اكد فيه ان ممالك مصر افضل المعمورة .

وقد دخل تاج الدين بن حمويه السرخسي المغرب من الاسكندرية بحرا ووصل الى مراكش ايام الامير ابي يوسف يعقوب المنصور واتصل بخدمته .

وابو البركات عمر بن مودود الفارسي جال في همذان وبغداد ومرو والشام ومصر والاندلس حيث روى عنه الرعيني وورد على مراكش ايام الرشيد من بني عبد المومن فحظي عنده واجرى له ثلاثمائة درهم وسبعة قناطير ونصف قنطار من الحواري كل شهر سوى الاكسية والهدايا والتحف (الذيل والتكملة) .

وورد على المغرب كذلك محمود بن ابي القاسم الخراساني ايام الناصر الموحدي الذي اجزل صلته وروى عنه علماء مغاربة .

وورد على مراكش وسبتة محمد بن عبد الوهاب الدمشقي الحنبلي تلميذ ابن الجوزي متطوعا على البلاد يعقد فيها مجالس الوعظ وتوفي بمصر عام 657 هـ. (الاعلام ج 3 ص 148 نقلا عن الذيل والتكملة) .

وفي اول ولاية يعقوب المنصور (عام 583) ورد على المغرب امراء الغز من مصر فانخرطوا في الجيش المغربي وجعل السلطان لهم مزية على امراء الموحدين بحيث كانت جامكيتهم شهرية وجامكية الموحدين كل ثلاثة اشهر واقطع اعيانهم اوسع من اقطاع الموحدين اكراما لوفادتهم وتمتينا للروابط بين البلدين الشقيقين (المعجب ص 177) ومن جملة ما اقتبسه المنصور السعدي من الشرق تعيين شيخ للنساخين في العاصمة ومقدم لتعليم الخط وقد قام بهذا المنصب عبد العزيز بن عبد الله السكتاني بجامع الشرفاء بمراكش كما هي العادة بالقاهرة وغيرها من بلاد الشرق (درة الحجال ص 378)

وعندما عجز الاروبيون المجلوبون لعصر قصب السكر وتصفيته واخراجه من القوة الى الفعل عن اتمام عمليتهم جلب السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الصناع المهرة من مصر القاهرة ، (الاتحاف ج 3 ص 552) .

وبالجملة فقد تبلور التأثير المتبادل بين الشرق والمغرب في شتى المجالي وابسطها حتى ان اقليم قشتالة (من تطوان الى سبو) يسميه الريفيون بالشام الصغير وان سعيد ابن صالح بنى في مدينة نكور مسجدا على صفة مسجد الاسكندرية بمحارسه ومنافعه (المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب وهو جزء من مسالك البكري ص91) وان بصرة الريف سميت بصرة العراق ، ومراكش هي بغداد المغرب (نفح الطيب ج 7 ص 174) وفاس هي دمشق الشام .

ويلذ لنا هنا ان ننظر بجملة من علماء المغرب دون مراعاة للترتيب الزمني ولكن رعيا لتأثيرهم في الشرق .

فمن كبار الرحالين المغاربة محمد الشريف الادريسي المولود في سنة عام 494 صاحب نزهة المشتاق واستاذ اوربا في الجغرافية قال في رسائل البشرى انه « طاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية وفرنسا وانجلترا قبل ان يستدعيه ملك صقلية » ( الاعلام لعباس بن ابراهيم ج 3 ص 34) وهو اول من اكتشف ان النيل ينبع من بحيرات خط الاستواء في حين ان الاوربيين لم يكتشفوا ذلك الا منذ عهد قريب (حضارة العرب لكوستاف لوبون الطبعة الفرنسية ص 508) .

والرحالة ابن جبير الذي باع املاكه بفاس ورجع للمرة الثالثة الى الشرق عام 567 هـ وكان يتردد بين الحرمين والقدس والاسكندرية حيث مات بها عام 614 هـ (الاعلام ج 3 ص 90) .

وابن رشيد الذي اخذ بالقاهرة عام 684 عن اعلام مثل خليل المراغي بالقاهرة (درة الحجال ص 138) وذي النون ابن الاسعدي المصري (ص 144) والربانيب الثلاث (ص 150) دخل مصر والشام اخذ بالقاهرة عن عبدالعظيم المنذري وبدمشق عن الدين الحراني وبالحرم عن ابن عساكر كما في رحلته المسماة ملء العيبة واحضار ما جمع بعد طول الغيبة ثم تحول الى فاس ومراكش توفي بفاس عام 721 هـ ( ص 201 ـ 203) .

وابو القاسم العبدري الحاحي الذي رحل الى الشرق عام 688 هـ وكتب رحلة وقف عليها شيوخه بمصر وغيرها واستحسنها شيخه زين الدين بن المنير الاسكندري ومن اساتذته ابن الحسن القرافي الذي له رواية عالية متسقة ببغداد والعراق ومصر وشرف الدين الدمياطي وابن دقيق العيد قطب مصر وعلمها (الاعلام لابن ابراهيم المراكشي ج 3 ص 197) .

والرحالة ابن بطوطة الطنجي الذي زار مصر وفاس والهند والصين وجزيرة العرب والساحل الشرقي لافريقيا ثم الاندلس والسودان وقد ولد عام 703 ودامت رحلته 28 عاما .

ومن التلمسانيين الذين استقروا بفاس ودفنوا بها محمد بن ابراهيم العبدري الابلي قيل انه اعلم العالم في عصره بفنون العلم دخل اخر المائة السابعة مصر والشام والحجاز والعراق ولقي بالديار المصرية ابن دقيق العيد وصفي الدين الهندي والتبريزي وقرأ بفاس فنون التعاليم حتى مهر فيها ثم لحق بمراكش فتضلع عن ابن البنا في المعقول والتعاليم والحكمة ونظمه السلطان ابو الحسن المريني في طبقات العلماء بمجلسه وهو استاذ ابن خلدون توفي عام 757 هـ (السلوة ج 3 ص 274) .

وعبد الرحمن ابن خلدون الفيلسوف المؤرخ الاجتماعي المتوفى عام 808 وقد تولى خططا سامية في تونس وفاس وتلمسان والقاهرة ، وقضى شطرا من حياته في المغرب وقد تحدث في مقدمته عن قواعد النقد التاريخي ودرس اصول المجتمع وتاثير الطقس في الانسان وتطوره الاجتماعي حتى شبه بالفيلسوف مونتسكيو .

والحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي رحل الى فارس وبلاد التتار ثم رجع الى الاستانة عن طريق مصر واختطفه القراصنة الطليان قرب جزيرة جربة ويقال انه تمسح وانه رجع الى تونس حيث مات وقد الف بالعربية وترجم الى الايطالية كتابه في وصف افريقيا

واحمد الكاملي الضرير الدرعي الذي زار المشرق وما ترك بلدة من المعمور الا دخلها برا وبحرا وكتب عدة رحلات وكان يقيم اياما في كل بلدة ثم يرحل عنها ومكث سنة في دمشق وهو متضلع في عدة فنون محدث يحفظ صحيح البخاري ومسلم باسانيدهما وكتب الاخبار والاداب ودواوين الشعراء والمولدين سريع الحفظ كان يسمع القصيدة المرة الثالثة فيسردها من حفظه تلاقى في الهند مع داود الكلكتي الذي عمر 200 سنة وتوفي ودفن بمراكش عام 1315 هـ (الاعلام ج 2 ص 244) .

ومن علماء المغرب وادبائه الذين استوطنوا الشرق او جالوا مدة طويلة في مختلف انحائه فكان لهم تاثير في الاقطار العربية او الاسلامية مروان بن عبد الملك ابن سنجون اللواتي الطنجي الذي اقام في الشرق سبع عشرة سنة يقرر الحديث والذي كان يقول « لم ادخل الى الشرق حتى حفظت اربعة وثلاثين الف بيت من اشعار الجاهلية » وهو من كبار الفصحاء في طنجة (معجم البلدان ج 6 ص 62) .

وذكر ابن دحية في «المطرب من اشعار اهل المغرب» ان عبد الملك بن زهر طبيب الموحدين رحل الى المشرق وبه طبب زمانا طويلا وتولى الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان (الاعلام ج 3 ص 63) .

ومحمد بن احمد بن جراح الجياني المعروف بالبغدادي لطول سكناه ببغداد روى عن علي الطبري وجلب من تواليفه احكام القرآن واصول الفقه والرد على احمد بن حنبل ، حفظ كتاب البرادعي قبل رحلته واستقر بفاس بعد خروجه من جيان اول الموحدين وتوفي بها عام 546 هـ ( السلوة ج 3 ص 267 ) .

ومحمد بن عامر الحمصي رحل الى المشرق واستقر بحلب والشام واقرا هنالك مدة ثم قفل الى المغرب واستقر بفاس وبها توفي بعد 580 هـ ( ج 3 ص 267 ) .

ومحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي اقام بالمشرق خمسة عشر عاما واخذ عن عشرات الاعلام بالقاهرة وبغداد والقرافة ودمشق والصعيد الاعلى والاسكندرية والقدس وطرابلس وافريقية كما تتلمذ بمصر للاختين ست الكل وست العلم ابنتي عبد الله بن رفاعة السعدي وفاطمة بنت سعد الخير الانصارية بالقاهرة وتقية بنت الخطيب غيث الارمنازي وقد ضمن مشايخه برنامجه الحافل الموسوم بالنجوم المشرقة ، وحدث بالمشرق والمغرب وهو صاحب المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس توفي عام 604 هـ ( الذيل والتكملة ) .

واحمد الشريسي السلوى نشأ بمراكش واستوطن الفيوم بمصر اخذ عن ابي الحسن الابياني بالاسكندرية وهو تلميذ عمر السهروردي وتوفي بالفيوم عام 641 هـ (الاعلام ج 1 ص 351) .

ومحمد بن احمد بن ابي شاكر ابو عبد الله بن الظهير المراكشي المحتد درس بدمشق وقدم مصر وحدث عن كريمة بنت عبد الوهاب وعلى السخاوي وسمع باربل وبغداد ولد باربل عام 602 ( الاعلام ج 3 ص 195 نقلا عن بغية الوعاة ) .

وجمال الدين محمد بن ابي بكر البغدادي اصله من قصر كتامة له شيوخ ببغداد ودمشق والاندلس ومصر وهو صاحب الوتريات في المدح النبوي وقد ورد على مراكش صدر 655 هـ ثم عاد الى مراكش واقام بها مدة وكان شافعي المذهب نظارا فيه حسن المآخذ توفي بتونس لدى قفوله الى مراكش للمدة الثالثة عام 663 هـ وقد خمس وترياته محمد الفاطمي الصقلي وطبعت بفاس ( الاعلام ج 3 ص 152 نقلا عن الذيل والتكملة ) .

وعمر بن الطوير السوسي المراكشي شهر بمصر والحجاز بابي الخطاب السوسي تفقه بمراكش اخذ عن الفقيه عبد الوهاب البغدادي اصول الفقه وتعليقه على محمد بن يحيى في مسائل الخلاف وهو اول من ادخلها الى المغرب واخذ بالاسكندرية عن الابياري وكان يحفظ البرهان لامام الحرمين وكان مستبحرا في العلوم توفي عام 622 هـ (الذيل والتكملة) .

ومحمد بن المنذر المراكشي المتوفى عام 628 هـ نزيل حلب قدم والده الى بغداد وولد هو بها ولقي مولاي عبد القادر الجيلي وسافر الى الشام وقرا على ابن عساكر تاريخه ودرس ببغداد الحديث والفقه وكان فقيها غزير العلم عالما بالادب (الاعلام ج 4 ص 383 نقلا عن الذيل والتكملة) .

وعلي بن ميمون الحسني المغربي الذي ترك لنا موازنة رائعة بين اقطار العروبة في اصالة ومناهج التحقيق الفكري حيث اكد انه ما راى احفظ من اهل فاس لنصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب والتوقيت والتعديل والتوحيد والمنطق والبيان والطب وسائر العلوم العقلية وذكر انه ما راى مثلهم في ذلك لا في بجاية ولا في تونس ولا في الشام والحجاز ومصر (سلوة الانفاس ج 1 ص 74) وله كتاب في متفقهة ومتفقرة مصر والشام توفي بالشام (دوحة الناشر لابن عسكر ص 275 ) .

وعلي الحرالي ولد بمراكش ونشا بها وتوفي بالشام عام 637 هـ كان يلقي في التعليم قوانين تتنزل في التفسير منزلة اصول الفقه في الاحكام وكان اعلم الناس بالمنطق والطبيعيات والالهيات كان ينقض النجاة لابن سينا عروة عروة (نيل الابتهاج للسوداني ص 187–188) .

ومحمد بن عمر الشريف الكركي ولد بفاس وهو شيخ المالكية والشافعية بالديار المصرية والشامية في وقته يقال انه اتقن ثلاثين فنا من العلوم بل قال الامام شهاب الدين القرافي « انه تفرد بمعرفة ثلاثين علما وحده وشارك الناس في علومهم » صحب عز الدين بن عبد السلام واخذ عنه القرافي ( الديباج المذهب لابن فرحون ص 286 ) .

ويونس بن طريبة القصري ( قصر كتامة ) الذي تولى قضاء طرابلس الغرب وولي التدريس بدار الحديث الكاملية بالقاهرة سنة 641 هـ ( الذيل والتكملة )

ومحمد بن سليمان المراكشي الصنهاجي من شيوخ الاسكندرية ومن المحدثين والمسندين بمصر مات عام 717 هـ ( الاعلام ج 3 ص 248 ) .

واحمد المعافري المعروف بالوقاد توفي عام 741 هـ انتقل الى الاسكندرية ودرس بها العلم وجده محمد المعافري الرحالة دفين الاسكندرية ( السلوة ج 3 ص 86 )

واسماعيل السوسي الطبيب ذكر العبدري في رحلته انه لما وصل الى قاعدة الديار المصرية ونزل بمدرسة الظاهرية مريضا بعث اليه شيخه شرف الدين الدمياطي بالحكيم ابي الطاهر اسماعيل لعلاجه وهو فتى حدث السن رصيف العقل نافذ الفهم ما رايت احفظ منه للطب ولا احسن منه تصرفا ولا اذكر لنصوص كتب ابقراط .

ومحمد بن ابراهيم بن يوسف بن حامد الشيخ تاج الدين المراكشي ذكر ابن السبكي في طبقاته انه ولد بعد السبعمائة ونشأ بالقاهرة ، وقرا على علاء الدين القونوي اعاد في القاهرة بقية الشافعي ثم دخل دمشق ودرس بالمرورية وسمع من الحافظ المزي ثم ترك التدريس وانقطع بدار الحديث الاشرفية الى ان توفي عام 752 هـ ( الاعلام ج 3 ص 265 ) وذكر الحافظ في الدرر ان اخراجه الى الشام كان بامر من الناصر بعد استطالته على القاضي جمال الدين القزويني ومن مشايخه ابو حيان ( ص 269 ) .

واحمد بن عبد الله الازدي المراكشي نزيل القاهرة ذكره صاحب الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة .

ويحيى بن موسى الرهوني الحافظ الاديب المنطقي استوطن القاهرة وتولى التدريس في المنصورية والخانقاه الشيخونية توفي عام 774 ( الدرة ص 490 ) .

وجمال الدين محمد بن موسى المراكشي الاصل ثم المكي وصل الى مصر فسمع من شيوخها ثم رحل الى الشام والقدس واليمن حيث ولي مدرسة الناصر واقام بها مات عام 823 ( الاعلام ج 4 ص 50 وذيول طبقات الحفاظ ) .

ومحمد تقي الدين الفاسي الذي قال عنه الحافظ ابن حجر « وافقني في السماع بمصر والشام واليمن وغيرها وكنت اوده واعظمه » توفي عام 842 هـ ( نيل الابتهاج ص 318 ) .

ومحمد بن ابراهيم ابن الخضري الهنتاتي المراكشي الموحدي المصري المولد والدار ذكر المقريزي في عقوده انه كان يحفظ العقدة والالمام لابن دقيق العيد والشاطبيتين والطوالع في اصول الدين وابن الجلاب والرسالة في الفقه والحاجبية والملحة وغالب الفية ابن مالك والتلخيص وحدث وافاد ودرس واعاد وقال الشعر الحسن وطارح الادباء واشتهر بالمجون الخليع مع

المشاركة التامة حتى في اللغة والطب والهيئة ولـــي تدريس الفقه بجامع الحاكم والقراسنقرية والحسنية والحديث بالفاضلية والاعادة بالكاملية والمنصورية وكتب عنه ابن فهد مات عام 872 هـ ( الاعلام ج 4 ص 125 ) .

ومحمد بن محمد بن سليمان الفاسي الروداني وصفه في خلاصة الاثر بانه فرد الدنيا في العلوم كلها ولد بتارودانت حصلت له ـ بعد التطواف على مصر والحجاز والشام وبلاد الروم الرياسة العظمى التي لم يعهد مثلها لاحد وكان في الحكمة والمنطق والطبيعي والالهي الاستاذ الذي لا تنال مرتبته بالاكتساب وكان يتقي فنون الرياضة باقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي ويعرف انواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي والمساحة معرفة لايشاركه فيها غيره وكان في العلوم الغريبة كالرمل والحروف والسيمياء حاذقا اثم الحذق توفي عام 1094 هـ ( الاعلام ج 4 ص 334 ) وقد تنافس الناس في اقتناء الالة التي اخترعها فكان يبيعها بثمن غال وقد الف رسالة في وصفها وهي منشورة في الاعلام ( ص 350 ) وهي عبارة عن كرة مستديرة مسطرة دوائر ورسوما وقد ركبت عليها اخرى مجوفة منقسمة لصفين فيها تخاريم وتجاويف الخ ( نشر المثاني للقادري ص 87 ) .

ومحمد بن محمد بن قدور المراكشي الاصل الاسكندري الفقيه ذكره احمد بن حسون في رحلته التي الفها 1270 .

ومحمد فتحا الدقاق الدقمي السلاوي قام بتدريس الحديث في المدينة اكثر من عشر سنين وكان معظما عند ملوك الشرق وخصوصا السلطان العثماني الذي كان يوجه اليه جائزة سنية في كل عام ( الاعلام ج 5 ص 60 نقلا عن فهرسة الحافي ) .

ومحمد الورزازي الدرعي الحافظ الشهير بالصغير وبالقاضي اشتغل بالتدريس في مصر وكانت له اليد الطولى في الفقه والعلوم العقلية توفي بمصر عام 1138 ( الاعلام ج 5 ص 38 ) .

ومحمد بن علي المراكشي الاوسي نشأ بسلا وفصل منها عام 618 هـ وجال في الشام والعراق ودخل بغداد وتكريت والموصل ومصر والاسكندرية وروى عن شيوخ عدة ببغداد وحماة ودمشق ثم عاد الى مراكش وشرق ثانيا ولد بمراكش عام 595 هـ وتوفي عام 671هـ ( الاعلام ج 3 ص 162 نقلا عن الذيل والتكملة ) .

ومن الاطباء المغاربة الذين توجهوا للشرق محمد ابن عبد العزيز المعروف بالحاج عزوز المكناسي احد الحفاظ والاطباء اخذ عن اعلام المشرق ثم عاد الى مكناس ( نيل الابتهاج ص 322 ) وقيل مات في الشرق ( الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 593 ) وكذلك علي ابن يقظان السبتي الطبيب الشاعر الاديب الذي رحل الى مصر عام 544 هـ ثم الى اليمن والعراق ( القفطي ص 160 ) وكذلك يوسف بن يحيى بن اسحق السبتي ابو الحجاج نزيل حلب ويعرف في سبتة بابن سمعون كان طبيبا من اهل فاس « وقرا ببلاده الحكمة فساد فيها » ( القفطي 256 ) .

وتاج الدين المراكشي وهو محمد بن ابراهيم بن يوسف ( 701 ـ 752 هـ ) ترجمه في الشذرات اخرج من مصر لشراسته وولي تدريس المسرورية بدمشق وقد درس بها بعده تقي الدين السبكي ( الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( ج 1 ص 458 ) وقد اشار النعيمي في الدارس كذلك الى ابي الحسن المراكشي المالكي المتوفى عام 625 هـ ( ج 2 ص 6 ) والى سالم بن ابراهيم المغربي الصنهاجي الدمشقي المالكي ؛ شيخ المدرسة الشرابشية المولود عام 777 هـ ( ج 2 ص 22 ) والى قاضي القضاة شهاب الدين التلمساني المتوفى عام 873 هـ وقاضي القضاة شهاب الدين احمد ابن المريني المغربي ( ص 23 ) وشمس الدين السلاوي عامل خانقاه خاتون دفين الصالحية ( ص 109 ) .

والفنان عبد الكريم الفاسي الملقب بالزريع قامت على اكتافه نهضة متواضعة في صناعة الخزف بمصر ابان القرن الثاني عشر الهجري وقد صنع الواح القيشاني لتغطية جدران العمائر وتوجد الآن نماذج من ذلك في دار الآثار العربية بمصر كما اشار الى ذلك تيمور في كتابه حول التصوير عند العرب .

ومدرسة الشيخونية هي اكبر مدرسة بمصر كان بها فضلاء مغاربة مصامدة ( نيل الابتهاج لاحمد بابا السوداني ص 84 و 96 ) .

وقد تحدث ابو اليمن مجير الدين في الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل عن زاوية المغاربة بالقدس الذي اوقفها عمر المغربي المصمودي المجرد عام 703 ثم تولاها بعده العلامة جمال الدين عبد الله المراكشي عام 795 هـ ( ج 2 ص 505 ) .

( يتبــــع )

# الدستور المنتظر

بقلم

لفضيلة
الرحالي الفاروقي

من الحركات الموفقة التي دخلت في حيز التاريخ واحيطت بجو من الحماس البالغ والتصفيق المتناهي تنصيب المجلس المعين للاشتغال بوضع مشروع الدستور من قبل جلالة الملك المعظم .

ولهذا السبب القى حفظه الله خطابا حدد فيه الخطط الرئيسية التي يرتكز عليها الدستور المنتظر معبرا بذلك عن حقيقة المغرب ووضعه الصحيح ، وتقدمه المنشود .

كما اوضح جلالته انه بعد الفراغ من صياغته وتقديمه سيتولى عرضه بذاته الكريمة على شعب المغرب ليقول فيه كلمته الاخيرة والمقبولة .

وهكذا يكون القصد الصحيح والعمل الديمقراطي الذي يتبرأ من حيف الاستبداد ويتحقق به موضوع الصالح العام .

ومما هو ملاحظ انه بعد اقتحام هذه الخطوة المباركة اصبح الناس ينظرون الى المجلس بعين متبصرة ويضعونه امام مسؤولية جسيمة ، وتجربة خطيرة في حياة البلاد .

ولا عجب فالمغاربة الذين يترقبون صنع الحقوق الدستورية وهم يعدون بالملايين يعتزون كل الاعتزاز ببيئتهم ، وقوميتهم ، وعقيدتهم ، ويجاهدون في سبيلها بعزيزهم ونفيسهم .

ولذلك فمن العدل مراعاة الشعور الوطني والقومي في صنع الدستور حتى يكون مطابقا لما تجيش به صدورهم ، وتومن له قلوبهم ، وحتى يكون مبنيا على الاسس الطبيعية والتاريخية للبلاد وهي التي نص عليها الخطاب الملكي الشريف – وهي التي عاش المغرب مكافحا من اجلها قرونا متطاولة ومتباعدة – وتاريخه السياسي حافل بمآثر الحضارة العربية والاسلامية وشاهد صدق على تمسك المغاربة بهذه الدعائم وافتخارهم بها طيلة التاريخ – فلا سبيل الى الخروج بهم عن صبغتهم وحقيقتهم ولا الى تحويلهم عن وجهتهم وقبلتهم .

ومن شان القوانين الداخلية ان تنبت من داخل البلاد لتلتقي مع العادات والطبائع والعقائد فلا ترتبك الحياة ولا تتعطل المصالح ولا تتساقط الفضائل .

ونحن الآن بحول الله مقبلون على خوض معركة جديدة ، ونحمل تبعة عظمية فلابد من شجاعة كافية لتحقيق دستور اسلامي يراعى فيه تاريخ ونظام المغرب العربي المسلم – ويراعى فيه التطور الصحيح والرقي المتين الذي يحمي ساحة الدين والاخلاق ، ويرفع مستوى الحياة والافكار ، ويحفظ الحقوق والواجبات ، ويوضح شكل الدولة والحكومة ، وينظم السلطات المختصة والعلاقات الاجتماعية .

وكل من حاول ان يتنكر لهذه المبادىء النظيفة فانه لا محالة ستطوح به الطوائح ويبوء بغضب الله وبغضب الشعب .

وكتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم هما المصدر الاول للدستور الاسلامي وهما المرجع الحقيقي في حل مشاكل الحياة وفض التنازع الطارىء .

وكذلك اعمال الخلفاء الراشدين ، وافكار العلماء المجتهدين الذين لا يخرج اجتهادهم عن قواعد الاسلام الصحيحة ومبادئه الثابتة .

ومما لا ريب فيه ان الاسلام نظام عملي يقوم في سائر الوجوه والاحكام على خلاف ما يظنه الجاهلون انه بعيد من الحياة قريب من العبادة ــ كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا ــ بل الكون والحياة والانسان في نظره وحدة متناسقة متعاولة بحكم صدورها عن ارادة واحدة مطلقة كاملة .

فلا يمكن لمن آمن به ان يخرج عن روحه ونظامه، ولا يصح التبعيض في احكامه وشرائعه ، ولا يغني التمسك به في الاقوال دون الاعمال وصدق الله العظيم الذي يخاطب رسوله بقوله « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون » .

والدستور الاسلامي وان كان غير مؤلف ولا مجموع في فصول معروفة ومواد مخصوصة فهو في حكم المجموع بمصادره التي تتوفر على قواعد دستورية، ومبادىء اساسية في مختلف حياة الانسان .

وقد كتب فيه بعض العلماء كالماوردي في الاحكام السلطانية ــ وابن خلدون في مقدمة تاريخه فصولا عن المميزات العامة للخلافة ، وحدود سلطها ، وكيفية تعيينها واعمالها ــ اما اعمالها فتقوم على اساس الشورى في الامور المهمة ــ والشورى من ابرز التعاليم الاسلامية ومن الانظمة الديمقراطية كما يقال ــ واما مميزاتها فضرورية ــ وموحدة ــ ومطبوعة بطابع الدين ، واما سلطها فالاشراف على التشريع ــ واقامة القضاء ــ وتأمين الدولة وسلامتها .

وعلى اية حال فيحق استخدام الطاقات ، واستغلال الكفاءات المختلفة لبناء دستور صحيح ومناسب لروح العصر والشرع غير ماخوذ ولا منسوخ.

ومن الاحسن ان تفصل ابوابه تفصيلا يتضمن كثيرا من الموضوعات الهامة حرصا على اعطائها قيمة دستورية لما له في النفوس من سطوة وهيبة ولما له من قوة خاصة تجعله يتفوق على ما سواه من القوانين وكلها يجب ان تسير بجانبه ووفق اشارته وحكمه ، ولان الدولة حرة في ان تكيف دستورها بما تراه ملائما لمصالحها الاجتماعية ــ والاقتصادية ــ والسياسية ، والى ذلك كله فليست العبرة بوجود قانون دستوري وانما العبرة بوجود مواطن صالح مومن باحكام الدستور قائم على ترتيبه وتطبيقه باخلاص حتى يتوافق القانون والواقع وتتساوى الامة في الحقوق الاساسية والمدنية، والله لا يضيع اجر من احسن عملا .

---

كتب الامام علي رضي الله عنه الى مالك ابن الحارث الاشتر النخعي حين ولاه على مصر : « واشعر قلبك الرحمة والمحبة لهم ، والطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان : اما اخ لك في الدين، واما نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على ايديهم في العمد والخطا ، فاعط لهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى ان يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك » .

# الربيع في الشعر العربي

## للأستاذ محمد زنيبر

- 2 -

كان اذن للحضارة فضل فى خلق حب الطبيعة فى المجتمع العربي وفى الهام الشعراء معاني واحاسيس صاغوها فكانت شعرا جميلا وكانت ، فى الواقع تعبيرا عن اكتشافات وتمليات جديدة بالنسبة لمجتمع فتي، ناهض .

ثم ان حياة الاستمتاع بالملذات والاقبال على الشهوات التي اصبحت ديدن الطبقة المترفة ، دفعت بافراد تلك الطبقة الى التفنن فى اخذ حظهم من جمال الطبيعة ، كامتلاك البساتين فى ارباض المدينة وتخصيص بقعة فى كل قصر او بيت لاتخاذها روضا واقتناء الطيور اما لحسن الوانها وغرابة شكلها واما للطافة تغريدها ، يدل على هذا ما قيل من اشعار كثيرة فى وصف الرياض والبساتين ، وكلها تنم عن حس مرهف واغراق فى الترف والمدنية ، وهذه قطعة للشاعر احمد بن خاتمة الاندلسي تبين المدى الذي بلغ اليه هذا التفنن :

ارسل الجو ماء ورد رذاذا
وسمع الحزن والدمايث رشا

فانثنى حول اسوق الدوح حجلا
وجرى فوق بردة الروض رقشا

وسما فى الغصون حلى بنان
اصبحت من سلافة الطل رعشا

فترى الزهر ترقم الارض رقما
وترى الريح تنقش الماء نقشا

فكان المياه سيف صقيل
وكان البطاح غمد موشى

### اثر التقاليد الفارسية فى تكييف الشعور بالربيع عند العرب

يضاف الى كل هذا عامل آخر مهم كان له الاثر الحاسم على اتجاه ادبنا العربي منذ ان اصبح ادب مجتمع متحضر وامة دخلت الى التاريخ من ابوابه الواسعة ، هذا العامل هو تاثير الحضارة والثقافة الفارسيتين فى تطور ذلك الادب ، سواء من حيث المادة او الشكل او من حيث الموضوع والتعبير ، وليس هنا محل تفصيل ذلك، وفى كتب التاريخ وتاريخ الاداب العربية، بصورة خاصة ، ما يكفي من التفاصيل والايضاحات عن هذه الحقيقة ، وانما نجتزيء هنا بالاشارة الى كون الفرس ، سواء من قبل الاسلام او من بعد الاسلام ، كان لهم ولوع خاص بفصل الربيع ، فهم يحبونه ويحتفلون بمقدمه ، ولهم فى ذلك تقاليد هي اشبه ما تكون بالطقوس الدينية .

والواقع ان هذه التقاليد ترجع الى معتقدات وثنية عتيقة : فقد كانوا يعبدون فى جاهليتهم الاولى الهة اسمها « آناهيتا » وهي فى عرفهم الهة النماء والخصوبة والتوالد والانوثة ، ومثل هذه العقائد تنم ، ولا شك ، عن احساس قوي غريزي بجمال الطبيعة وجلالها ، فلا عجب اذا رايناهم يعشقون البراري المخضرة والخمائل المزركشة ، وقد حكى مؤلف « قصة الحضارة الفارسية » انهم ( كانوا يمتلكون المنازل الجميلة والحدائق الغناء التي تكبر وتتسع احيانا حتى تصبح حظيرة للصيد والقنص او مأوى لمختلف الحيوانات كحدائق الحيوان فى العصر الحاضر ) .

وقد تركت هذه التقاليد اثرها فى المجتمع العربي الاسلامي ، فكونت جانبا مهما من جوانب تفكيره وفلسفته ، كما سرى مفعولها بصورة قوية واضحة ، الى الهندسة المعمارية « العربية » وهي فى طور نشوئها

فاقتبس العرب كثيرا من الهندسة الفارسية ، كما اقتبسوا من الفرس ايضا كثيرا من عاداتهم واساليبهم فى ترتيب المنزل وتدبيره وفى طريقة الاستمتاع بالحياة المنزلية .

ولا ادل على ذلك من قصور بغداد التي الهمت مؤلفي الف ليلة وليلة كثيرا من صورهم البراقة وتخيلاتهم العظيمة التي حرص اصحابها على ان تكون مطوقة بالحدائق الواسعة المزركشة بالازهار والاشجار والتي تتخللها جداول المياه ، وحول قصر الخلد ، وعلى شاكلته ، تاسس حي عظيم من القصور الشاهقة كقصر ام جعفر زوجة الرشيد الاولى وقصر ابي ايوب سليمان ابن ابي جعفر المنصور وقصور البرامكة وغيرها من القبب والمنازل التي شهدت تنعم ذوي الجاه والثراء فى ظل الخلافة العباسية .

وقد الهمت هذه القصور الشعراء ، فنظموا فيها القصائد والمقطوعات ومن احسن ما قيل فى هذا الصدد هذه القطعة للشاعر علي بن الجهم فى القصر الهاروني ، فانها بمثابة الشهادة التاريخية :

صحون تسافر فيها العيون
ولحسر عن بعد اقطارها

وقبة ملك كان النجو
م تصغى اليها باسرارها

تخر الوفود لها سجدا
اذا ما تجلت لابصارها

وفوارة ثارها فى السماء
فليست تقصر عن ثارها

اذا اوقدت نارها بالعراق
اضاء الحجاز سنا نارها

ترد على المزن ما انزلت
على الارض من صوب اقطارها

لها شرفات كان الربيع
كساها الرياض بانوارها

## استقبال الربيع

كما اخذ العرب عن الفرس تقاليدهم فى استقبال الربيع ، فصاروا يحتفلون هم كذلك بعيد النيروز الفارسي ، محتفظين باسمه الاصلي ، والنيروز هو عيد استقبال السنة الجديدة ويقع فى اول ايام الربيع وفيه تقام الاحتفالات ويتبادل الناس الهدايا ، ويكون لهذه الاحتفالات مظاهر اجتماعية قوية يشارك فيها الملوك والامراء وعلية القوم وكذلك عامة الشعب .

والشعراء بالطبع هم اول من يشارك فى استقبال الربيع والاحتفال بيوم النيروز ، فيعربون بطريقتهم الفنية عن ترحيب الناس بذلك الفصل الجميل وفرحهم بحلوله ، وهذه قطعة يصور لنا فيها البحتري اول ابتسامة للربيع :

الست ترى مد الفرات كانه
جبال شدوري جئن فى البحر عوما

وقد نبه النيروز فى غبش الدجا
اوائل ورد كن بالامس نوما

يفتحها برد الندى فكانه
يبث حديثا بينهن مكتما

ومن شجر رد الربيع لباسه
عليه كما نشرت بردا منمنما

احل فابدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين مذ كان محرما

ويدعو ابو الحسن الفوبري الصاحب بن عباد الى الاحتفال بالنيروز فى هذه القطعة القصيرة التي تنطوي ، مع ذلك ، على تصوير دقيق وتعلوها مسحة الفن :

ايها الصاحب الربيع تجلى
فى رياض تحار فيها العقول

نرجس ناضر واحمر ورد
وشقيق يزينه التكحيل

وغصون تجر اذيال نور
فى حواشي جداول وتميل

للزرازير فى خلال الازاهـ
ـر صفير وللحمام هديل

فاقم رسمنا صبيحة نيـ
ـروز به ربع انسنا ماهول

ولم يحتفل شعراء المشرق وحدهم بالنيروز ، فهذا ابن شهيد الشاعر الاندلسي يحتفي هو ايضا بالعيد الفارسي ، على بعد الديار ومشقة المزار ، في قصيدة يمدح بها المستعين بالله :

واتاك بالنيروز شوق حافز
وتطلع المزور غب تطلع

وافاك في زمن عجيب مونق
واتاك في زهر كريم ممتع

فانظر الى حسن الربيع وقدجلت
عن ثوب نور للربيع مجزع

فكان نرجسها وقد حشدت به
زهر النجوم تقاربت في مطلع

ولحلول فصل الربيع في شكله الضاحك ، المزدان بالالوان المختلفة ، قصة ، وهي قصة بسيطة يعرفها كل احد ، قصة المطر الذي يحيي الارض بعد موتها ويكسوها ثوبا جديدا ، وقد استطاع الشاعر الاندلسي عبد المالك ابن نفيل ان يصور لنا هذه القصة المعروفة المبتذلة في ابيات اكسبها طرافة وجاذبية :

انظر الى حسن الزمان كانما
يلقاك عن بشر لوجهك مبشر

بكت السماء على الربا فتبسمت
منها ثغور عن عقائل جوهر

اهدى الربيع اليه سكب سمائه
فكسا الثرى من كل لون ازهر

ضحكت متون الارض عند بكائه
عن ابيض يقق يروق واصفر

وكذاك لم تكشف سريرة روضة
يوما بافصح من غمام ممطر

غيث ارانا كل نور ضاحكا
متطلعا منها بنور انور

متبختر في مشيه فكانه
ثان لها عطفا وكاسر محجر

وكانما زهر الرياض كواكب
حسرت لنا عن كل ازهر مقمر

تلك بعض النماذج الشعرية التي تبين لنا كيف كان شعراؤنا الاقدمون يستقبلون الربيع ويهتزون لعودة الطبيعة الى شبابها ويطربون لرؤية الازهار ذات الالوان المختلفة .

## تقاليد احتفظت بنوع من الجدة

هذه الطريقة في الاستقبال والترحيب لم تفقد جدتها ولم ينفض منها شعراء هذا العصر يدهم ، بحيث اننا لا نجد كبير فرق بين ما نظمه شعراؤنا من الربيع في عهد العباسيين وما جادت به قريحة احفادهم في القرن العشرين ، فهذا شوقي لا يختلف كثيرا عن ابن زيدون او ابن المعتز حين يقول في ابياته المشهورة :

مرحبا بالربيع في ريعانه
وبانواره وطيب زمانه

رفت الارض في مواكب آذا
ر وشب الزمان في مهرجانه

نزل السهل ضاحك البشر يمشي
فيه مشي الامير في بستانه

عاد حليا براحتيه ووشيا
طول انهاره وعرض جنانه

لف في طيلسانه طرر الار
ض فطاب الاديم من طيلسانه

وزيادة في تحقيق هذه الملاحظة وتمحيصها نحيل القارىء على قصائد اخرى لشوقي مثل « الربيع ووادي النيل » وقصيدته التي يصف فيها مشاهد الطبيعة وهو في طريقه الى الاستانة والتي مطلعها :

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري
حتى اريك بديع صنع الباري

وكذلك الشان عند ما نلقي نظرة على قصيدة الرصافي « وقفة في روض » والتي يقول فيها :

ناح الحمام وغرد الشحرور
هذا به شجن وذا مسرور

في روضة يشجى المشوق ترقرق
للماء في جنباتها وخرير

ومنها :

ماذا اقول بروضة عن وصفهـــا
يعيا البيــان ويعجــز التعبيـــر

عنى الربيع بوشيهـا فتنوعـــت
للعيـــن انــوار بهـــا وزهـــور

مثلت بها الاغصان وهـي منابـــر
وتلت بها الخطباء وهي طيـــور

وكذلك الزهاوي في موشحته « الربيع والطيور » :

حبذا الروض في زمان الربيـــع
ان حسن الازهار فيه طبيعـــي

مر فيه النسيم غيـر سريـــع
فـوق سطح مثل السماء بديـــع

فيه تزهـو النجـــوم بالانـــوار
وشدا الطير منشدا بالبديــــه

غـزلا رائقـا تفنـن فيـــــه
ايـه يا طيـر ايـه احسنت ايــه

ان لحنا في الروض تسمعينــــه
هــو احلـى مـن نغمـة الاوتـار

والامثلة كثيرة عند شعراء هذا العصر وكلها تدل على ان تقاليد الشعراء القدامي احتفظت بحيويتها على مر القرون وان معانيهم وصورهم واخيلتهم وحتـــى طرائقهم في التعبير لا زالت تستهوي شعراءنا المعاصرين ولا زالت تؤثر عليهم وتلهمهم .

وليـس معنى هذا انه لم تكن هنالك محـــاولات للتجديد سواء في الفكرة وفي نظرة الشاعر الى الاشياء او في الطريقة التي يؤدي بها شعوره ويجعلنا نقاسمــه اياه . ولكن الذي يهمنا الان ابانته هو ان هنالك تيارا في الشعر العربي ظل قويا وساري المفعول الى عصرنا هذا وتقاليد قديمة لم يستطع اكبر شعرائنا المعاصرين ان يتخلصوا منها ويتناسوها .

ذلك التيار وهذه التقاليد غذتها وظلت تغذيهـــا فلسفة هي وليدة المجتمع العربي الاسلامي الذي لـــم يتغير في جوهره طيلة القرون ، رغم توالي الاحـــداث وتعاقب الثورات والانقلابات . نعم ، لقد ظل المجتمع العربي الاسلامي الى اوائل القرن العشرين لا يختلـــف كثيرا عن المجتمع العربي الاسلامي في العهد العباسي . ولذلك فان التفكير الاجتماعي نفسه لم يتغير وان النظرة الى الحياة بقيت على حالها .

فما هي هذه الفلسفة ؟ وما هي مبادئها وقواعدها الاساسية ؟ ذلك ما سنلقي عليه نظرة في اقرب فرصة.

---

## الرحالة المغربي ابـن جبيـر يصف الشـام

« جنة المشرق ، ومطلع حسنه المؤنق المشرق ، وهي خاتمة بـــلاد الاسلام التي استقريناها ، وعروس المدن التي اجتليناها ، قد تحلت بازاهير الرياحين ، وتجلت في حلل سندسية من البساتيـــن ، وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين ، وتزينت في منصتها اجمل تزيين ، وتشرفت بان آوى الله تعالى المسيح وامه صلى الله عليهما منها الى ربوة ذات قرار ومعين ، ظل ظليل ، وماء سلسبيل ، تنساب مذانبه انسياب الاراقم بكل سبيل ، ورياض يحيي النفوس نسيمها العليـل ، تتبرج لناظريها بمجتلى صقيـل وتناديهم هلموا الى معرس للحســن ومقيـل » .

ابن جبير : تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار

## التوفيق بين الشريعة والفلسفة

# موازنة بين ابن رشد وسابقيه

للأستاذ عبد اللطيف مليين

كتب الاستاذ ليون غوتييه في كتابه « مدخل الى دراسة الفلسفة الاسلامية » (1) ما يلي :

« ان فكرة التوفيق بين الفلسفة والديانة تبدو كالفكرة الغالبة والاصالة الرئيسية لهذه الفلسفة اليونانية الاسلامية » ص 121 . وزاد بعد ذلك بقليل قائلا : « جميع مؤرخي الفلسفة الاسلامية قد اخطأوا، من نواحي مختلفة ، في الكشف عن الروح الحقيقية لهذه الفلسفة التي تكون نظريتها الاساسية ( اي التوفيق بين الدين والفلسفة ) في راينا بكل دقة ، اصالتها الرئيسية . ص 133 .

وقد عزز ليون غوتييه نظريته هذه بدراسة مستفيضة لموضوع التوفيق في الفلسفة العربية ، وانصب جهده بالاخص ، على رسالة ابن رشد المسماة « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» حيث قدم دراسة لنيل الدكتوراه سنة 1909 (2) .

الا انه فيما يخص النظرية العامة لغوتييه يمكن ان نلاحظ الملاحظة العامة الآتية : وهي ان نظريته تصح بالنسبة للفلسفة اليونانية العربية بالمعنى الصرف اكثر مما تصح بالنسبة لمجموع الفلسفة العربية اي باضافة مذاهب المتكلمين والمتصوفين . اذ تعبير « الفلسفة اليونانية الاسلامية » الذي يستعمله الباحث ، خليق بان يعني مذهب الفلاسفة الذين تأثروا باليونان تأثرا عميقا . وليس يحق اطلاق تسمية : ( الفلسفة اليونانية الاسلامية ) على جملة المواضيع التي ينقسم اليها ميدان هذه الفلسفة العربية الواسع.

مذهب الفلاسفة اذن وهم المعروفون باسم فلاسفة الاسلام ، هو الذي تنطبق عليه تسمية ( فلسفة يونانية اسلامية ) . والا فهناك خطأ في التعبير ، اذ محاولة التوفيق عند المتكلمين كانت تخص الدين والنظر العقلي ، اي رد كل شيء في الدين الى العقل وتعليله به وحذف كلما يخالف منطق العقل او تاويله . وليس الجمع بين الدين والفلسفة بمعنى ان الفلسفة هي جملة المعارف الفلسفية التي تلقاها العرب عن اليونان والتي تكون مذهبا مقررا منتهيا اي مدرسيا .

فاذن نظرية غوتييه تصح اكثر ما تصح في قسم من الفلسفة العربية وهو مذهب الفلاسفة الصرف ولا تتعداه الى مذاهب المتكلمين مثلا ، اللهم الا اذا فهمنا من لفظ فلسفة « نظرا عقليا مستقلا » غير مقتصر على مذهب الفلاسفة فاننا نلاحظ انطباق نظرية غوتييه انطباقا تاما على هذا المذهب وتعبيرها عن طابعه العام تعبيرا صادقا .

وفي الامكان على ما ارى تعديل كلام ليون غوتييه على الشكل التالي : الطابع العام للفلسفة العربية هو في محاولتها التوفيق بين الدين والفلسفة باعتبار هذه الاخيرة بحثا عقليا مستقلا، لا مذهبا معينا من المذاهب، وبهذا يمكن ادخال اقسام الفلسفة الاخرى كمذهب المتكلمين والمتصوفين .

ولاتساع موضوع الفلسفة العربية وتشعب نواحيه ، سنقتصر في موازنة نحاول ان نقيمها بين ابن رشد وسابقيه من العرب

1) Léon Gauthier: Introduction à l'étude de la philosophie musulmane, Paris, 1923.

2) Léon Gauthier: La théorie d'Ibn Rochd sur les rapports de la religion et de la philosophie, Paris, 1909.

ونسارع فنقول ان مما يهدف اليه هذا البحث ان يبين بشكل لا يقبل الجدال تفوق ابن رشد على سابقيه من الفلاسفة المدرسيين العرب ، وان هذه النظرية قد بلغت عنده اوجها ، اذ ـ كما بين ليون غوتييه ـ يشترك هؤلاء الفلاسفة جميعا في قولهم بنظرية واحدة فيما يخص التوفيق (3) الا ان عمل ابن رشد الاساسي وعبقريته في هذا المضمار هما في ما اقامه لهذه النظرية من بناء متماسك وفي عرضه المنظم في مؤلف خاص يقتصر على موضوع التوفيق ، وهذا في الحقيقة ما لم يسبق اليه .

وهناك ملاحظة اخرى هامة وهي ان ما يقصده الفلاسفة بكلمة فلسفة عندما يقولون كما سنرى ـ ان الفلسفة والدين هما وجهان لحقيقة واحدة هو مذهبهم الذي اخذوه عن الفلسفة اليونانية ، لاكل فلسفة ، ولا الفلسفة الاسلامية مثلا ـ كعلم الكلام ـ الذي نشا في بيئة اسلامية خالصة قبل ان يطلع المسلمون على الفلسفة اليونانية (4) وهذه الملاحظة تشمل ابن رشد ايضا .

الا اننا نعود ونقول ان ابن رشد اقام من هذه النظرية ، التي توجد خطوطها العامة عندجميع الفلاسفة العرب من الكندي الى ابن رشد ـ اقام منها مذهبا متماسك البنيان ذا عناصر مختلفة ، اقتبسها لاقامة هذا البناء ، من مصادر يونانية واسلامية كما اشار الى ذلك ليون غوتييه ، وكما سنرى بعد قليل .

وهناك وجه اخر للموازنة بين هؤلاء الفلاسفة وابن رشد ، ويبدو فيه تفوق ابن رشد ايضا ، وهو انه كان اكثر تمسكا منهم بمذهب ارسطو ، كان مذهب ارسطو هو مذهبه ، وكان يعتبر ارسطو المعلم المطلق والفيلسوف الحقيقي ، طبعا ، لقد اضاف الى مذهب معلمه الكثير بحجة شرحه كما اشار الى ذلك رينان(5) وغني عن البيان ايضا ، ان مذهب ارسطو الذي كان يعتقد ابن رشد انه كذلك ، لم يكن مذهب ارسطو الحقيقي ، لانه كان مذهبا مشبعا بروح الافلاطونية الجديدة التي يشيع فيها مبدأ تعدد الآلهة ، عوض ان تشيع فيها روح التوحيد المطلق التي توائم الديانة الاسلامية ، ولكن ابن رشد وسائر الفلاسفة العرب ، قد اخذوا كل ما ينسب الى ارسطو على انه حقيقي ، ولم يشكوا مطلقا في ان كتاب اتولوجيا هو للمعلم الاول، وعلى ذلك يظل ابن رشد ارسطيا حتى بعد ان يخالف استاذه من دون شعور ، وعلى كل حال فالاختلاف بين ارسطو الحقيقي وارسطو المزيف هو في بعض النقاط التي وردت في كتاب افلوطين .

وتبقى بعد ذلك بقية المذهب حيث الاثنينيه الارسطية ، اي الفصل بين عنصري الوجود المادي والروحي او الصوري ، ونظرية ارسطو الاساسية في القوة والفعل والصورة والمادة ، كل ذلك يبقى محافظا عليه في مذهب ابن رشد ، وبالاجمال يمكننا ان نرى في ابن رشد مصداق قول القائل : « ان الفلسفة العربية تطورت في اتجاه المشائية » (6) وابن رشد ـ كما قال الدكتور جميل صليبا ـ يظل اكبر مشاء عربي (7) على حين ان الفلاسفة الاخرين جميعا ، لم يظلوا اوفياء لمذهب ارسطو كما ذكرنا ، خصوصا في الالهيات ، فابن سينا كان اكبر من تنحى عن مذهب المعلم الاول بمذهب خاص كونه من عناصر متعددة افلاطونية وارسطية ، وشرقية ، والفارابي جمع بين الحكيمين افلاطون وارسطو (8) والكندي كان اميل في الالهيات الى راي

(3) هذا هو راي غوتييه ، ويلاحظ ان كتابات الفلاسفة العرب في هذا التوفيق تشكل شذرات نادرة متفرقة في كتبهم التي تعالج مواضيع فلسفية بحت ، انظر كتابه الاساسي السابق وانظر كذلك كتابه الحديث نسبيا « ابن رشد » باريز 1948 .
Léon Gauthier : Ibn Rochd (Averroès), Paris, 1948.

(4) انظر ليون غوتييه « ابن رشد » ص 23 .

(5) رينان ـ ابن رشد والرشدية ـ ص 8 .
Renan : Averroès et l'Averroïsme, p. 93 — 7e édition

(6) انظر جميل صليبا ص 20 .
Etude sur la métaphysique d'Avicenne, Paris, 1926.

(7) انظر كتابه « الجمع بين رايي الحكيمين افلاطون وارسطو » .

(8) ايجاد الموجودات من العدم .

افلاطون . فكان يعتنق فكرة خلق العالم من العــدم « تاييس الايسات عن ليس » (9) وان للزمان بداية ونهاية وكذلك وبالتالي بدء الحركة ، اما ابن باجة وابن طفيل فكانا اميل الى التقليد الشرقي وخصوصا الى راي ابن سينا (10) فابن رشد اذن وحده يتميز بهذه الميزة وهي انه ارسطي خالص ـ بالرغم من مخالفته مذهب ارسطو في كثير من المسائل ـ اي ان فلسفته مشائية ، ولذلك كان على اولئك الفلاسفة السابقين على ابن رشد ان يوفقوا بين فلسفتهم التي كثيرا ما كانت تكون بعيدة عن ارسطو ـ وبالتالي قريبة مــن الدين ـ خصوصا فيما يتعلق بالالاهيات ، وهي البحث الاساسي الذي يهم مشكلة التوفيق بين الدين والفلسفة كان عليهم ان يوفقوا بين هذه الفلسفة والدين الــذي يعتنقون مبادئه ، فلم تكن مهمتهم بالصعبة ، لانهم كانوا يلجاون في الغالب الى راي افلاطون فيما يتعلق بمشكلة الخلق والزمان والحركة ويتركون راي ارسطـــو ، او كانوا يقومون بتنازلات للعقيدة كما فعل ابن سينا ، اذ كانت محاولة هذا الاخير ترمي دائما الى ان يكون مذهبه الفلسفي منسجما ومتوافقا مع مبادىء الدين ، حتى انه لم يقر تمييزه المشهور بين الماهية والوجود ، والممكن والضروري ، في الوجود الواقعي ، الا لكي يوفق بين عقيدة الخلق من العدم وعقيدة ازلية العالم (11) وليرضي بذلك المتكلمين كما اتهمه ابن رشد (12) ومن المعلوم ان راي ارسطو في مشاكل خلق العالم والزمان والحركة هو ابعد ما يكون عن الشائع انه ما جاء بــه الشرع الاسلامي ، وخصوصا كما فسره المتكلمون ، فعند ارسطو الاعتقاد بازلية العالم الى جانب الله ، اي عنده الاثنينية اثنينية المادة والصورة وعنده قــدم الزمان ولا نهائيته وقدم الحركة بقدم المتحرك اي العالم وهاته الامور وغيرها مما يصعب على الباحث الجمع بينه وبين الدين ، خصوصا كما يفهمه اكثر الناس ، والمدافعون عن العقيدة وهم المتكلمون .

لهذا كله كانت مهمة ابن رشد في اقرار التوفيق بين الفلسفة التي يعتنقها والدين الذي يؤمن بمبادئه ، وخصوصا كما يفهمه سائر الناس في زمن ابن رشد ، كانت هذه المهمة اصعب من مهمة سابقيه .

هذه هي الاختلافات الاساسية التي اراها بين ابن رشد وسابقيه من الفلاسفة العرب في الموقــف المشترك الذي وقفوه من الدين ، وفيما عدا ذلك ، تظل نظرية التوفيق في خطوطها العامة طابعا عاما لفلسفة هؤلاء الفلاسفة من الكندي الى ابن رشد .

( يتبـــع )

---

9) انظر جميــل صليبا المرجع الســابق ص 202 .

10) انظر جميل صليبــا المرجع السابق ص 35 .

11) ان تعصب رجال الدين والمتكلمين ضد الفلسفة ، كان ناتجا في اغلب الاحيــان عن غيرتهم على النظام القائم في العلم والعمل الذي اتى به الاسلام ، فالاسلام كان عقيدة ووضعا من اوضاع الحياة العملية . ولذلك لم يقبل هؤلاء ان يتسرب الى النظام الاسلامي ما يعكر صفــوه .

12) انظر اسباب نشوء نظرية التوفيق عند فلاسفة العرب : ليون غوتييه (ابن رشد) الفصل الثالث ، وكذلك كتابه الاساسي « نظرية ابن رشد في علاقة . . . » السابــق الذكــر .

# آثار الفتح الإسلامي في المغرب

للأستاذ ابراهيم حركات

**كـــان** للفتح الاسلامي في المغرب آثار عميقــة شملت النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسيــة ، وتجلى بعض هذه الآثار بصفة مباشرة ، عقب الفتــح الاسلامي ، كما ان بعضها الآخر ، تجلــى فيما بعــد في اطوار مختلفة ، ويهمنا في هذا البحث ، ان نعرف الآثار المباشرة التي نتجت عن هذا الفتح قبل دخـــــول الادارسة .

واذن ، يمكن اجمال الآثار التي تركهـا الفتـــح المغربين الادنى والاوسط ، فان طيراس يرى ان هذه المقاومة كانت ضعيفة من بربر المغرب ، حيث « لــم يصطدم العرب مطلقا بمقاومة جماعية ، بل يبدو انهم كانوا يحاولون ان يضموا البربــر الى صفوفهم ، عوض محاربتهم ، ففي نواح كثيرة من المغرب لم يقم الفتح الاسلامي سوى بادخال دين جديد ، واقرار او توطيد سيادة قبيلة او رئيس ، دون تغيير عميق في حيــاة البلاد (1) .

اما ان العرب لم يكن يهمهم اكثر من نشر الاسلام في ربوع الشمال الافريقي ، فهذا امر لا يعدو الحقيقة خصوصـا في عهد الولاة الاولين كعقبة وحسان ، وامــا انهم لم يقوموا بتغيير عميق في حياة البلاد ، فان تغيير الاوضاع الاجتماعية ، لا يحدث مباشرة بعد امتــزاج امة باخرى ، وخصوصـا اذا كانت الامتان في وضعيــة العرب والبربر ، فحياتهما الاجتماعية لا تكاد تختلــف مسكنا ومطعما وعادات .

وبعبارة اخرى ، فان العرب خلال قيامهم بفتح المغرب العربي ، لم يكونوا هم انفسهم قد بلغوا مــن الحضارة درجة تذكر ، ولكننا مع ذلك ، لا ننسى الاثر الديني الذي تركه العرب في البربر وهو اثر يستطيع المرء ان يؤكد انه كاد يكون مباشرا ، من حيث اشتراك البربر في فتح الاندلس وظهور المذاهب الخارجيــة في كثير من اجزاء المغرب العربي .

واذن ، يمكن اجمال الآثــار التي تركهـا الفتــح الاسلامي في المغرب كما يلي :

1 ـــ بدء انتشار الاسلام في المغرب ، لان اقرار هذا الدين في عموم المغرب الاقصى ، انما تم على يــد الادارســـة لكن يمكن القول ان الاثر الدينــي كــان في الشمال اعمق منه في سائر جهات المغرب، اما في الغرب، فلم تتمكن مبادىء الدين الصحيحة من نفوس البربر ، حيث نجد البرغواطيين قد احدثوا بدعا كثيـــرة في الاسلام ، ولم يستطع الادارسة ولا دويلات القـــرن الرابع الهجري ان تضع حدا لهذه البدع ، حتى قضى عليها يوسف بن تاشفين .

2 ـــ اشتراك البربر في فتح الاندلس : كانـــت اربعون سنة من استقرار العرب بالشمال الافريقي منذ قدوم عقبة كافية لجعل كثير من البربر يعتنقـــون الاسلام عن عقيدة واقتناع ، وكان من بين هـــؤلاء المؤمنين : طارق بن زياد الذي تم بفضله اقرار الاسلام في الاندلس .

وقد اختلف في نسب طارق بن زياد (2) ، حتى ان بعضهم عده فارسيا ، على ان اغلبية المؤرخين عدوه بربريا ، والمهم انه لعب دورا رئيسيا في فتح الاندلس،

---

1) طيراس : ج 1 ص 88 .
2) ابن عذاري : 2 ص 7 .

كما ان الجيش الفاتح ، كاد يكون كله من البربر الذين بلغ عددهم اثنى عشر الفا عند اجتيازهم الى الاندلس لاول مرة ، وتمكن طارق من فتح قرطبة ومالقة وغرناطة ومرسية وطليطلة على التوالي ، وحصل على مائدة ثمينة من الزبرجد .

واذا كان موسى بن نصير قد حسد طارقا على ما حصل عليه من فتوح وغنائم ، حتى ان الامر ادى به الى اعتقاله ، فان هذا لم يحرك ساكنا ، مع ما كان يتمتع به من نفوذ بين قومه ، وقد قيل ان موسى كان قد اوصاه بعدم تجاوز قرطبة في فتوحه فلم يمتثل . وعلى اي ، فقد كانت المعركة الحاسمة ، في وادي البرباط بين جيش طارق وجيش لذريق سنة 92 هـ وكان في رفقة طارق ، جماعة من القواد المسلمين المشهورين كمغيث الرومي وعبد الملك المعافري .

والواقع ان موسى بن نصير قد اساء الى طارق باعتقاله والتنكيل به ، بيد ان عمله هذا ليس الا حلقة من سلسلة المساوىء التي ارتكبها الولاة الامويون ضد البربر في المغرب ، وقد انتقلت هذه السياسة السيئة الى الاندلس ، بانتقالهم ، خصوصا في ايام عبد الملك بن قطن الذي تولى سنة 123 هـ وفي ايامه قدمت طالعة بلج بن بشر ، فاشتد بهم العرب ، وقاموا ينتقمون منهم في شذونة حيث ( لم يكن للعرب فيهم الا نهضة واحدة ، حتى ابادوهم ، واصابوا امتعتهم ودوابهم ، فاكتسى اصحاب بلج ، وانتعشوا ، واصابوا المغانم ) (1) .

مهما يكن من معاملة الامويين للبربر ، فان هؤلاء قد اخلصوا للاسلام ، وبفضلهم استمر الحكم الاسلامي في الاندلس ثمانية قرون .

3 ـ التاثير الحضاري : استغرقت الفترة الواقعة بين قدوم عقبة بن نافع الى المغرب ، وقيام الدولة الادريسية ، ما يناهز قرنا وربعا ، فما هو مدى تاثير الحضارة العربية في بلاد البربر خلال هذه المدة ؟ وماذا يمكن ان نعرف عن النظم الادارية والمنشآت العمرانية والحركة الفكرية بالمغرب خلال هذه الفترة ؟

ان المصادر المعروفة لحد الساعة ، لا تفيدنا بشيء كثير عن آثار الفتح الاسلامي من الوجهة الحضارية ، كان العرب لم يكن يعنيهم سوى ان يفتتحوا هذا الجزء من العالم وان يبسطوا سلطتهم على اخوانهم البربر ، وكان المؤرخين لم يكن يهمهم سوى الجانب السياسي من التاريخ ، بما فيه من فتن واضطراب ومساوىء ، من غير ان يهتدوا الى ايفاء الجانب الحضاري حقه من البسط والتوسع ، ومع ذلك فان القارىء الكريم يستطيع ان يجد معلومات متناثرة في مختلف الكتب التي عالجت تاريخ المغرب ، وجادت على هذه النقطة الهامة ببضع جمل او سطور .

لم تكن جيوش العرب الفاتحة كثيرة العدد ، اذ لم تكن تتجاوز في الغالب 110 000 رجل ، معظمهم يظلون الى جانب الوالي العام في القيروان ، او في المدن الكبيرة (2) ، ولذلك ، فلم يتاثر الاقتصاد المغربي على ما يظهر ، بقدوم العرب الاولين ، ولكنه سوف يتضرر الى حد الخطورة ، حينما سيكتسح بنو هلال المغرب ، وفي الغالب كانت الاندلس تابعة للقيروان ، والمرجح انه كان للامويين عمال كثيرون في مختلف اقاليم المغرب العربي وسلطتهم لم تكن محددة ، ولكن مهمتهم الاساسية جباية الزكاة والخراج ، وكان الاتصال قليلا بمركز الخلافة نظرا لبعد المسافة وبطء وسائل المواصلات غير ان الولاة كانوا لا يبتون في الشؤون الهامة من غير استشارة الخليفة ، فتوسيع مسجد القيروان في عهد حسان ، وفتح الاندلس في عهد موسى بن نصير ، من بين الامور الهامة التي استدعت مثل هذه الاستشارة ، والى جانب ذلك ، كانت تقع سوابق خطيرة في شمال افريقية او في الاندلس فيقرها الخليفة ، كعزل وال وتعيين آخر مكانه من لدن الاهالي

ويعتبر عهد حسان بن النعمان من الوجهة السياسية والادارية ، احسن حقبة مرت في تاريخ الفتح الاسلامي بالمغرب العربي ، فقد عمل على تنظيم الشؤون الادارية بانشاء الدواوين وكتب الخراج على عجم شمال افريقية (3) ، وكانت النقود تكتب بالعربية واللاتينية ، وقد يشترك غير المسلمين من اهالي البلاد في شؤون الادارة (4) ، وخلافا لما ذكره طيراس من ان

---

(1) ابن عذاري : 2 ص 43
(2) طيراس : 1 ص 91
(3) ابن خلدون 6 ص 219 وابن عذاري 30 .
(4) تاريخ تونس ص 104

البربر قد اسلموا بالقوة ( وهو تناقض مع فكرته السابقة ) فان بقاء كثير منهم على المسيحية او اليهودية ، وحتى الوثنية في بعض المناطق ، لقاء خراج يؤدونه مقابل الزكاة المفروضة على المسلمين ، يدل على ان الولاة لم يرغموا الاهالي على الاسلام ، وان كان هذا لا ينفي انهم اساءوا احيانا معاملتهم من غير مراعاة لدينهم .

وقد احاط ولاة القيروان انفسهم بجنود من العرب ، اصبحوا يكونون طبقة ارستقراطية تحافظ على امتيازاتها وعصبياتها القبلية ، ولا يعطينا التاريخ اسماء ولاة كثيرين للاقاليم تابعين لحاكم القيروان ، ونسمع فقط ، عن وال واحد بطنجة ، هو عمر المرادي الذي قتله الخوارج بسبب سوء تصرفاته ، كما نسمع عن يليان حاكم سبتة الذي اقره موسى بن نصير (1) عاملا عليها ، ومصير هذا الحاكم يكاد يكون مجهولا بعد تدخله في الاندلس الى جانب المسلمين ، كما ان طارق ابن زياد ، قد يكون تولى على طنجة وسائر المغرب الاقصى حسب ما يرويه ابن عذاري (2) .

وتمدنا المراجع القديمة بمعلومات اكثر نسبيا ، فيما يرجع الى الناحية العمرانية ، فمن المؤكد ان استقرار العرب بالمغرب منذ الفتح ، الى قيام الدولة الادريسية ، كان مصحوبا باعمال عمرانية .

ولا يعرف ما اذا كان عقبة قد قام باعمال من هذا النوع في المغرب ، اذ من المشكوك فيه ان لا يكون قد قام بعمل البتة ، في ميدان العمران ، خصوصا وقد تمكن من بناء مدينة بسائر مرافقها في افريقية ، واقصد بها القيروان ، ومهما يكن من شيء ، فسيصعب على الباحث ان يستقصي اثار الولاة العمرانية واحدا واحدا .

وقد اتجه العرب في البداية الى الناحية الدينية ، فاسسوا مساجد كثيرة ، وحولوا عدة كنائس الى مساجد وجهزوا الجوامع بالمنابر ، وفي سنة 85 هـ اسس مسجد باغمات في عهد موسى بن نصير .

وفيما يخص المدن ، فان « غساسة » الواقعة غرب مليلية ، والتي عثر على بعض آثارها حديثا ، تعتبر من اقدم المدن الاسلامية بالمغرب ، ولا يعرف بانيها بالضبط ، ولكن من المحقق انها بنيت في عهد الامويين ، وكانت ميناء هاما على شاطىء البحر المتوسط ، وقد نزل بها ابو عبد الله اخر ملوك بني الاحمر ، بعد خروجه من الاندلس .

وفي النصف الاول من القرن الثاني الهجري بنيت مدينة « نكور » بين تمسامان والحسيمة وقد نقل الاستاذ احمد المكناسي عن البيان المغرب ، ما يفيد ان بانيها هو احد احفاد صالح بن منصور ، احد رجالات العرب القادمين على المغرب في ايام الوليد بن عبد الملك ، وقد قام صالح بنشر الاسلام بين بربر صنهاجة وغمارة في الشمال ، وكان له ثلاثة اولاد ، احدهم يدعى ادريس ، وقد خلف هذا ولدا اسمه سعيد ، من امراة صنهاجية ، وهو باني نكور ، قال ابن عذاري : ( وكان لها اربعة ابواب ، منها باب سليمان ، وباب بني ورياغل ، وباب المصلى وباب اليهود ، وبها جامع كبير ، واكثر خشبهم الارز ، وبها حمامات كثيرة ، واسواق عامرة ممتدة ، وهي بين نهرين احدهما اسمه نكور ، وبه سميت المدينة ، ودخلها المجوس سنة 244هـ وتغلبوا عليها وانتهبوا ما كان فيها ) .

وقد ضرب هذه المدينة يوسف بن تاشفين سنة 473 هـ ولا تزال ضرائبها تشهد بماضيها المجيد ، وهي على بعد 26 كم من الحسيمة ، ويقول احد الاثريين المغاربة (3) : انه قد تمكن من استخراج كسرات قديمة من الخزف بنكور ، وتعتبر اقدم خزف اسلامي عرف حتى الآن .

وقد عد الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله « نكور » كاول مدينة اسلامية بالمغرب ، وذلك في الجزء الاول من كتابه « مظاهر الحضارة المغربية » كما انه نسب بناءها الى ادريس بن صالح ، عهد عبد الملك وبناء على رواية ابن عذاري المذكورة ، فان بناء « نكور » لم يشرع فيه قبل نهاية القرن الاول ؛ كما ان الباني هو سعيد بن

---

1) ابن خلدون 6 ص 437 .

2) ابن عذاري ص 37 .

3) الاستاذ احمد المكناسي في بحثه عن المدن الاسلامية المندرسة في شمال المغرب .

ادريس ، اما ان تكون اقدم مدينة اسلامية بالمغرب ؛ فذلك ما يدعو الى الشك اذ نجد انفسنا امام مدينة اخرى قديمة هي « بليونش » ولا يستبعد ان يكون تاسيسها قد تم قبل بناء «نكور» وقد دعيت في البداية بمرسى موسى حيث نزل ابن نصير باحد جبالها قبل العبور الى الاندلس .

وفي سنة 140 ه بنيت مدينة سجلماسة قبل حلول الادارسة بنحو ثلث قرن ؛ وذلك في عهد عيسى ابن يزيد الاسود ، احد زعماء الخوارج الصفرية ، وقد عمرها بربر مكناسة ؛ واصبحت مستقلة عن ولاة القيروان ، وبنيت في البداية بدون سور ، ولما تولاها اليسع بن سمغون المكناسي ، احاطها بسور اسفله من الحجارة واعلاه بالطوب ، وبنى بها عدة مصانع وقصور ، ومن ملوكها محمد بن الفتح الذي دعا لبني العباس ، ثم اعتصم بحصن تاسكرات القريب من سجلماسة بعد ان طارده القائد جوهر الصقلي ، وقد انتهت دولة بني مدرار المكناسية سنة 366 ه واستمر عمران المدينة بعدهم الى القرن العاشر الهجري ، ومن المحتمل ان تكون سجلماسة اول مدينة بناها البربر بالمغرب منذ قيام الاسلام .

واما اذا اردنا ان نعرف شيئا عن الحياة الفكرية بالمغرب في هذا العهد ، فيكون ذلك اعسر شيء يمكن استنتاجه من خلال المصادر القديمة القليلة ، والظاهر ان معظم العرب الذين دخلوا الى المغرب كانوا اميين او اشباه اميين ، وكان بينهم عدد قليل من الصحابة والتابعين الآخذين بنصيب من علوم الدين ويحدثنا ابن عذاري انه لما تولى اسماعيل بن ابي المهاجر سنة 100 كان حريصا على دعاء البربر الى الاسلام ، حتى اسلم بقية البربر بافريقية على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز ، وهو الذي علم اهل افريقية الحلال والحرام ، وبعث معه عمر عشرة من التابعين اهل علم وفضل كعبد الرحمن بن نافع وسعيد بن مسعود التجيبي .

وقد وصف ابن خلدون ، سعيد بن واسول جد بني مدرار بانه من مشاهير حملة العلم في هذه الدولة وانه ادرك التابعين ، واخذ عن عكرمة مولى العباس ، كما اخذ عنه من بربر مكناسة عالم اخر يدعى بنسمقو (1) .

على ان الحركة العلمية لم تكن واسعة النطاق قبل قيام الدولة الادريسية ، نظرا لاسباب عديدة منها انه لم ينتقل الى المغرب من علماء الشرق عدد كثير ، ثم ان الاضطرابات السياسية حالت دون نمو هذه الحركة ، بالاضافة الى ان الدولة الاموية كانت قليلة التشجيع للعلم والعلماء مما لم يتسع معه مجال النشاط العلمي في عاصمتها فضلا عن البلاد التابعة لها .

ومن حيث المذاهب الدينية ، كانت بلاد المغرب العربي فيما بين منتصف القرنين الاول والثاني تقتدي بآثار السلف الصالح ، حتى اذا بسط العباسيون نفوذهم على الشمال الافريقي ، اصبح المذهب الحنفي يسود هذه الناحية من المملكة الاسلامية ، ومنذ عهد الادارسة تارجح المغرب بين المذهب الحنفي والشيعي بسبب نفوذ الفاطميين ، والمالكي الذي اصبحت له السيادة المطلقة منذ القرن الخامس .

ومهما يكن من شيء ، فقد كان تاثير اللغة العربية قويا منذ البداية ، ذلك لان هذه اللغة ترتبط بالدين ، واختلاط البربر في فتوح الاندلس ، وتسرب الخوارج الى صفوف البربر ، من العوامل التي مكنت اللغة العربية من السيادة مع الزمن ، حتى اتخذها البربر انفسهم لغة رسمية في عهد المرابطين وقبلهم .

وقد شك بعض نقاد المؤرخين فيما اذا كان طارق قد القى خطبته المشهورة بالعربية في الاندلس ، واي غرابة في ان يتعلم طارق وغيره من البربر ، اللغة العربية بعد دخول العرب الى المغرب بنحو 40 سنة ؟

والمشهور ان صالح بن طريف قد وضع لبربر برغواطة قرآنا حاول ان ينهج فيه سور القرآن الكريم واسلوبه ، والزم البربر بحفظه ، وكانت الصلوات تقام باللغة العربية في جميع المناطق التي امتد اليها الاسلام

ومجمل القول ان اثر الفتح الاسلامي في ميدان التعريب ، اصبح يتجلى في قيام نهضة فكرية طيبة ايام الادارسة ، وليس احسن في التنويه بهذا الاثر ، من شهادة وليام مارسي التي نقلها عنه « بوسكي » في كتيبه : ( البربر ) والتي يقول فيها :

قطعت بلاد البربر كل علاقة لها مع الغرب في القرن السابع ، وذلك لترتبط بالشرق ارتباطا كليا لا رجوع فيه ، ومن غير ان يحدث من اجل ذلك نزاع داخلي او ازمة ضمير . وان العرب سادات البلاد الجدد امكنهم بعدئذ ان يتخلوا عن مزاولة السلطة المباشرة فاستطاعوا بذلك ان يسلموا البلاد الى نفسها ، ولكنهم طبعوها بطابع عربي لن يمحى اثره ابدا ، فقد عربوا المغرب ، حتى ليمكننا ان نعتبره اليوم في مجموعه تقريبا كناحية قاصية من مركز العروبة .

---

(1) ابن خلدون 6 ص 267

# أسطورة المسيح في قصة قرية ظالمة

للأستاذ ابراهيم الحصري

### تمهيـــــــد :

داب الادباء الكبار على اعادة النظر في المواضيـع الانسانية الخالدة لخصوبتها ومرونـة فكرتها مما يحفز الادباء اللاحقين منهم على تطوير مفهوم تلك المواضيع عند سابقيهم ، وليست قصص : اوديب ، وكيلوباترة، وانطونيو ، وبرومثيوس ، واوريست الا نماذج معروفة لهذا المنحى الرائع في الاداب العالمية .

واسطورة المسيح التي نتعرض لبحثها اليـــوم ينسحب عليها ما انسحب على المواضيـع الانسانية السالفة ، لكن ، قبل ان نتطرق الى الاسطـــورة في مختلف جوانبها ارغب في الاشارة الى الشبه الواضح بين حياة السيد المسيح وفيلسوف الانسانية الكبير سقراط ، فسقراط – مثل المسيح – قد بدا يعلـم شباب اثينا التفكير السليم المقنع بعد نقاش فردي حر وبذلك حول مجرى التفكير اليوناني – بل الانساني – الى اعماق النفس بدل الخوض في الالهة وما يكتنـف حياتها من خرافات وتضليل ، وقبض على سقـراط – مثل المسيح – بتهمة افساد الشباب والاخلال بامن الدولة ثم حكم عليه بالموت فتقبله بصدر رحب ، ومات سقراط في جلال المفكر فانتشرت مدرسته بتزعمهـا تلميذه افلاطون مثلما انتشر الحواريون لنشر دعـوة السيد المسيح .

❋

وقد اخترنا لمعرفة اسطورة المسيح ثلاثة انواع من الكتب كلها تناولت الموضوع بكيفية مختلفة وكنـا بادىء الامر نريد الوقوف على الاسطورة بكامل جوانبها اذ هي في الانجيل دينية مقدسة اما عند ارنست رينان الملحد فليست الا حياة مصلح قـد ، بينمـا يجـيء فرانسوا مورياك فيصوغ منها قطعة ادبية ممتعة لـم تسلم من بعض نفحات الدين الذي يعتقده موريـاك بصدق ... اما بعد قراءتنا لهذه الكتب فقد خلصنا الى ان الدكتور محمد كامل حسين مؤلف « قريـة ظالمة » قد جمع خصائص هذه الكتب جميعا فقدم كتابه الرائع في سماحة رجل الدين ونفاذ المفكر وروعة الاديب ذي الاسلوب الهادىء الممتع .

### اسطورة المسيـح في الانجيـل

حياة المسيح في الانجيل اسطورة تكتنفها الخوارق والمعجزات منذ بدايتها ، وتتشابه الاناجيل الثلاثة : متى ، ومرقس ، ويوحنا ، في سرد الاسطورة تشابها تاما اما اختلافها فينحصر في الاسلوب والطول والقصر اذ جاء ذكر معجزات ومناقشات في بعضها دون البعض الاخر لكنها اختلافات لم تمس الاسطورة في جوهرهـا بادنى تغيير ..

بعـد ان اصطفى الله يسوع – تقول الاناجيل – وخصه بالروح القدس اخذت معالم النبوة تبـدو على وجهه الصبوح وتصرفاته الموحية (1) .. ولما بلـغ الثلاثين ابتدأ يبشر برسالته الجليلة في قوة وبسالـة فتبعه بعض صيادي السمك من طبرية واخـــذوا يجوبون معه قرى الجليل مثل ناصرية ( حيث ولـد ) وكفرناحوم (2) ، فاخذ نبأ النبي الجديد يطرق مسامع

---

1) متى : ص 4 .
2) متى : ص 8 .

وتتالت انباء السيد المسيح وكثر انصاره خاصة بعد ان ظهرت معجزاته الخارقة فى شفاء المرضى وابصار العمي وانقاذ الملاحين الذين نادوا باسمه والنوء يتخطفهم من كل صوب فاذا المسيح يسير على الماء كمن يمشي على الارض فيامر الريح ان تهدا او الموج ان ينحسر واذا السفينة الى هدوئها تعود فتتابع رحلتها الى شاطىء الامان (1) .

وبلغت معجزاته منتهاها عندما جاءته امراة ترجوه ان يحيي اخاها ( لازار ) الذي مات منذ اربعة ايام ولا سند لها غيره، واذا المسيح يلبي رغبتها فيحيي اخاها من بعد موته ويعيد الامل لقلب المراة المتوسلة المؤمنة به .

وتكاد الاناجيل الثلاثة تفرد ثلاثة ارباعها للتحدث عن هذه المعجزات التي تتشابه احيانا تشابها مملا ، وقد دفعت هذه الخوارق بالكثيرين الى الايمان بصاحبها مما ازعج الفريسيين فاخذوا يهتمون بخطر دعواه على دينهم الذي اعتقدوا فيه منذ عشرات السنين ، وكان الى جانب هؤلاء المنافقين فئة الكهنة والاحبار الذين خافوا على الدين الجديد ان يسلبهم المكانة التي حباهم بها الشعب الاسرائيلي .

هاتان الفئتان كانتا تواكبان فئة ثالثة هي فئة الاغنياء ، فقد حث المسيح على نصرة الفقراء ووعدهم بالجزاء الاكبر فى مملكة السماء « قال يسوع لتلاميذه الحق اقول لكم انه يعسر ان يدخل غني الى ملكوت السموات واقول لكم ايضا ان دخول رجل من ثقب ابرة ايسر من ان يدخل غني الى ملكوت الله » وبذلك ازدرى المسيح مالهم وجاههم الذي اعلاهم عن بقية الناس .

اخذ المسيح يجوب القرى كعادته ينشر رسالته فى سماحة وحب ، ويحاور الفريسيين فى كل ما يعرضون عليه بغية وصمه بالعجز ، فاجبوا مرة — مثلا — ان يدمغوه بتهمة المس بامن الدولة الحاكمة ( الرومان ) فجاء من يسأله : اتدفع الضريبة للدولة الحاكمة ام لا ؟ فاجابه : ائتني بالذي تدفعون منه ،

يسوقونها الى حيث ترجم بعد ان حكم عليها حسب الشريعة الموسوية ، فسالوه ان كان رجمها واجبا ؟ فرد عليهم بهدوء : من كان منكم بلا خطيئة فليقذفها بحجر .

كان السيد المسيح قد زار اورشليم مرات عديدة لكنه اذ احس الخطر يحدق به غادرها الى الجليل حيث داب على التعبد رفقة الحواريين الانصار، فلما احس بدنو اجله — يقول الانجيل — اسر اليهم بموته فلم يفهموه لانه فوق ادراكهم .

وحين اقبل عيد الفصح اجتمع الاسرائليون فى اورشليم كعادتهم لاقامة الزينة ومعالم البهجة والاحتفال فجاء من يقول للمسيح ان الجميع يتربصون به الدوائر ليوقعوه فى تهمة مدبرة كي يتخلصوا منه فالتفت الى انصاره يرجوهم ان يذهبوا الى اورشليم بدونه لكنه ما لبث ان تبعهم وهو موقن بخاتمة مطافه .

قال متى : « ... وقال لتلاميذه انه بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يصلب (4) » ثم قال : ( فحينئذاجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب فى دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب (5) ) . ولما اطل المسيح على المدينة المحتفلة ناداها : ( يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة افراخها تحت جناحيها ولم تريدي ، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا (6) ) .

كان دخول المسيح اورشليم ليلة خميس مشحونا بالهلع والفزع فقد ضج الناس حين سمعوا بدخوله الا انهم لم يتبينوا مكانه لولا ان الشيطان زين لاحد انصاره ( وهو يهوذا ) ان يشي بالنبي الكريم ، وقبض على السيد المسيح وسيق الى الحاكم قيافا ثم الى المدعي العام بيلاتوس ، وكان من عادة اليهود فى عيد الفصح ان يطلقوا سراح احد المسجونين ، واثناء القبض على المسيح كان بالسجن المجرم الخطير باراباس

---

1 — 2 — 3 — 4 — 5 — 6 ) متى : ص 18 . ص : 45 . ص 52 . ص 63 . ص 54 .

فخرج بيلاتوس يسال الجماهير : اي الرجلين يطلق فاجابته : باراباس ، باراباس ، وبذلك سيق السيد المسيح الى ساحة الاعدام بين ضحكات الشامتين ولعنات الضالين السذج ، ونزلت للتو ظلمة دامسة امتدت ثلاث ساعات كاملة ، ثم جاء يوسف وطلب جسده المصلوب ولما اعطيه وضعه في قبر بحضور مريم وغطاه بحجرة عظيمة ، وكان القبر سبتا فلم يمسه احد ، ولما عاد يوسف في اليوم التالي لم يجد الجسد فقد رفعه الله اليه .

## الاسطورة عند ارنست رينان

نهج رينان الاسلوب التاريخي في دراسة حياة المسيح فابرزه في طفولته صبيا ذكيا اتاح له ابوه تعليما فقهيا حسنا كما انه الم بالشرائع الاخرى وخبر الاحكام والنظم السياسية والاجتماعية وقد تاثر في تضوجه الفكري بالكثير من علماء عصره مثل يوحنا الذي اقام عنده بعض الوقت قرب الجليل .

وقد تتبع رينان المسيح في رحلاته التبشيرية (ويبدو ان السيد المسيح لم يلق معارضة جادة في المرحلة الاولى من تبشيره) الامر الذي شجعه على المضي فيها ، ويذكر الكاتب ان الحواريين دفعوا المسيح دفعا الى تلك المعجزات ، ثم يحاول أن يخضع هذه المعجزات الى البحث العقلي المجرد من قدسية الدين فيفسر مثلا شبع الحواريين العديدين من كسرات الخبز الزهيدة التي وزعها عليهم بان الحواريين كانوا مؤمنين سلفا بهذا الشبع ، ويشرح قدرة المسيح على اخراج الشياطين من اجساد المرضى بقوله : ما زلنا الى يومنا هذا نرى ان الناس في سوريا يعاملون الغريبي الاطوار منهم معاملة الحمقى او الذين حل بهم الشيطان ، وفي هذه الحالة تكفي كلمة رقيقة لطرد الشيطان .. وما من شك في ان هذه هي الوسيلة التي استخدمها المسيح ) .

وقد قوت هذه الوسائل — او المعجزات حسب الانجيل — من خطر صاحبها فانتشرت اخباره في جميع الانحاء ، اما في اورشليم فقد تعدى الخطر مرحلة التذمر الى المقاومة والسخرية بتلك التعاليم بغية تشويهها ، ومن هؤلاء الساخرين جماعة الفريسيين (فكان احدهم يجر رجليه جرا بين الحجارة المسننة دون مبالاة ، وكان آخر يسير مغمض العينين كي لا يبصر النساء ) وقد لقيت هذه السخرية المجسمة رواجا بين افراد الشعب البسطاء واثارت فيهم الحمية والخوف على دينهم من العبث والمس .

وكان يشجع هؤلاء المنافقين جماعة الاغنياء الذين حنقوا على المسيح لانه ( اعلى من شان الفقير الذي يعطي قليلا على الغني الذي يعطي كثيرا ) ويرى رينان الى جانب تضافر الفريسيين والاغنياء ان هناك سببا مباشرا عجل بصلبه هو ان قيافا الحاكم كان ذا رشد وحكمة لكن ظروفه الخاصة تدفعنا الى الاعتقاد بان ارادته كانت اسمية فقط ، فنحن نلاحظ ان شخصية معينة كانت بجانبه طيلة مدة حكمه ، ولم تكن هذه الشخصية غير زوج امه حنان . وكان حنان هذا رئيسا الحزب الكهنوتي .

فكان من الطبيعي ان يهتم حنان بمصلحة الحزب الكامنة في الخضوع لتعاليمه الدينية .

هذه الاسباب مجتمعة هي الحافز الاكبر لادانة المسيح اما الشعب فتابع لرؤسائه وحكامه ، اذن ( فلا بيلاتوس ولا غيره قد حكما باعدام يسوع وانما هو الحزب اليهودي العتيق والشريعة الموسوية ) كما يقول رينان .

## الاسطورة عند فرانسوا مورياك

لم يخرج مورياك عن نطاق الاسطورة في الانجيل ولا عنها عند رينان ، واذا كان هذا الاخير قد حاول « تعقيل الاسطورة » وتعليل ظواهرها الخارقة بالتفسير التاريخي والاجتماعي فان ميزة مورياك انه صاغ الاسطورة في اسلوب ادبي فيه من سماحة الدين نفحة لا افراق فيها ولا تهويل يقول في مقدمة الكتاب ( لا اشك في ان حياة المسيح يجب كتابتها في خشوع يملانا شعورا بدونيتنا الانسانية التي تدفع الى اسقاط القلم من اليد) اما المنهاج فقد تاثر فيه مورياك برينان حتى ان عناوين الفصول لتكاد تتطابق على ان فرانسوا مورياك المحب لدينه لم يجنح الى التحقيق المجرد فاقتصر على اسلوبه المتدفق الخصب في تصوير سيرة المسيح وصوغها في قالب ادبي مليء بالسماحة والاخاء والحب

والخلاصة ان الانجيل ورينان ومورياك اتفقوا على ان الشعب الاسرائيلي لم يستسغ تعاليم المسيح التي حسب فيها تشتيتا لوحدته ومنافاة لشريعته

الموسوية الراسخة ، فلا غرو اذن ان يحارب كل من يريد ان يحيد به عن دينه .. ولم يكن السيد المسيح غير واحد من زمرة الانبياء والمرسلين الذين قتلتهم تلك المدينة الظالمة : اورشليم .

## الاسطورة عند الدكتور محمد كامل حسين

اعتمد كاتبنا العربي الكبير على الشخوص المعروفة باسمائها في كتابه وهي : قيافا وبلاتوس ولازار ومريم المجدلية ، لكنها شخوص تؤدي دورها بمفهوم جديد لم تتطرق له الكتب السالفة ، ولئن كان المؤلف قد اقتصر على يوم الجمعة الحزينة التي صلب فيها السيد المسيح (1) ، فان هذا لم يمنع المؤلف من الاحاطة بالاسطورة في تفاصيلها اثناء المناقشات المحتدة بين شخوص الكتاب .

تعالج قصة « قرية ظالمة » وهي تستغل اسطورة المسيح ــ مشكلة بالغة الاهمية هي : ضمير الفرد وضمير الجماعة ، والمؤلف يعرض في كتابه للانسانية جمعاء في اختلافاتها ونوازعها الفردية بتفكير حصيف عميق الادراك ، وليست « قرية ظالمة » قصة كاملة بالمفهوم الفني المتداول ، وانما هي فكرة تناقش في اطار من اشخاص وامكنة ، وانتخاب الاشخاص والامكنة في مثل هذا النوع من القصص يرتكز عادة على اسطورة او قصة او واقعة تاريخية يحملها الكاتب طاقات من معنى ما يريد ان يحملها به وعلى هذا الاختيار يتوقف الكثير من نجاح العرض وقوة الاقناع (2) بل ان الاسطورة في « قرية ظالمة » ليست الا نموذجا للخطايا الانسانية المتكررة حتى الآن في الاستعمار والحروب .

وقد عرض الدكتور محمد كامل لمشكلة الضمير فاجلاها عند الفرد وعند الجماعة ثم حاول ان يضع حلا دائما لها في آخر الكتاب .

1) **الضمير الفردي** : ففي مطلع الكتاب يعرض المؤلف الاشخاص المسؤولين عن ادانة السيد المسيح وقد انفردوا بعد الحكم عليه الى التفكير الهادىء البعيد عن عيون الجماعة فاذا الحيرة تتخطفهم والادانة التي اتهموا بها المدعى عليه ليست منصفة كما راوها بالامس : فالمفتي مثلا وهو يناقش ابنه يقول : (انى لن افتي بعد اليوم انهم اساءوا فهم فتواي ويريدون ان يقتلوا بها رجلا لا ارى ضميري يرضى عن قتله بل اننا نرى المفتي وقد انقلب الى مكافح مدافع عن آراء المسيح بالتحليل العقلي الدقيق .

ولم يكن رجل الاتهام اقل حظا من البلبلة عندما ناقش زوجته ولكنه لم يذعن لحججها الدالة حتى في بساطتها بل انه ابدى تماسكا مزيفا فسار الى دار الندوة وقد ( خيل اليه ان اطمان وان يكن في الواقع انما احاط نفسه بسياج من حججه القديمة حتى لا ينفذ اليها وخز الضمير والم الشك ) .

اما قيافا فقد اعترف بينه وبين نفسه ان الكثير من المبادىء الخلقية التي دعا اليها المسيح قويمة سامية كما لاحظ ان يسوع ( لم يؤذ اي فرد من بني اسرائيل ولن يؤذيه اي فرد منهم ولكنه يؤذي بني اسرائيل مجتمعة ، وجماعتهم هي التي ستنتقم منه وان كره كل واحد منهم ان ينتقم منه بنفسه ) ثم اخذ يتأمل الاتهامات الجائرة التي سردها المدعي العام بالامس فالفاها مفرغة متخاذلة ، واخيرا خرج الى الندوة وقد اعزم ان يلزم جانب الحيدة وان يقر مايتفق عليه اهل العلم وقادة الفكر من قومه وحسابه وحسابهم على الله )

اما بيلاتوس فقد خلص من مناقشته الممتعة مع الفيلسوف اليوناني الى ان الحق والباطل ليساواضحين دائما لان العقل يضل في متاهات الشك والملابسات وانتهى بيلاتوس الى الياس وكذا الفيلسوف نفسه ( فقد اصابه ما اصاب بيلاتوس من الياس ) .

الى هذه الفئة من المفكرين الملتمسين لتخاذلهم الجائر عند محاكمة السيد المسيح كل معذرة ممكنة او راكنين الى الياس والاقرار بالعجز ، الى هؤلاء نجد

---

1) لم يعن المؤلف بصحة صلب المسيح كما جاء في الانجيل كما انه لم ير ما جاء في القرءان الكريم من انه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم لان هذه الفكرة لا تعد جوهرية في كتابه اذ المهم لديه ان يوم الجمعة الحزينة كان نهاية تبشير المسيح نفسه برسالته .

2) سهير القلماوي : المجلة عدد 12

آخرين توصلوا الى الايمان فرادى لان في اعماقهــــم استعدادا قويا للايمان مثل التاجر الذي تكفــل باعداد الصليب فتطاير شرور الحداد على عينه فعميت فكانت حافزا له على الايمان بالمسيحية ، ومثل الجنـــــــدي المسيحي الذي ( ما كاد يقع نظر المسيح عليه حتـــى احس كأن نورا اضاء قلبه فاستجاب ضميره لهــذا الدين الذي جاء النبي الجديد وبدا منذ ذلك اليــوم يفهم الدعوة فهما حقا ودخل منذ تلك اللحظة في زمرة المؤمنيــــن . . . ) (1)

2) **الضمير عند الجماعة :** لــم يتنــاول الكاتب الجماعة مستقلة ولم يكن ليستطيع ، وانما اقتصــر على ابرازها في تضاعيف حديثة عن الضمير عند الفرد، ورغم ان الجماعة في حقيقتها ليست الا مجموعة افراد فان الدكتور محمد كامل كان قد حرص على تبيان ان الجماعة لاضمير لها بل يذهب في القول على لسان قيافا بان المسيح اعجز عجزا تاما عن ان يخلق للجماعات ضميرا كأنه يظن ان الجماعات تكون طيبة اذا كان افرادهــا طيبين وهو خطأ مشهــور ) (2) فالافراد وان اخلصوا انفســهم من ادران الشهوة والانانية فانهم لــن يلبثــوا ــ اي الضمير ــ يتجنب الاوثان الحسيــة والمعنوية .

3) **كيف نقوي الضمير الجماعي :** لاحظ المؤلف ان القوى المتحكمة في الجماعات ثلاثة القوة الحيويــة وما فيها من نوازع وشهوات ، وقوة العقل وما فيهــا من قوة على المعرفة وقوة الضمير وما جبلت عليــه من تمييز للحق من الباطل ، فاما القوة الاولى فغايتها الابقاء على الحياة وهي لذلك تتعدى حدودها مجازفة كي تبلغ مرماها ، اما القوة العاقلة فوسيلة قويمـــة للمشاكل والاحداث ولكنها مغرورة بقدرتهــا ، امــــا الضمير فخير كله وهو الحكم بين الباطل والحق (3).

والسبيل الاقوم لاحقاق الحق هو ان يحاول كل فرد ان يوجد في نفســه توازنا لهذه القوى الثلاث حتى لا يطغى جانب منها على الآخر ، فالقوة الاولى يحافظ عليها بالنشــاط والثانية بالعلم والمعرفــة والثالثـــــة ــ اي الضمير ــ يتجنب الاوثان الادمية منها مثــــل الزعماء والحكام والمعنوية كالمصلحــة العامة والوطن .

يبدو لنا من العرض الســابــق « لقرية ظالمة » ان الدكتور محمد كامل حسين قد خرج بموضوع القصة الاسطوري الخاص بظرف معين الى طرق ما تبــذل ــ وبذلته الاجيال السابقة ــ من جهد في احــــداث نظم سياسية واجتماعية تهدف لاسعاد المجموعـــة البشرية .. كما نلاحظ ان المؤلف حاول ان يجد حلا جذريا للشقاء الانساني فجنح الى تلمس الداء فــي مكمنه .. جنح الى الانسان نفســه فحصر قــواه في عناصر ثلاثة هي الحياة والعقل والضمير مرتئيا في توازنها سعادة الفرد والجماعة جميعا .

وفي نظرنا ان المؤلف وقد نصب نفسه مشرعـــا للانســانية قد تأثر بمفهوم شوبنهور للارادة التي تعتور في باطن الكائن الفرد وتحدد نوع علاقته بغيره ؛ بــل انه يخلص الى نفس تشاؤم شوبنهور في استحالة وجود عالم لبيل خير (4) والا فكيف نفسر تنبيه المؤلف لنــا بوجوب توازن : الحياة والعقل والضمير ونحن نعتقد معه بداهة باستحالة هذا التوازن في اعماق الانسان العادي الذي لا يقوى على فهم نفســه ؛ اليس هذا غير اعتراف مستتر باستحالة انشاء عالم لا شقــاء فيــه ولا شــر .. ؟

ان هذا الجنوح الى اتخاذ الانســان الفرد مفتاحا لحل المشاكل الانسانية ليس جديدا الا ان الدكتـــور محمد كامل حسين لم يترك الانسان حرا مســؤولا في استبطان ذاته كي يشرع للانسانية عبر هذه الذات مثل ما نعرف عن المذهب الوجودي كما انه لم يشعر هذا الانســان بقدرة الله المهيمنة ومشيئة المسيــر كمــا نعرف عن الديانات ، وانما اطلقه ليمارس تجربة توازنه بنفسه الا انه مشــدود منــذ البــدء بمــواد اوليـة مفروضة هي حياته وعقله وضميره .

ولنتجاوز السؤال عن كيفية الاهتداء الى هــــذه العناصر الثلاثة دون غيرها ؟ وعن كيفية التمييـــز بينهــا ؟ ولنتجاوز مرة اخرى فلا نسأل عن طبيعـــة الضمير اهو نزوع فطري ام ان للقوتيـــن الاوليتين تأثيرا عليه ؟ لان هذه الاسئلة تزعزع مناقشتنا مـــن اساسها ولنمر عليها الى سؤال اخير : اليست هذه المحاولة في نهايتها غير اجتهاد لخلق مدينة فاضلـة

---

1) ص : 111 (2) ص : 62 .
3) ص : 258 ــ (4) راجع شوبنهور في تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص : 277 .

ليست من نوع مدن افلاطون والفارابي ولكنها مدينة جديدة لنوع حديث من البشر يمكن ان نسميهم متكامليــن .. ؟

ان هذا النوع من التشريع لا يعدو النقاش الفكري اللا منتهى لانه لا يتخذ الواقع البشري الحي ميدانا له ؛ اما التشريعات السياسية والاقتصادية ـ واحيانا الفلسفية مثل مشروع السلام الدائم لكانط ـ (1) وان كانت تخضع للتطور او التغيير فانها تظل اكثر فائدة واجدى في التماس الحلول لهذه الانسانيــة المعذبــة .

لكن هل من مهام الاديب ان يبسط الحلول كي نأخذ عليه مثل هذه المآخذ ؟ قد يكون الجواب بالنفي الا ان الدكتور محمد كامل حسين وقد اختار اسطورة المسيح نموذجا للخطايا الانسانية المتكررة في الحروب والاستعمار والشر الفردي لم يقتصر على اجلائها في اطار ادبي بل نصب نفسه مشرعا وواعظا يخاطب قراءه مباشرة بافكاره العميقة ؛ لذلك وجدتني مدفوعا الى مناقشته محاولا الاستزادة من الفهم لهذا الكتاب الممتاز الذي لا ابالغ اذا قلت انه احد المؤلفات العربية النادرة في العصر الحديث .

---

1) نقل هذا الكتاب الى العربية الدكتور عثمان امين

**المصـــادر المعتمـــدة**


قرية ظالمة : الدكتور مصطفى كامل حسيــن .
انجيــل متــى
انجيل مرقــس : ترجمــة جمعيــة التــــوراةالبريطانية الامريكيــة .
انجيــل يوحنــا
قرية ظالمة (مقال) الدكتورة سهير القلمــــاوي(المجلة عدد 12) .
القرآن الكريم : (سورة مريم ، سورة آل عمران ،سورة القصص ، سورة النســـاء ) .
محاورات افلاطون : ترجمها عن الانجليزيــــــةالدكتور زكي نجيب محمــود .


---

**القوة في التضامــــن**

كان في اجمة اثوار ثلاثة : ابيض واسود واحمر ، ومعهم فيها اسد ، فكان لا يقدر منهم على شيء لاجتماعهم عليه .

فقال الاسد للثور الاسود والثور الاحمر : لا يدل علينا في اجمتنا الا الثور الابيض ، فان لونه مشهور ، ولوني على لونكما ، فلو تركتماني آكلـه صفت لنا الاجمة .

فقالا دونك فكله فلما مضت ايام قال للاحمر : لوني على لونك فدعني آكل الاسود لتصفو لنا الاجمة ؛ فقال : دونك فكله .

ثم قال للاحمر اني آكلك لا محالة .

فقال : دعني انادي ثلاثة فقال : افعل ، فنادى : الا اني اكلت يوم اكل الثور الابيض !




كل جان يحاكم بواسطة المحلف ، الا اذا كانت جنايته طفيفة ، بحيث يباشر الفصل فيها لدى الجلسات الصغرى ، ويعاقب عليها برفق ، كأن يكون العقاب غرامة مالية ، او سجنا لمدة لاتتجاوز ستة اشهر . وهيئة المحلفين تستطيع وحدها ان تقضي ، ويجب ان يكون قضاؤها بالاجماع بان المتهم مذنب او غير مذنب ، وحينئذ تمضي المحكمة الحكم . وبعدما تصدر هيئة المحلفين حكمها ، وقبل امضاء هذا الحكم ، تطلع المحكمة على لائحة الجرائم ، ان كان المتهم قد حكم عليه من ذي قبل في بعضها . وهذا طبعا ، يكون له تاثير في شدة الحكم الذي ستمضيه المحكمة .

وكل مدعى عليه يعد بريئا ، الى ان تقوم عليه الحجة بانه مذنب ، وعلى المدعين ان يثبتوا ان المدعى عليه مذنب ، وليس عليه ان يثبت انه بريء ( اذ الاصل في الانسان البراءة ) .

وتبتدىء المحاكمة بسماع ما يقوله المدعي ، الذي يعرض قضيته على المحكمة ، وعلى المحلفين ، ان كان هناك احدهم .

وبعدما يقضي بدعواه ، يحضر حججه ، وتتمثل في الشهود ، الذين سيزكونه فيما ذكر من حقائق .

والقانون صارم جدا في الطريقة التي سيختبر بها هؤلاء الشهود . وعلى هؤلاء ان يشهدوا بما راوه لا بما سمعوه .

ويجب على المدعين الا يلقوا اليهم باسئلة توجههم الى اجابات معينة ، فذلك يدعى بالاستدراج leading الذي يحرم في استنطاق الشهود

مثلا ، لاينبغي ان يسال الشاهد : هل رايت المتهم خارجا من المنزل ، وهو يحمل كيسا مليئا من فضة ؟

ولكن فقط يمكن ان يسال : اين كنت في الوقت الفلاني ؟

الجواب : خارج المنزل

السؤال : ماذا رايت ؟

الجواب : رايت المتهم

السؤال : هل كان حاملا لشيء ؟

الجواب : نعم

السؤال : وماذا كان يحمل ؟

الجواب : كيسا مليئا من فضة

وعلى اثر ماينتهي المدعون من توجيه اسئلتهم الى الشاهد ، يشرع المدافعون في استنطاقه مرة اخرى . وهؤلاء يستطيعون ان يلقوا على شاهد الادعاء باسئلة تتضمن الجواب leading questions كما ان المدعين يستطيعون ان يلقوا على شهود الدفاع باسئلة تتضمن الجواب

مثلا :

هيئة الدفاع : صحيح ، ان تلك الليلة كانت مظلمة جدا لدرجة انه لم يكن في امكانك ان تشاهد ماكان بالكيس ؟

الشاهد : ان البدر كان في تمامه تلك الليلة

هيئة الادعاء : ياسيدي ، هاهو التقويم calendar الذي يثبت ان البدر كان في تمامه تلك الليلة

هيئة الدفاع : كيف استطعت ان ترى ماكـــان داخـل الكيس ؟

الشاهد : ان الكيس كان نصف مفتوح ، حينمـا مر بي المدعـى عليـه

هيئة الدفـــاع : كم كان بعيـدا عنك ، حينمـا مـــر بـك ؟

الشاهد : لا استطيع ان احدد ذلك ، انه كان ظلام نوعـا مـا

هيئة الدفاع : ظننت ان البدر كان في تمامه

الشاهد : كـان كذلـك

هيئة الدفاع : اذن ، اذا كان هناك ضوء كـــاف لك ، لدرجة ان تمكنت من مشاهدة الفضة التي كانت في الكيس ، فلا بد انه كان هناك ضوء كاف ، تتمكن به من مشاهدة البعد الذي كان عليه المتهم ، حينما مــــر بـك . . الـخ

وهنا تستطيع هيئـة الادعـاء ، ان ارادت ، ان تستنطق شهودها مرة اخرى

هيئة الادعاء : هل وجدت غرابة في تلك الحال ؟

هيئة الدفاع : سيدي ، اعترض ، ان هذا سؤال يتضمن جوابـا

القاضي : يجب ان تعد ذلك مخالفا

هيئة الادعاء : ماذا ظننت حينما رأيت الرجـل معـه الكيس ؟

الشاهد : كنت في حالة ذعـر

هيئة الادعاء : هل كنت في حالـة تقـدر بهــا المسافات ؟

الشاهد : ان اقوم باحصاء ؟ لا . .

وبعدما يكون الشاهد الاخير قد دعي ليقيــم شهادته ، فلهيئة الادعاء ان تترافع مرة اخـرى ، وان تكف عن مرافعتها ، وهذا هـو القالب المعتاد

ثم تدعو هيئة الدفاع شهودها الذين يكونون قد استطقوا اولا ، وثانيا ، وثالثا ، ويدلي المدعـى عليـه بحججه الى هيئة الدفاع . وقد سبق انه غيرمحتاج لذلك في اثبات براءته ، ولكنه قد يسبب وقعا سيئا ، اذا هو لم يفعل ذلك ، بينما من الطبيعي ان يجعل المحكمة تظن انه يخشى استنطاقه مرة اخرى . ومهما يكن فانـــه لايستنطق مرة اخرى فيما فـاه بـه اولا ، اللهم الا اذا كان هو او محاموه قد استنطقوا مرة اخـرى شهـود الادعاء فيما سبق ان افضوا به اولا .

وحينئذ ، تترافع هيئة الدفاع مرافعتها الاخيرة

سيدي ، سادتـي رجال القضاء ، قـد سمعتم الشاهد يقول : انه كان مذعورا ، وفي حالة لايستطيـع معها ان يقدر المســافات ، وان عينيه وقعتا على الفضـة داخل كيس نصف مفتوح . كل هذا قد حدث خـــلال دقيقة واحدة ، فهل يمكن لمثل هذا الرجل ، وفي مثـل تلك الحال ، ان يكون في وضعية يتمكن معها من تمييـز تفاصيـل شيء غريب عليه تماما ، الخ ؟

فاذا ما قامت هيئة الدفاع بمرافعتهـا الاخيرة وانتهت منها ، فان المحكمة تلخص كل شواهد القضية، وتعتمد على اهم نقطها ، وحينئذ تغادر هيئة المحلفيـن قاعة المحاكمة ، وحينما تعود اليها ، تسأل المحكمـــة هيئـة المحلفيـن .

القاضي : هل انتم مجمعون على فتواكم ؟

رئيس المحلفين : نحن كذلك ياسيدي

القاضي : هل تقضون على السجين بانه مذنب ، ام غير مذنب ؟

الرئيس : مذنب ياسيدي

وبعد ذلك ، تصوغ المحكمة حكمها ،

وطبعا ، ربما لاتتفق هيئة المحلفين فيما بينهـا ، فاذا لم تستطع ان تتفق على الحكم ، فعلى رئيسها ان يعلن ذلك . وفي هذه الحال ، يستطيع المدعـى عليه ان يطلب عرض قضيته على هيئة محلفين اخرى ، ليحكموا فيهـــا

وطبقا للقانون الانجليزي ، فانه لايمكن ان يصدر في القضية الا احد حكمين في صاحبها : مذنب ، غيـر مذنـب ؛

اما القانون الاسكتلندي ، فان فيه حكما ثالثا ، يعد وسطا بين الحكمين ، فقد يقضي المحلفـون بقولهم غيـر محقـق : Guilty او Not guilty not Proven وبمعنى هذا ان المدعين لم يقيموا البينـة الكافيـة على دعواهم ، على حين ان المحلفين غير مقتنعين بأن المدعى عليه بريء ، وعليه فيخلى سبيله

## من هم المدعون ؟

يمكن أن يكون المدعون من أشخاص معتادين ، أو رجال الشرطة ، او رئيس المدعين العموميين the Director of Public Prosecutions او مأمور حكومي State Official على رأس رجال ادارته . وبخلاف النائب العام ، فانه لايقايض الحكومة ، ولكنه يكون اكثر شبها باجير مدني ؛ ويتولى رئيس المدعين العموميين الادعاء اذا كانت هناك جريمة خطيرة ، مثل الاتهام بالقتل ، والخيانة العظمى ، والغدر . وغالبا ، حينما تكشف بعض قضايا الغدر المدنية ، او يدلي بشهادة مزورة في المحكمة ، او يدلس فيها ، فان القاضي يبعث بالاوراق الى رئيس المدعين العموميين ، الذي يقرر ما اذا كان سيباشر القضية او لا . ويسترشد هذا بالشرطة في محاكمة المتهمين بالقتل والجرائم الخطيرة الاخرى . وفي بعض الاحيان يطلب من النائب العام the Attorney-General ان يتولى مباشرة الحكم ، وعموما ، فانه يعرض قضية الدولة على محكمة الاستئناف الجنائية .

## محاكم الاستئناف

يستطيع الشخص الذي قضت عليه الجلسات الصغرى ، او المحاكم ذات القضاة المرتبين في المدن الكبرى ، بانه مذنب ، ان يستانف لدى المحاكم الفصلية، او لدى قاض محلي « المسجل » Recorder في بعض المدن . ويستطيع هذا الشخص ان ينتقل من المحاكم الفصلية الى محاكم الاستئناف الجنائية . فان نجمت معضلة فقهية ، فان القضية تعرض على مجلس اللوردات the House of Lords كما انه يستطيع ان ينقل القضية من المحاكم الدورية او المحاكم الجنائية المركزية ليستانف فيها لدى محكمة الاستئناف الجنائية

وحينما يصدر الحكم بالاعدام ، فان المتهم او ذويه ، لهم ان يستانفوا لدى حضرة الملك ، فيتصرف هذا في القضية حسب ارشادات وزير الداخلية the Home Secretary وحينئذ ، فقد يستمر الحكم ، وقد يستبدل بمدة من السجن . وفي احوال خاصة ، قد يمنح الملك عفوه على المحكوم عليه ، فيطلق سراحه .

فان ادعي على بريء ، ووجد في هذا الادعاء جورا عليه ، فانه يستطيع ان يقيم دعوى على الذي اتهمه ، لدى المحكمة العليا ، لاجل ذلك الاتهام الجائر . فان كان قد جرد من حريته بدون موجب ، ولو لساعة واحدة ، فانه يستطيع ان يدعي بالاضرار التي نالته من جراء حبسه ظلما ، حتى ولو كان ذلك ضد الشرطة .

## ملاحظة حول البينة

هناك في القانون الانجليزي ثلاثة انواع من البينات، وهذه تدعى :

1 ـ بينة محسوسة Real Evidence
2 ـ بينة شخصية Personal Evidence
3 ـ بينة ظرفية Circumstantial Evidence

فالبينة المحسوسة هي حالة جثة ، وملابس ، وسياج ، وجرح ، ورائحة حامض بروسيك prussic acid وندب على وجه شخص ، ونحو ذلك من الاشياء المحسوسة التي تستطيع المحكمة ان تشاهدها .

والبينة الشخصية ، ماتدل على حالة انسان ، مثل حمرة الخجل المفاجئة ، وتلجلج مريك ، ورسالة تدل من تعبيرها وخطها ، دلالة واضحة ، على انها قد كتبت تحت انفعال وتهيج

وما عدا هذا من البينات الاخرى يعد ظرفيا ؛ مثلا ، مركز شخص ، وتقاريره المزورة ، واقتناؤه لمتاع مسروق ، ونحو ذلك .

هذا وينبغي للشاهد الا يعيد على المحكمة ، البيانات التي اتخذت بواسطة شخص ثالث ، لاجل اختبار الحقيقة لمثل هذه البيانات ، وفيما يخص الاعترافات ، فان القانون الانجليزي مرتاب جدا فيها ؛ بخلاف ما عليه الحال فيما وراء السور الحديدي من البلاد التي تعتمد محاكمها هذه الاعترافات كأنها حجج قاطعة . فالمحاكم في بريطانيا ، لاتعتمد دائما بهذه الاشياء التي ربما يفضي بها المتهم ، تحت تاثير توتر في الاعصاب عند محاكمته . وانها لحقيقة عجيبة ، فيما يحدث عندما ترتكب جريمة قتل شنيعة ، فيزعج البرءاء منها تماما ، وتكون النتيجة في بعض الاحيان ، انهم يسلمون انفسهم الى الشرطة كقتلة حقيقيين . ولهذا فالاعترافات في المحاكم الانجليزية لايؤبه بها ، الا اذا كانت صادرة عن طواعية ، وبدون وعد بثواب ، او ايعاد بعقاب ، وحتى هذه فانها تقبل بتحفظ عظيم ؛ فيجب الا يقع على المتهم اي نوع من انواع التعذيب الجسمي او الروحي ، بقصد التوصل الى اعتراف منه.

( يتبع )

# من النقد الى البلاغة

## كاتب المقدمة والمقال الأستاذ عباس الجراري

- 2 -

وقد سبق ان قلنا ان فنون الآداب تشعبت لتشمل الوانا كثيرة غير الشعر ، وكان طبيعيا ان يتشعب النقد بدوره ليتناولها بالبحث والدرس فنرى اديبا ناقدا من معاصري ابن سلام واقرانه هو ابو عثمان عمرو الجاحظ يتناول هذه الفنون والخطابة بصفة خاصة ليرسم لها ما يستحسن وما يستقبح وما يتطلبه كل نوع من انواعها . فهو يتحدث عن مخارج الحروف وصحتها وعيوبها . وعن اللفة وسلامتها وعلاقة الالفاظ بعضها ببعض وما ينشأ عن تنافر الحروف من عيوب ثم علاقتها بالمعاني ليتحدث عن الايجاز والاطناب والملاءمة بين الخطيب والسامع وبين الخطيب والموضوع . وهو هنا ينظر بعين الناقد الحر الذي لا يهمه الاديب وانما يهمه علمه الادبي . ثم ينهي بالكلام على الخطيب وهيئته واشاراته . والناظر في كتاب : « البيان والتبيين » يلاحظ ان الافكار فيه مشتتة وموزعة . فقد جمع فيه نصوصا كثيرة تصور البيان عند العرب في القرن الثاني واوائل الثالث واورد آراء غيره من الرواة والعلماء والادباء بعد ان مزجها بفكره وشخصيته بل واخذ عن غير العرب من فرس وروم ويونان تصورهم للبيان ناقلا عنهم بعض التعريفات كما انه عالج مشكلة اللفظ والمعنى . فذهب الى الصناعة والصياغة وابان فضل الالفاظ في تادية المعاني فهذه عنده : « مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وانما الشان في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير » ويكاد مقياسه في النقد يتلخص في الصنعة وآثارها من جودة التشبيه وحسن الاستعارة وابتكار الصور ، وهو مذهب دعا اليه وكان به مفتونا . وقد عارضه فيما بعد عبد القاهر الجرجاني ووافقه ابو هلال العسكري كما سنرى بعد سطور . وقد تناول في حديثه عن الصناعة اللفظية وسائلها فذكر البديع وانه مقصور على العرب واشاد باصحابه من الشعراء . وهو الى جانب هذا يومن بالطبع ويبعد عن التكلف وينم من الالفاظ ما كان غريبا وحشيا . ولا نستطيع ان نقول ان للجاحظ منهجا علميا في التاليف فهو لا يحصر الموضوع ولا ينظم البحث ولا يقسمه ولا يستوفيه فكتابه زاخر بنصوص ادبية وبآراء واحكام وموازنات بين الادب والادباء في اكثر فنون القول وهو مزيج من العناية بالادب ومن التدريب العقلي ومن محاولة وضع قواعد للبيان تقوم على اسس فلسفية مقتبسة من ارسطو الذي يسميه « صاحب المنطق » يضاف الى ذلك كله ميل الى الاقتباس من آداب الامم الاخرى التي عرفها العرب في العصر العباسي . وفي اوائل هذا العصر ظهر شعراء مجدودن امثال بشار بن برد ومسلم بن الوليد جددوا في المعنى وجددوا في الاسلوب فانقسم الناس طائفتين احداهما تتعصب للقديم والثانية تضع الفن والصناعة مقياسا للحكم على جودة الشعر ورداءته لا تنظر فيه قديما كان او حديثا. وجاء ابن قتيبة فعرض في « الشعر والشعراء » لهذا الانقسام محاولا ابطال الراي الاول وتاييد الراي الثاني فقد قسم الشعر الى اربعة اضرب « ضرب حسن لفظه وجاد معناه وضرب حسن لفظه وحلا فاذا انت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى وضرب جاد معناه وقصرت الفاظه عنه وضرب تاخر معناه وتاخر لفظه » وهو يجعل المعنى اساسا لابد لكل بيت شعر منه ، يخضع له الالفاظ التي قد تختلف للتعبير عن المعنى الواحد . ثم نراه بعد هذا يترك مقاييس الجودة لينظر في الشعراء ويقسمهم الى متكلفين ومطبوعين معتمدا على تفكيره وتقريره اكثر من اعتماده على ذوقه وحسه .

وقد تؤخذ عليه بعض الاوصاف التي نعت بها الشعر المطبوع وخلطه بين ان يكون الشاعر مطبوعا وان يكون قادرا على الارتجال وقول البداهة وهذا لا يمكن ان يكون مقياسا لصدق الشعور وهو اكثر دلالة على قدرة الشاعر على النظم . وهو يقرر ضرورة النظر الى النص نظرة موضوعية لا تتاثر بقائله ومنزلته او اي اعتبارات اخرى تعتمد على الذوق الشخصي. فالنظرة عنده يجب ان تكون مجردة لا تتاثر بالغير وهذه نزعة تجديدية ترمي الى تحرير النقد من اسباب التقليد .

كما انه تنبه الى حالة الشاعر النفسية واثرها في شعره والعوامل التي قد تعوق الشاعر المطبوع . والملاحظ بعد هذا على ابن قتيبة في كتابه انه لم ياخذ بفكرة الطبقات وتقسيمات ابن سلام وكانه لم يكن مطمئنا الى تلك الاحكام الادبية التي كانت سائدة في عصره ولم يكن مومنا بمقاييسها ليتخذها مبدا يخضع له ولكنه في نفس الوقت لم يستبدلها باخرى يصدر فيها عن « حكم استقراه من طبيعة الشعر القديم والحديث ونسبة الجودة في كل منهما او قربهما من مثل اعلى في الشعر » وانما كان يعتمد في كثير من الاحيان على رايه المستقل ونظرته المجردة وقلما اعتمد على ذوقه وكانه كان يغلب تفكيره على حسه . واذن فابن قتيبة لم يسر في اتجاه ابن سلام ولم ياخذ بفكرة الطبقات ولا بفكرة المكان والزمان كما انه لم يسر في اتجاه جديد يصدر فيه عن منهج في التاليف ولا غرابة فكتابه كما يقول تاريخ « للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل اهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله » فابن قتيبة لم ينظر في الاشعار لينقدها ويحللها وانما اوردها بعد اخبار شعرائها وقصصهم دون محاولة لمناقشتها ونقدها . وقد نجد عنده بعض الاحكام ولكنها في اغلبها لا تبعد قليلا او كثيرا عن الاحكام التقليدية فقد تحدث عن مآخذ العلماء على الشعراء وعن السرقات الشعرية وعن اقسام الشعر وطبيعته واشكاله والفاظه .

ثم جاء المعتز بعد هذا يدافع في « البديع » عن القدماء ويحبط زعم المحدثين الذين ادعوا التجديد في الشعر واختراع المحسنات البديعية . فالبديع كان موجودا في اشعار الجاهلية وصدر الاسلام « ولكنه كان مفرقا باتي عفوا » فجاء بشار وابو تمام من بعدهما فقصدوا اليه . وقد كانت الظاهرة السائدة عند هؤلاء ان ياتوا بافكار قديمة في صياغة جديدة فابو تمام حاول ان يجدد ولكنه لم يستطع ان يحيد عن نهج سابقيه وتقاليدهم الشعرية وابو تمام وان كان له فضل كبير على هذا المذهب بان جعله عاما بعد ان غير فيه كثيرا فهوليس صاحبه الاول فقدسبقه اليه مسلم ابن الوليد وابو نواس وقبلهما بشار بن برد . وقد تحدث في كتابه عن الاستعارة وانها امر اصيل في الشعر صدر الشعراء عنها بالفطرة وعن طرق الاداء التي تتعلق بشكله دون المساس بجوهره وهي التجنيس والطباق ورد العجز على الصدر وتحدث عن المذهب الكلامي وهو نوع من الجدل العقلي والقدرة على توليد المعاني ثم ذكر بعد هذه الفنون التي اختصها باسم البديع بعض محاسن الكلام والشعر وجعلها ثلاثة عشر بابا هي الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن التضمين والتعريض ، والكناية ، والافراط في الصفة ، وحسن الخروج ، وتاكيد المدح ، وتجاهل العارف والهزل الذي يراد به الجد وحسن التشبيه ولزوم ما لا يلزم وحسن الابتداء . والظاهر انه فصل القسم الاول عن الثاني لانه اكثر ورودا في الشعر والكلام . واذن فابن المعتز في « البديع » قد حدد خصائص مذهب البديع وصاغ مبادئه مما جعله يؤثر في الناقدين بعده امثال الصولي والجرجاني . ولعل هذه اول محاولة للبحث عن خصائص مذهب ادبي وبسط اصطلاحاته وهو بهذا قد « ساعد على خلق النقد المنهجي » وابن المعتز وان ادعى انه لم يسبقه الى عمله احد قد تاثر بارسطو في التوجيه العام وطريقة تحليل الظواهر دون ان يستبعده هذا التاثر ويفسد نظرته ويبعده عن الحقائق فقد بذل جهدا في البحث عن تلك الالوان البيانية واستخلاص الامثلة من شعر الجاهليين والاسلاميين ومن القرآن الكريم وحديث الرسول . وقد يرد على هذا بان كتاب « الخطابة » لارسطو لم يترجمه حنين بن اسحق الا سنة 296 مع ان ابن المعتز قد الف كتابه سنة 274 ولكنه لا يبعد ان يكون العرب قد عرفوه قبل هذه الترجمة ففي « الفهرست » لابن النديم ما يفيد ان كتاب : « الخطابة » نقل قبل حنين وان النقلة القدماء كانوا ايام البرامكة فيكون الكتاب قد نقل كما عند الاستاذ امين الخولي في منتصف القرن الثاني او على الاكثر في اواخره وبكتاب « البديع » انتقل النقد العربي من تحليل المعاني والافكار والاشادة بقوتها وفخامتها الى العناية بالصورة ودراسة الشكل ، ويعد من جهة اخرى اول كتاب في البلاغة العربية التي سنرى بعد سطور كيف تجمدت موضوعاتها عند ابي هلال وتحددت فيما بعده وصارت ثلاثة علوم هي المعاني والبيان والبديع .

وبترجمة كتب ارسطو في «الخطابة» و « الشعر» اخذت تظهر مادة جديدة في النقد مادة فلسفية يونانية لا عهد للعرب بها حاول قدامة بن جعفر تطبيقها على الشعر والنثر بل حاول اخضاع الادب العربي للعقل الفلسفي اليوناني . فقد بدأ كتابه « نقد الشعر » بتعريف الشعر وان فيه الجيد والرديء والوسط وتحدث عن المعاني وانها معرضة للشاعر والمطلوب منه هو ان يبلغ الجودة واقتصر في اقسامها على المديح والهجاء والنسيب والمراثي محاولا ان يردها جميعا الى المديح والهجاء وذكر عناصرها وهي اربعة اللفظ والوزن والقافية والمعنى ثم تحدث عن محسنات الشعر في مفرداته ومركباته واخيرا اخذ في ذكر عيوب كل منهما والملاحظ انه يعود بالجودة والرداءة الى الشعر نفسه دون الذوق ولعل السبب في ذلك انه قصد الى قواعد ثابتة ولئن استطاع قدامة ان يبوب ويرتب وينظم ويحدد ويضع للنقد العربي اصولا ومعايير يقاس بها الشعر من حيث الجودة والرداءة متاثرا في ذلك بالطريقة اليونانية فقد احاله الى جفاف افقده روحه الادبية وخرج به من دائرة الفن الى دائرة المباحث العلمية الفلسفية بعد ان اغفل المنهج الفني والمناهج الادبية الاخرى . وفي كتابه الثاني : « نقد النثر » ويظن انه ليس له وانما هو لاحد معاصريه تظهر نفس الطريقة ونفس الغاية التي رايناها في « نقد الشعر » فهو يحاول اخضاعه لمعايير اليونانيين مضيفا اليها ما تقفه من علوم عربية اسلامية لهذا فكتابا قدامة لم يكن لهما تاثير يذكر في النقد فاصطلاحاتهما التعليمية وتقاسيمهما الشكلية لم تؤثر في النقاد بقدر ما اثرت في علماء البلاغة الذين استفادوا من تحديده لبعض الظواهر . ولا نغلو بعد هذا اذا قلنا ان هذين الكتابين ينذران بجمود المصطلحات البلاغية وتحجرها فهما ابعد ما يكونان عن النقد واقرب الى البلاغة .

وتقوم الخصومة حول البحتري وابي تمام فهذا يسرف في تطبيق الوان البديع ، ويعمق معانيه متأثرا بثقافته الفلسفية الواسعة وذاك يسير على نهج القدماء وتقاليدهم متاثرا بمذهب البديع ولكن في حدود ، ودون ان ياخذ من الفلسفة اليونانية والثقافة الحديثة الواسعة ، فالمجددون يقفون في صف ابي تمام لغزارة معانيه والمحافظون يقفون في صف البحتري لاتصاله كما يقولون : « بعمود الشعر » وبينهما معتدلون مترددون بين الطرفين فقد كتب ابن المعتز في بداية الجدال رسالة في محاسن شعر ابي تمام ومساوئه وقف فيها على مواطن الجودة والرداءة عند ابي تمام ناظرا في معانيه واستعاراته وصور بديعه وكتب احمد بن ابي طاهر المنجد رسالة في سرقاته وكتب احمد بن عمار رسالة كلها طعن وقدح لا يقر له فيها بفضل او حق . ولم يسكت انصار ابي تمام فكتب بشر بن تميم يقدح في البحتري ويكشف عن سرقاته وكتب الصولي كتابه : « اخبار ابي تمام » يدافع عنه في تعصب ظاهر . ولا نصل الى اواسط القرن الرابع حتى نجد ابا القاسم الحسن بن يحيى الآمدي يقف بين الطرفين ليقارن قصيدتين في موضوع واحد وروي واحد ثم ينص على ايهما اجود من غير ان ينظر في العناصر الادبية كالعاطفة والخيال والاسلوب . ولئن كان الصولي يتعصب لابي تمام فالآمدي يفضل البحتري ولكن في تستر وخفاء فهو في كتابه « الموازنة بين الطائيين » يبدو بعيدا عن الخصومة يتناولها ويجمع عناصرها ويدرسها في يقظة وحذر لا يطلق حكما ولا يفضل جملة وانما ينظر الى الجزئيات والتفاصيل فقد يفوق البحتري ابا تمام في باب من ابواب الشعر وقد يفوق ابو تمام في غير هذا الباب . فهو اذن لا يتحيز ولا يتعصب يقلب المحاسن والمساوىء عن غير هوى سالكا منهجا علميا سليما ويحقق النصوص وينظر في صحة نسبتها على طريقة ابن سلام وهو في موازنته لا يروي احكام السابقين ولا يتأثر بآراء الذين كتبوا في الخصومة ايام عنفها وتعصبوا لهذا الشاعر او ذاك وانما هو ينظر فيما كتبوه وفي ديوان الشاعرين ويفحص كل ذلك ليقبل ما يراه صوابا ويعيد النظر فيما يراه خطأ وكأنه في هذه الخصومة حكم يعالجها معالجة محقق خبير عادل يمهد للدراسة الظواهر ويفسرها باحثا عن عللها كما يبدو من دراسته لسرقات ابي تمام والبحتري وفي رايه ان سرقات المعاني ليست من كبير مساوىء الشعراء . ومن السرقات ينتقل الى الحديث عن اخطاء الشاعرين وعيوبهما ومحاسنهما ثم ينتقل الى مقارنة تفصيلية بينهما متتبعا معانيهما واحدا واحدا . والآمدي في موازنته لا يعتمد على ثقافته ومعلوماته فحسب وانما يعتمد كذلك على ذوقه واحساس نفسه التي كثيرا ما يعود اليها « يستجلي حقائقها فيتخذها سبيلا للحكم على اصابة الشاعر او عدم اصابته » وقد كان عارفا بحكمة الفرس وفلسفة اليونان ولكنه لم يتاثر بهما فقد كان ذوقه عربيا سليما ونظرته واسعة صادقة وقد تاثر بابن المعتز فيما يختص بالبديع مما جعله عنصرا هاما في نقده . ثم ان الآمدي لم يقصد من دراسته مفاضلة بين الشاعرين فحسب يحكم فيها لهذا او ذاك وانما قصد دراسة علمية مقارنة ناقش فيها اكثر من قول

واكثر من معنى غير ما عند الشاعرين ، غايتـه تحديد خصائص كل منهما وتوضيح مذهبهما .

ثم تقوم الخصومة حول المتنبي وكان في شعره نوع من التجديد فيلاحظ النقاد ان فيه تعقيداً وتكلفا لاعهد لهم به ، يصوغه في « عبارات استمدها من الفلسفة والتشيع والتصوف كما استمد طرفا منها من اساليب العرب الشاذة في النحو واللغة » فهم يلاحظون عليه سرقاته وفساد معانيه والفاظه . ثم ان الشاعر كان متكبرا شديد الفخر والاعتزاز بنفسه . مما جعل له حسادا كثيرين خاصة بعد ان قربه سيف الدولة واجزل له العطاء . وتنطلق الشرارة الاولى لهذه الخصومة في بلاط سيف الدولة حين كان يخاصمه ابو فراس وكان ابن جني من انصاره . وتندلع نيرانها حين يتركه الى بلاط كافور بمصر فيكتب ابن وكيع كتابا في سرقاته يسميه « المنصف » . وفي بغداد يناظره الحاتمي ويكتب رسالة يكشف فيها عن سرقاته لحكم ارسطو ومعانيه ثم يقصد عضد الدولة وابن العميد ليمدحهما فيطلب منه الصاحب بن عباد ان يمدحه فلا يجيب ، فيكتب رسالة يكشف فيها عن مساوىء المتنبي يسميها «الكشف عن مساوىء المتنبي» وهكذا اختلف الناس فيه طائفتين : فالاولى تكرهه وتحط من شانه وقيمته والثانية تقدره وتكبره وترى ان شعره في المقام الاول الى ان جاء ابو الحسن علي ابن عبد العزيز الجرجاني قاضي قضاة الدولة البويهية في ايران ناقدا معتدلا والف كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » كما عند ابن خلكان في وفيات الاعيان و « الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد الشعر » كما عند حاجي خليفة في كشف الظنون . وقد جعل كتابه ثلاثة اقسام في الاول يتناول اخطاء الجاهليين التماسا للعذر في اخطاء صاحبه وتفاوت شعر الشعراء تبعا لازمنتهم وبيئاتهم والموضوعات التي يطرقونها وتاريخ الشعر العربي وتطوره حتى ظهور البديع ويتحدث عن اوجهه ، وفي الثاني يدافع عن الشاعر وفي الثالث يدخل في الوساطة فيتناول عيوب المتنبي وما اخذ عليه العلماء وفيه يناقش ويحلل في نقد موضعي دقيق لعله اهم ما في الكتاب . ويبدو الجرجاني في كتابه عالما واسع المعرفة يسير في تثبت وحذر وقاضيا عادلا لا يتبجح ولا يفتر وقد جعل اساس منهجه في النقد « قياس الاشباه والنظائر » فهو لا ينظر الى الشاعر وما عابوه عليه ليناقش اخطاءه وانما هو يحاول الصاقه : « ويقيسه باشباهه ونظائره عند الشعراء المتقدمين » ولا يلبث ان ينتهي الى : « انهم لم يسلموا هم ايضا من الاخطاء » ومن الاخطاء ينتقل الى تفاوت شعر الشاعر جودة ورداءة وما خالف فيه السابقين وهو في هذه المسالة كسابقتها لا يحيد عن منهجه : ناقد نزيه ومؤرخ بصير وهو ينبه الى ان الخلق الفني راجع الى : « الذكاء والطبع والدربة والرواية » التي هي عند العرب بمثابة التلمذة والناس بعد هذا يتفاوتون في القدرة على الشعر وان جمعت بينهم القرابة ثم هو بعد هذا يستعرض تطور الشعر العربي ولغته ويورد بعض ما عيب على ابي تمام في شعره ليلتمس العذر لصاحبه فيما في بعض شعره من تكلف واسراف ولئن اتفق مع الآمدي في الحكم على جوهر الشعر ذاته وفي تفضيل الشعر المطبوع على الصناعة فهو اكثر تساهلا منه بل اميل منه الى السهولة . وتبدو في نقده نزعة نفسية انسانية قد تغلب على النزعة الفنية الخالصة وهذا بخلاف الآمدي الذي يغلب النزعة الاخيرة . واذا لاحظنا انه اعتمد على المبادىء العامة اكثر من اعتماده على النقد الموضعي وان الروح التعليمية ظاهرة في كتابه وانه في جانب منه يحاول رد الاشياء الى قواعدها العامة عرفنا انه مهد السبيل الى تحويل النقد الى بلاغة ، فهو رجل مبادىء وهو في نفس الوقت رجل ذوق سليم وقد كان اميل الى المنطق والقياس ولكنه كان يحكم الى ذوقه في اكثر المسائل التي بحثها واذن فالجرجاني والآمدي يتخذان من تقاليد العرب وما درج عليه الشعراء مقاييس للخطا والصواب . يسيران على نهجها في الدرس والحكم . وبالرغم مما في هذه الطريقة من تضييق فهي تفتح باب تجديد الصياغة .

وقد راينا قدامة قبلهما يحاول ان يفرض على الشعراء طريقة معالجة موضوعاتهم ويحدد لهم المعاني مضيقا مجال الشعر ومحكما قواعده في منهج عقلي تعليمي . وقد كادت ان تموت هذه المدرسة التي لم يتاثر بها النقد العربي لحسن حظه لولا ان ظهر ابو هلال العسكري آخر القرن الرابع فبعثها واحياها وفصل القول فيها شارحا وممثلا ومضيفا اليها اشياء اخرى من عنده . فهو وان رفض الاخذ ببعض اصطلاحات قدامة وتعاريفه وفضل عليه ابن المعتز الذي كان يعتمد آراءه فقد اخذ عنه قواعد واغراض الشعر واشياء اخرى كثيرة . ففي « كتاب الصناعتين : الشعر والنثر » يبدا العسكري بالابانة عن موضوع البلاغة لينتقل الى تمييز الكلام جيده من رديئه وينبه على اخطاء المعاني وصوابها وليتحدث عن معرفة صنعة الكلام وكيفية نظمه وترتيب الفاظه وما يحتاج الكاتب الى ارتسامه وامتثاله لم ينتقل للكلام عن حسن النظم

وجودة الرصف وعن الايجاز والاطناب وعن حسن الاخذ وحل المنظوم وفيه يتحدث عن السرقات وعن التشبيه وحده والبيان عن قيمته وعيوبه وعن السجع والازدواج واوجه البديع واخيرا يتحدث عن مبادىء الكلام ومقاطعه . والحق ان كتاب العسكري يعتبر الاوج الذي وصل اليه مذهب البديع الذي كان معجبا به وبقواعده الشكلية المنطقية وبه ينتقل النقد المنهجي الى بلاغة تعليمية لم تلبث ان جففت ينابيع الادب الذي اصبح يعتمد على الصنعة العقيمة « اذ اخذ الادباء والشعراء يستخدمون تلك الاوجه ليحلوا بها اسلوبهم وكانت النتيجة ان ضاع من لادب كل احساس او فكر او فن صحيح وغلبت اللفظية والتكلف حتى اماتت الادب » والغريب ان ابا هلال حين يتحدث عن المسائل الادبية الخالصة كالسرقات تستقيم احكامه ولعل السبب انه لم يتأثر فيها باحد من مناطقة البيان الشكليين .

ثم جاء بعده عبد القاهر الجرجاني وكان عالما من علماء اللغة والنحو ذا فكر حاد وذوق سليم فألف كتابين يعتبران احسن ما كتب في البلاغة العربية هما : « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » وفيهما يحارب تيار اللفظية وينقض نظريتين قديمتين اخذ بهما سابقوه الاولى ان جمال الكلام في اللفظ والثانية انه في المعنى فجعله هو في نظم الكلام اي في الاسلوب فهو يرد اعجاز القرآن وبالتالي سر الابداع في الفن الكلامي الى النظم او السياق فالسر في البلاغة عنده ليس في اللفظ من حيث هو لفظ وانما هو في هذه الارتباطات والعلاقات التي يوجدها الشاعر بين اللفظ وما قبله وما بعده « فالالفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التاليف ويعمد بها الى وجه دون وجه من التركيب والترتيب » فاللغة عنده ليست مجموعة من الالفاظ بل مجموعة من العلاقات والروابط التي هي المعاني فالالفاظ لم توضع لتعين اشياء بذاتها وانما لتستعمل في الاخبار عن هذه الاشياء بصفة او حدث او علاقة . واذا كانت العلاقات لا تستقيم الا بالنظم فقد جعله مقياسا لنقده اللغوي النحوي اذ النحو عنده هو ذلك العلم الذي يبحث في الروابط بين الاشياء . ثم هو يدرس الجملة منفردة ومتصلة دراسة مفصلة ليبين مواطن الجمال في الاسلوب فيبحث في اهمية حروف العطف وقيمة الايجاز والاطناب وضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهذا اساس علم المعاني فعبد القاهر يحاول التوفيق بين قواعد النحو العربي وبين آراء ارسطو التي درسها في العبارة في نهج موضعي دقيق .

وجاء بعد عبد القاهر جماعة نهجوا نهجه وزادوا في الامثلة والتقسيمات فالتقوا النقد وافقدوا البلاغة روحها وكانهم كانوا يحاولون وضع قواعد مركزة للبلاغة همهم في ذلك ان يفهموا ما وضعه لها عبدالقاهر فالف السكاكي كتابه : « مفتاح العلوم » وفيه يتناول النحو والصرف واوزان الشعروالمعاني والبيان والبديع ملخصا ما قاله الجرجاني دون ان ياتي بشيء جديد . وبالمفتاح وضعت للبلاغة مقاييس ومعايير جمدتها وحجرتها بصفة نهائية .

ولن نصل الى اوائل القرن الثامن حتى ندخل في عصر التلخيصات والشروح والجدل المنطقي فيلخص القزويني في متنه : « تلخيص المفتاح » ما جاء في القسم الخاص منه بالبلاغة يختصر القواعد ويجعلها حتى كانها الغاز مما اضطر العلماء بعده الى شرحه ، فشرحه هو نفسه في «الايضاح» وشرحه سعد الدين التفتازاني والشريف الجرجاني وابن يعقوب المغربي والسبكي المصري وجاء بعد هؤلاء من شرح هذه الشروح وكتب عليها حواشي وتعليقات **لا شيء من ورائها غير افساد** الذوق وافقاد الملكة الادبية .

اما التيار النقدي فقد استمر قليلا في القرن الخامس قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة بفضل ابي العلاء المعري الذي لم تفسد الصنعة طبعه ولم تطغ عليه المحسنات البديعية فقد كتب « رسالة الغفران » ورسائل اخرى في نقد امرىء القيس والنابغة وابي تمام والبحتري والمتنبي . ثم جاء ابن شهيد الاندلسي فكتب « التوابع والزوابع » وكان اهم ما ظهر في النقد بعد هذا كتاب لابن الاثير تغلب عليه الروح البلاغية وهو « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر » وكتاب «العمدة في صناعة الشعر ونقده» لابن رشيق القيرواني وهو ليس بحثا جديدا وانما هو نظرات جزئية ملخصة من ملاحظات النقاد الذين سبقوه ولعل سبب جمود النقد راجع الى فساد الذوق وعدم ظهور اساليب وانماط جديدة في الشعر تجعل النقاد يلاحظون ويدرسون .

وهكذا سار النقد والبلاغة منذ اقدم العصور الادبية متحدين مختلطين لا يفرق بين مفهومهما في دراسة النصوص وتحقيقها وظلا على هذه الحال مجتمعين حتى بعد ان نضجت آداب العرب وعلومها واستقل النحو واللغة في الكتب والمعاجم . ولكنهما في نحو القرن الخامس الهجري وبعد مشقة وعناء ينفصلان

ليكون للنقد اصوله التي تساعد على تمييز الجيد والرديء من الكلام وليكون للبلاغة قواعدها التي تساعد على تمييز الكلام البليغ من غيره. فالنقد ينظر في الكلام بعد انشائه ويتخذ من قوانينه مقاييس لتقدير ما فيه من محاسن ومساوىء وتضع البلاغة للاديب القوانين التي تساعده على التعبير الواضح الجميل .

وهو قبل ان يحكم بالجودة او الرداءة يتناول الاثر الادبي في مجموعه اي انه ينظر في الافكار والتعبير او ما نسميه المادة والاسلوب ثم يلاحظ الصلة بينه وبين صاحبه وظروفه اما البلاغة فتترك المادة للاديب وتتناول العبارة أو الاسلوب للحكم المباشر على الاثر الادبي اذا كان جيدا او رديئا. وليس معنى هذا ان النقد لا ينظر في الاثر الادبي ليحكم عليه وانما هو يحكم متأثرا بطريقة الناقد في الدراسة فقد يكشف عن قيمة الاثر من حيث موافقته او صدقه في التعبير عن حال من الاحوال كما ان البلاغة حين تدرس الناحية الفنية اي ناحية الجمال لا تغفل عن دراسة اظروف المتصلة بالاثر الادبي ولكنها لا تنظر في الاحوال التي يتناولها النقد وانما تعتبر الظروف الوقتية التي قيل فيها الكلام وهو ما تسميه بمقتضى الحال .

واذن فالنقد اوسع من البلاغة فهو الى جانب الحكم الفني يتناول الصلة بين الادب وبين البيئة وبينه وبين صاحبه من حيث حالته وكيفية تاثيره في القارىء او السامع واما البلاغة فتتناول الجانب الفني وطرق التعبير المختلفة مستعينة باللغة والنحو وهي بهذا اداة للنقد وان خالف في حكمه بعض قواعدها الفنية .

وبالرغم من كل هذا الاختلاف فغاية العلمين واحدة هي تحقيق الصدق والقوة والجمال في الاداء والتعبير الادبي .

---

**الثناء بعد البلاء**

قال الاحنف لزياد حين قدم البصرة وخطب خطبته المشهورة : اصلح الله الامير ، ان الجواد بشده ، وان السيف بحده ، وان المرء بجده ، وان جدك قد بلغ بك ما ترى ، وان الثناء بعد البلاء ، ولسنا نثني عليك حتى نبتليك فاول خيرا نثن به .

# فلسفة التربية

بحث

للأستاذ جمال الدين البغدادي

**نستطيع** ان نميز العصر الحديث بانه عصر يبحث على النمط الحياتي والمذهب التربوي الجديد يعتنقه في مكان الفلسفات القديمة التي اظهرت فشلها ونقص نظرتها العامة للانسان والوجود ، هذا العصر المضطرب حائر يعيش في القلق والثورة وكل شيء فيه يدعو الى الشك والريبة . سراب يتلوه سراب فلا استقرار في هذا التبدل الدائم في شتى الميادين تجد ذلك في الفن والادب والعلم والفلسفة، فهذا مذهب سريالي كفر بالمنطق والعرف العام ، وهذا ادب انطباعي لا شعوري يعتنق الرمز والخلجات النفسية المرضية صورة للادب الرفيع وهذه موسيقى هستيرية تحكي لك الحان الزنوج وايقاع الفجر وهذه روايات واقلام اتخذت المجون والشذوذ الجنسي والانحراف الخلقي سببا للاثارة للنجاح ومدرسة للاخلاق الابيقورية بعد ان كان الذوق العام ينتهج المنطق والاخلاق المثل الرفيعة وفن التوافق الكلاسيكي ؛ كل هذه المظاهر تعكس هذه الجوانب المضطربة لعصرنا الحديث غير ان هنالك جانبا آخر يكشف بوضوح هذه البلبلة الاجتماعية وهذا السعي للبحث عن آفاق جديدة هذا الجانب هو الفلسفات التربوية حول مناهج التعليم ومشاكل التدريس ، مما جعل الكتابة والتأليف حول هذه المواضيع غزيرا دفاقا عميقا تارة وضحلا احيانا .

ونحن كعالم عربي له شخصيته وله مشاكله نعيش نفس هذا القلق قلق الحضارة والمعاصرة ونحاول نفس المحاولات بحثا عن مذهب جديد وفلسفة جامعة تشمل التراث القديم ومتطلبات المدنية الحالية فقد خرجنا من ظلمات الاستعمار الى فجر جديد ونحن محملون بالتناقضات العقائدية والفكرية ولابد من الغربلة لاخراج تبر الذهب من الحصى والقشور واجلاء الشخصية العربية المسلمة الناضجة من النفس الجاهلة المعقدة ولعل هذه التربية المنتظرة لا تعطي ثمارها اليانعة بالنسبة الجيل المخضرم الذي عاش عهد الاستعمار والاستقلال ، وسيكون ابناؤنا اكثر حظا منا واغزر انتفاعا من هذه التربية التي نعدها لهم وهي خالية من عقد النقص التي كانت تتحكم في التربية القديمة والتعليم السالف .

التربية اذا وسيلة خلاقة نستخدمها في التطوير والتأثير على الجيل الفتي تمشيا مع التعريف الارادي « الداركايمي » الذي يرى ان التربية هي تأثير الكبار على الصغار لا يصالهم الى مرحلة النضج العام — والتربية مع ذلك معقدة المفهوم متداخلة الجوانب تمت بصلات القربى الى العلم والفن والفلسفة ولو كانت التربية مجموعة من الانظمة والمناهج لهان الامر ولكنها لا تكاد تفترق عن الفلسفة الاخلاقية وفلسفة الوجود البشري ماضيه وحاضره ومستقبله ويمكن لنا مبدئيا ان نربط التربية من حيث جانبها العلمي الموضوعي بعلم الحياة وعلم النفس وعلم الاجتماع : فروع من العلوم الانسانية اصبحت تجيب على ما هو كائن بعد ان كانت هي نفسها فلسفات ارسطاليسية .

ولا شك ان علم الحياة هو القاعدة الاساسية للتربية — فالانسان جسم حي وجهاز متحرك ، والجسم السليم يؤثر في العقل السليم ولا سبيل الى تربية الجسم ما لم نعرف اسراره وقوانين الحياة وتكوين الجسم الفسيولوجي والعضوي وشروط النمو العام وتمييز المؤثرات المختلفة الصادرة من المحيط الطبيعي على الجسم .

ومن علم الحياة ننتقل الى المفهوم الاجتماعي للتربية كالتاريخ والسياسة وقوانين المجتمع — فالتربية تستفيد من الماضي الذي ينير الطريق للحاضر ، ومعرفة المجتمع هي معرفة لمكوناته العريقة في سالف

الزمن وتتبع تطور المؤسسات الاجتماعية والتربية قصد التوفيق بين المقومات الاساسية التي رسخت في اعماق النفس وبين التطور والخلق في الحاضر والمستقبل .

ولا سبيل الى طرح الجانب الفردي النفسي من المفهوم التربوي – كيف نربي الطفل اذا جهلنا قوانين النمو الانفعالي والنمو العقلي والاجتماعي وازمة المراهقة وطبائع الافراد والتاثير المتبادل بين الفرد ومحيطه .

علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الحياة تقدم الاركان الاساسية لعلم التربية ولا تقوم لهذا العلم قائمة ما لم تتطعم بهذه المقومات ؛ ولعل الفرق الجوهري بين التربية القديمة والتربية الحديثة ان التربية القديمة لم تحسب حساب العلوم المساعدة ولم تنفصل عن التجريد الفلسفي الصرف والنظريات العقلية البعيدة عن التجربة ؛ واول مفكر ادخل علم نفس الطفل في المجال التربوي هو « جان جاك روسو » الفيلسوف الفرنسي الشهير في كتابه « اميل » – وفلسفة التربية الحديثة ليست فلسفة في الفراغ او في التصورات ذات النزعة الميتافيزيقية بل هي جمع متسق لمختلف فروع العلوم السابقة مضافا اليهامقتضيات العصر والفلسفة السائدة التي تطبع المجتمع بطابع يميزه عن مجتمع آخر فنحن لا نختلف عن الاخرين مثلا الا بفضل هذه الفلسفة بالذات حيث ان قوانين علم الحياة والنفس قوانين نجدها في الصين او في امريكا هي بذاتها .

فاي فلسفة نتخذها نحن العرب المسلمون وندعو لها ونشيعها في مدارسنا حتى نحافظ على هذا التجانس المطلوب والتماثل العام بين العربي المغربي والعربي العراقي والحجازي ؟ سؤال له خطورته وله مسؤوليته لانه سيشمل سياسةالبلاد واتجاهها وبنيتها العميقة ولا احسبني اوفي الموضوع في مقال ، ويكفي ان اشير الآن الى ان العناصر الحتمية التي ستتضمن هذه الفلسفة هي بدون شك اللغة والدين والتاريخ والسياسة او بعبارة اخرى على الفلسفة العربية التربوية الا تخرج عن الدعوة الى وحدة اللغة ووحدة المكان ووحدة التاريخ ووحدة الثقافة ووحدة الدين ووحدة المصير والمصالح – ففلسفة التربية هي الجمع الحكيم لهذه العناصر مع اضافة عنصر التطور الدائم بطبيعة الحال .

ولاشك ان البوتقة الحية لهذه الاهداف او لهذه الفلسفة التربوية العربية هي المدرسة العربية اي اننا في حاجة الى تخطيط عام للتعليم وتنظيم فروعه واصوله – ولا اشك لحظة ان سبب التباين الشديد بين العرب في عصور الانحطاط والاستعمار هو عدم وجود هذه المدرسة العربية وتضارب انظمة التعليم بين بلد وآخر وبين فرع وفرع بل بين مادة واخرى ؛ والامثلة عديدة للبرهنة على هذا الراي ؛ في المغرب مثلا كان التعليم على قسمين تعليم عربي صرف وتعليم فرنسي خالص وتعليم مزدوج بثقافة عصره – والتعليم الفرنسي الصرف تعليم يتجاهل المقومات الاساسية للشخصية المغربية المسلمة والتعليم المختلط تعليم يخرج لنا موظفين للادارة لا المواطنين الصالحين ولا المثقفين الناضجين ؛ وهذا التضارب العام موجود بين القسم الواحد والفصل الواحد – والعالم العربي برمته كان يعيش هذا التباين الخطير الذي يغذيه الاستعمار وتشجعه الرجعية المتقهقرة – سياسة فرق تسد سياسة حكيمة في الهدم والقتل الفكري والمة الاستعمار العريقون وضعوا علما شاملا في اساليب فصل القوة الحية للشعب المستعمر وقد حاولوا تطبيقها في الجزائر حينما احيوا القومية واللغة البربرية وحينما شجعوا فرق الزوايا والطوائف الدينية لتجابه اللغة العربية الحية وعقيدة التوحيد الصميمة ؛ وسبب فشل الاستعمار يرجع الى ان الايمان كان اقوى من علم المستعمر ودهائه .

نحن في حاجة ماسة الى التوحيد الثقافي عن طريق فلسفة تربوية عربية قصد التشابه بين العرب في كافة البلاد العربية ؛ والتشابه هنا ليس معناه النسخة المتكررة والقضاء على الفردية وتجاهل الاختلافات البيئوية ؛ التشابه بمفهومه العضوي قتل لاشك فيه والتشابه الذي نحن في حاجة اليه هو بمعناه الوظيفي تماما كجسم الانسان المتعدد العضلات المتحد في العمل والاداء ؛ والتماثل الوظيفي العقلي هو هدف هذه الفلسفة التربوية العربية .

والصعوبات التي قد تعترضنا في اتخاذ هذه السياسة الثقافية الموحدة بين البلاد العربية اليوم والبلاد الاسلامية غدا تعتمد اولا واخيرا على الفلسفة المشتركة – والدخول في الميدان الفلسفي دخول في صميم المشاكل الفلسفية الازلية فنحن حينما نؤمن بفكرة الوحدة الثقافية نصطدم بمسائل اخرى كالمركزية او اللامركزية وهل نقيد التعليم ونوجهه ام نتركه حرا

طليقا تعمل داخله قوى الانتخاب الطبيعي للابقاء على الاصلح والامكن كما هو الشأن فى انجلترا مثلا — ووضع المناهج والكتب لا يقل خطورة عن الحرية او الجبرية فى التعليم .

نستشف مما سبق ان التعليم والتربية لا يستقيمان فى بلادنا اذا لم نجب على اسئلة تدخل فى صميم الفلسفة وان الفلسفة التربوية هي التي تعطي اللون والشخصية والصفات المميزة لكيانها الاجتماعي والحضاري ، والعالم العربي لم تتوضح معالمه ما لم تزل هذا التضارب بين البلاد العربية فى التعليم . وللاسف ان المدرسة العربية النموذجية لم تتأسس بعد وكذلك المواطن العربي المثالي فى المغرب المسلم ولن يتركنا الزمن نتراخى اكثر مما فعلنا لان القوى الماكسة والنزعات الانعزالية حية تعمل فى الخفاء والظاهر وهي تحارب الفلسفة التربوية وسوف يزداد الشق بيننا وبين العالم العربي ككتلة موحدة الشعور والثقافة اذا اجلنا تأسيس المدرسة العربية والكتاب العربي والتلميذ العربي والبيئة العربية المسلمة التي لا تزال تحافظ على الماضي وتعرف دورها فى هذا العصر السريع التطور .

ولن يكون العمل سهلا لانه عمل بالدرجة الاولى فلسفي عقائدي ولا شك ان هذه الفلسفة سوف تعتمد اكثر ما تعتمد على فلسفة الاسلام ، والشريعة الحنيفة تحتوي على الخطوط العريضة ولكن علينا ان نوفق وننظم ونقدم صلب الاسلام لا قشوره الى المدرسة الابتدائية اولا والى التعليم العالي بعد ذلك لان جوهر الاسلام خالد وعميق وهذا هو الذي نحن فى حاجة اليه لا المناقشات والخرافات ذات الاصول الهندية والمسيحية — والمدرسة العربية تعرف ان الماضي لا يمكن اخذه جميعا والمحافظة على كل عناصره والا استحال القول على التلميذ فى المدرسة ان يتعلم ما جد فى عصره وهو كثير جدا .

وخلاصة القول ان فلسفة التربية ستكون عربية اذا احسنت دمج الماضي بالحاضر وتوفقت فى اعداد المواطن العربي الصالح للمستقبل الرائع مستقبل البلاد العربية الاسلامية الموحدة .

---

**تعريف التاريخ عند ابن خلدون**

« انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس ، والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث فى ذلك العمران بطبيعته من الاحوال » .

عن البعث الاسلامي

# انتشار الإسلام في نيجيريا

بقلم الأستاذ ع . س

الايبو (1) يبلغ عددهم تسعة ملايين نسمة حسب المعلومات الاخيرة التي حصلت عليها ، والقبيلة المذكورة كانت وثنية العقيدة قبل دخول الانجليز والارساليات التبشيرية

ولهذه القبيلة عادات قد توارثوها كابرا عن كابر ولم يزالوا يعملون بها رغم ان الارساليات قد تمكنت بمساعدة الحكومة من تنصير تلك الملايين .

ان الارساليات قد لاقت عنادا قويا ببادىء الامر ولكن المال والتنظيم والداب على العمل كل ذلك جعل النصر حليفهم فافتتحوا المدارس والكنائس والمستوصفات الطبية .

فبالمدارس انشاوا جيلا لا يفهم سوى عقيدة التثليث ويكره كل دين ما عدا ذلك .

وبالكنائس احضروا المنارة واجلسوهم على مناضد لم يكونوا يالفونها مما جعل الافريقي يتردد على تلك الاماكن النظيفة .

والمستوصفات اتت باينع الثمار فكل مريض فيما مضى كان عرضة لطب الدجالين والسحرة ولكن المريض وجد بالمستوصفات حقيقة الطب والشفاء .

بعد سنوات تمكنت الهيئات التبشيرية ان تبسط نفوذها فى عموم المناطق بالمدن والقرى وجعلت التعليم وقفا لمن يتبع الدين الجديد فكانت النتيجة ان اقدم الاطفال زرافات ووحدانا وقد اعجبتهم تلك الرطانة الغريبة عن رطانة لغتهم وخصوصا انه لم توجد قاعدة اساسية للغتهم فكانت لغتهم يستعملونها للتكلم والمخاطبة فقط بينما الانجليز جعل من مدارس التبشير لغة تقرأ وتكتب .

ان الذين تخرجوا من مدارس الارساليات قد وجد كل منهم مساعدة ليتم تعليمه بلندن فعاد الاول بعد ان اتم دراسته ليستلم المناصب الرفيعة بالدولة وهذا بالطبع ليس بمناطق الايبو فحسب بل بجميع مناطق نيجيريا .

فمنذ خمس سنوات لم اجد بقوة الشرطة الا الايبو المهيمنين على صغار الامور وكبيرها وفى البنوك منهم المدراء وكبار الموظفين وجميع الوظائف على هذا القياس والسبب ان التعليم بدىء عندهم قبل القبيلتين اليوربة والهاوسا (واقصد التعليم الانجليزي ورسالة الكنيسة) . ان المبشرين قد ادخلوا العقول الناشئة افكارا سيئة عن الاسلام ونبيه محمد عليه السلام وقصصا خرافية لا تمت الى الحقيقة بصلة وقد اوغروا الصدور حتى لا يكون بين الايبو دين آخر ومن شدة التنظيم لم نجد بين الايبو مسلما واحدا حتى اذا سال الايبو هل انت مسلم يشمئز من هذا الكلام ويقول انني مسيحي ولست بمسلم وثني .

ان الارساليات همها الاول والاخير ان يكون الناس على ملتهم ولا يهمهم التطبيق الديني كما يهمهم الا يكون مسلم بين البشرية .

اصبحت حياة هؤلاء المسيحية خليطا بين تعاليم الكنيسة وتقاليدهم القديمة الموروثة ومن امثلة ذلك ما يحدث عند ما يتزوج مسيحي احدى البنات انه لا يستطيع ان يعقد زواجه فى الكنيسة على اكثر من واحدة ، ذلك بالوقت الذي يبيح لنفسه ان يتزوج باكثر من عشر بدون عقد الكنيسة ومن العادة المالوفة والتي لم تزل تسري حتى الآن ان يتخذ الشاب فتاة باسم الصداقة وتاتي له بمولود او اكثر واحيانا يتم الزواج

1) الايبو قبيلة كبيرة فى نيجيريا .

بعد سنوات من الصداقة ويذهب الى الكنيسة ويكللها ثم تعتبر زوجه وتذهب بعد التكليل الى بيته بينما كانت كل تلك المدة الماضية بيبت اهلها .

ظل شعب الايبو متمشيا مع تقاليده رغم ان اكثريته الساحقة قد آمن بالتثليث والملاحظ من مرشدي الارساليات ان تعاليمهم لا تتفق واخلاق سيدنا المسيح لاننا نجد بمدارسهم لا ينهون الفتيات عن عري الصدور والتحور واظهار المفاتن وبنفس الوقت ليس عندهم تحريم للربا الخ . .

ظل شعب الايبو متعصبا للنصرانية منذ ان تم تنصيره وظهر مبشر افريقي قد اتم تعليمه في الكنيسة واتقن اللغة الانجليزية ونشط نشاطا كنسيا قويا الى ان اتى عليه وقت لا يعرف لذة النوم فكان يرى في الحلم شيخا من شيوخ الصوفية يدعوه الى دكار Dakar ارض السنغال ولما تكررت الرؤيا بشكل كبيروازعجت احلامه شد الرحال الى دكار وفتش عن علماء المنطقة الى ان اهتدى الى شيخ الطريقة التيجانية الحا جاحمد ابراهيم نياس الذي يشبه الشيخ الذي وجده بالحلم والشيخ نياس يقيم بقرية اسمها كولاك Kaolack واختلف لدار الشيخ مرات عديدة الى ان تأكد من طوبة الاسلام الطاهرة فاعلن توبته واسلامه وتتلمذ على الاستاذ نياس ثلاث سنوات فكانت الدعوة الصوفية سببا مع قوتهما الجاذبية الروحانية الى ان صار هذا الايبو Nwagui مبشرا اسلاميا يدعوالى توحيد الخالق ويكفر بالتثليث .

عاد Nwagui الى نيجيريا منذ سنة ونيف لا ليعظ بالكنيسة كما سبق ان وعظ بها دهرا بل ليتخذ مكانا يدعو الناس الى دين غريب بين الايبو .

بدا بنفسه وهذبها لتكون مصداقا لما يدعو اليه وترفع عما كان يقع به من يحرمون الزواج فتزوج وتفرغ لدعوته حتى اسلم على يديه ستة آلاف من الناس عدا واحصاءا وشاع اسمه الجديد الذي اتخذه تيمنا باسم الشيخ ابراهيم نياس والآن يعرف باسم الشيخ ابراهيم نياس نوشكي .

كثر الاصحاب المريدون فجمعهم منذ اربعة اشهر وطلب منهم ان يهللوا ويكبروا لانه ازمع على احراق الكنيستين اللتين ببلدته لان الناس جميعا بتلك البلدة اصبحوا اتباعا له فمسك بالناس واحرق الكنيسة والاصحاب نساء ورجالا يهللون بالتكبير والتحميد الله اكبر الله اكبر ولله الحمد نصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا شيء قبله ولا شيء بعده لا اله الا هو واخذت له الرسوم قبل احراق الكنيسة ثم اثناء احراقها .

وفي اليوم الثاني قامت ضجة كبيرة من قبل الارساليات على اختلاف مذاهبها ومشاربها تساندها الصحافة تطلب اقسى العقوبة لابراهيم نوشكي .

فاقيمت الدعوى عليه وخرج بعد جلسات من جلسات المحكمة بريئا بحجة انه هو الذي شيد الكنيسة باموال نفوس بلدية وبنفس الوقت انه هو والذين ساعدوه بالبناء هدموا ما بنوه لانهم يريدون مسجدا تقام فيه الصلوات الخمس .

الشيخ ابراهيم نياس (الكولكي) صاحب الطريقة التيجانية ذائع الصيت ومن كبار العباد الذين لا يهجعون في الليل وله حرمة كبيرة عند اتباعه في السنغال وشمال نيجيريا حتى ان خصومه يبجلونه لعلمه وشجاعته وحسن استقامته وعلو ايمانه فجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء .

في صفر 1379 هـ. قدم الايبو المسلم (ابراهيم نياس نواكري الى كادونا واتصل برئيس الوزراء الحاج محمد سردونا وبحث معه ومع اقطاب التيجانية امر الدين وحاجته الى مرشدين ومن حسن حظ الاسلام ان بكادونا سلطان كانو الحاج محمد سنوسي فعند سماعه لهذا النداء ما كان منه الا ان اعطى المذكور سيارة من ملكه الخاص وتلميذا نشيطا يدرس بمدرسة الشريعة الاسلامية بكانو وزودها بمائة جنيه ودعى الله ان يكونوا نواة خير للبشرية والاسلام .

ان الاسلام قد دب بمنطقة الايبو الآن لو تيسر لهذا الاسلام وجود مبشرين ينظمون الامور كما تنظم الارساليات امورها لما وجدنا بافريقيا كلها الا الاسلام وكان لسوء الحظ ان الاسلام ينتشر بافريقيا انتشارا واسعا بدون تنظيم او دولة اسلامية ترعى جماعته او هيئته بينما نجد الارساليات تملك السيارات والمستوصفات والمدارس وتخصص الرواتب الضخمة وكل ذلك لو لا مساعدة امريكا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا لما وجد هذا المال الزاخر .

# ناطقون أو مفكرون !

للاستاذ أبي فريد

يحلو لقادة بعض دول افريقيا الغربية التي نقلت اليها اخيرا اختصاصات الجامعة الفرنسية واصبحت فى العرف الدولي مستقلة وذات سيادة ان يطلقوا على دولهم اسم (الدول الافريقية المعبرة بالفرنسية) ، وخاصة منذ الفترة التي كانت تستعد للاجتماع الى بعضها فى ابيدجان لدراسة بعض المشاكل الافريقية وتحديد مواقفها تجاه القضايا التي تتصل بمستقبل المعركة التحريرية فى القارة الناهضة .

ولم يكلف احد ـ بادىء الامر ـ نفسه عناءا فى مناقشة اولائك القادة حول التسمية التي اطلقوها على دولهم رغم ان اكثر من تسعين فى المائة من شعوب تلك الدول لا تعرف حتى الرد بالايجاب او النفي بغير اللغات الوطنية الافريقية ، ورغم ان بعض اللغات المحلية تتكلم بها نسب مهمة من تلك الشعوب ، وبالغة من التطور والانتشار الدرجة التي يمكن معها ـ متى اخذت بوسائل التشذيب ـ ان تصبح كلها او بعضها اللغة الرسمية التي تدار بها الادارات والمصالح على اختلافها .

ولم يسأل احد اولائك القادة لماذا لم يطلقوا على انفسهم تسمية اخرى (كدول افريقيا الغربية) مثلا او ( دول الجامعة الفرنسية ) او ( دول ابيدجان ) خاصة وان مؤتمرات سابقة اطلق على المشتركين فيها اسم المكان الذي انعقدت فيه كدول باندونغ ودول منروفيا .. الخ

ولكن الالم كان يحز فى نفوس الشعوب الافريقية وهي ترى اشقا لها يؤمنون بمحض ارادتهم وبتلقائية لايحسدون عليها بالتبعية الفكرية ـ وحتى لو افترض وجود صلات فكرية قوية ـ فان هذه التبعية تعد مظهرا خطيرا من حضارة فرنسا ، التي كانت تستعمرهم بالامس ، تلك الحضارة التي تاخذ الآن فى التقلص والافول .

ولقد عقب المالبون ـ وهم الذين تخلصوا فى نفس الوقت من الاستعمار الفرنسي ـ على تلك التحلية بان دول ابيدجان التي تحولت الى كواكب اصطناعية واخذت تسبح فى الفضاء حول فرنسا تخوفت من ان تسمي نفسها « الدول التي كانت تابعة لفرنسا » حتى لا تظهر بمظهر المنفصلة عنها وهي التي ترتبط معها باوفاق لا تقل عن عقود للحماية ، وتخضع لتوجيهها خضوعا كاملا ..

اما الغينيون فانهم نسبوا ذلك الى الخلافات حول زعامة الاحدى عشر دولة اذ لو نسبت الى العاصمة التي شهدت مؤتمرها لقر فى النفوس ان ساحل العاج اصبحت عاصمة مركزية ومستقطبا لمختلف التيارات التي يريد كل زعيم ان يحولها الى حدوده .

وذا كانت التسمية الملونة قد وقعت من نفوسنا نحن المغاربة موقعا اليما فان ما آلمنا اكثر من ذلك هو الا تكون تلك الدول متحدثة او معبرة باللغة الفرنسية وحسب ولكن ان تكون مفكرة بالعقلية الفرنسية فوق ذلك وقد اقام الدليل على هذا التفكير موقف تلك الدول اثناء وبعد مؤتمر ابيدجان من ثلاث قضايا لا تتعلق فقط بالتحرر ، ولا تقف فيها فرنسا فى قفص الاتهام وحسب ولكنها تقرر مصير القارة ومعركة الجانب المتحرر مع الاستعمار .

فابن دادة الذي ارتضى بان يكون هو الآخر رئيس دولة تتكلم الفرنسية وجد كل تشجيع فى ابيدجان للخطة التي ابدعتها العبقرية الفرنسية والآيلة الى فصل

موريطانيا عن المغرب وتحويلها الى قاعدة عسكرية يتمثل فيها التهديد المستمر لحدود الدول المجاورة وخاصة حدود الجزائر وحدود الدول المتحررة التي خرجت على طاعة فرنسا ، والى حاجز جبار يمنع اتصال شمال افريقيا عن غربها الامر الذي يحول دون تعاون وتساند المنطقتين ويمنع تسرب الثقافة العربية والدعوة الاسلامية الى الجنوب .

ان مؤتمر الناطقين او المفكرين بالفرنسية كان افضل معبر عن الاتجاه الفرنسي في القضية : وجه تهانيه للمختار ولد دادة بمناسبة استقلاله ، والكل يعلم ان ابن دادة دمية تحركها فرنسا من الخارج وتحركها في الداخل بواسطة جيش الاحتلال والحكام الفرنسيين وانه مبغوض عند شعب موريطانيا ، واعلن المؤتمر كذلك اعترافه بما سماه الجمهورية الاسلامية الموريطانية والكل يعلم ايضا ان اقامة تلك الدولة هو تآمر على تاريخ وقصم لكيان ، وخنق لصوت شعب لا يريد بغير الوحدة بديلا ، واخيرا اكد انه يكرس جهوده بحماس للدفاع عن ابراز شخصية موريطانيا في المجال الدولي .

فهل تجاوز تفكير فرنسا هذه الحدود وفي اي وقت ؟

وتأتي بعد ذلك قضية الجزائر وموقف مؤتمر ابيدجان من القضية كان يختلف جوهريا عن الاسلوب الذي اتبعته دوله فيما بعد سعيا في معالجة القضية ، ولا يرجع ذلك الى انها وجدت في الجو ما يوجب بعض التعديلات ولكن يرجع الى ان فرنسا عاتبتها على انحرافها قليلا عن تأييد استعمارها ووحشيتها تأييدا مطلقا .

والاحداث تثبت ذلك وتؤيده :

لقد قررت تلك الدول ان تعرض وساطتها على الجانبين المتحاربين ، وذهب ثلاثة من قادتها الى باريس والى تونس للاتصال بالقادة الجزائريين ثم اجتمعت تلك الدول الناطقة بالفرنسية في نواكشوط يوم 28 نوفمبر بمناسبة استقلال احد الناطقين بالفرنسية ايضا ، وتذاكر الجميع في الموضوع الجزائري ، ثم اخبرت الصحافة انه وقع اتفاق حول الخطة التي يجب اتباعها في الامم المتحدة ، والتي تنبني على اساس تجنيب فرنسا اي موقف حرج في تلك الهيئة الاممية ولم يتحدث اي من اولائك الرؤساء عن الوساطة او عن استئناف مفاوضات مولان ، حيث كانت المناقشة تدور حول صيغة مشروع القرار الذي يجب تقديمه وتصور التعديلات التي ينبغي ادخالها على اي مشروع آخر يقدم من الكتلة الافريقية الاسيوية .

وهكذا انتهى الامر بتحول في خطة الدول الناطقة بالفرنسية وظهر جليا عندئذ انها ليست ناطقة بالفرنسية فقط .

وتكلم الرئيس فرحات عباس للمرة الاولى ليصرح بان دول ابيدجان تطلب منه المستحيل ، وكان مؤكدا ان ذلك المستحيل الذي عناه زعيم الثورة الجزائرية هو الموافقة على اجراء الاستفتاء على طريقة دوغول .

وحملت الانباء بعد ذلك تدخل كل من تشاد وكونغو برازافيل هذا التدخل الذي لا يمكن وصفه بانه اقل تطرفا من تصورات المستوطنين الفرنسيين وقدماء المحاربين .

وجاءت النتائج بعد ذلك فيما يخص الكونغو والكل يعلم ان موقف مندوب السنغال الذي تحدث وفكر بالفرنسية بالنيابة عن دول الجامعة ، طعنة نجلاء لكفاح الكونغوليين وكان يحمل التشفي من باتريس لومومبا ومن الدول التي تناصره ، والهجوم على الدول التي تتدخل في الشؤون الداخلية للكونغو ولا تترك كازافوبو يعمل لاقرار النظام والاستقرار .

هذه هي مواقف دول تتشرف بتسمية نفسها دولا تتحدث بالفرنسية ، وكان يجب أن تكون اكثر شجاعة وتصف نفسها بانها مفكرة ايضا بالعقلية الفرنسية ، وهذه هي الدول التي اجتمعت ايضا ببرازافيل وضمت الى طاولتها المستديرة زبناء جدد للبضاعة الاستعمارية هما تشومبي والمختار ولد دادة .

والامر الذي يبدد قتامة التشاؤم من هؤلاء القادة هو ان كل البوادر تشير الى ان شعوبهم تستعد لمناقشتهم قريبا ويقبر اللغة الفرنسية التي يصرون على عدم التكلم الا بواسطتها .

## معرض الكتب

# بنية الفكر الديني في الاسلام

تأليف : هـ . ا . جيب

تعريب : عادل عوا

قرأه وعلق عليه
الأستاذ مصطفى الأزموري

لامراء ان الاستشراق قد زود العالم الغربي برافدين احدهما واسع ضحل يمد اوربا وغيرها بضلال مقبول والآخر ضيق ولكنه صاف يسقي رواده معرفة امينة وتفهما صادقا للاسلام والمسلمين ، فلكل من هذين الرافدين ــ كما يرى الاستاذ اردين كالفيرلي ــ مجال خاص بين الشعوب الغربية ، ففي الطبقات الدنيا تشيع الاكاذيب والمبالغات عن الاسلام والتعصب على المسلمين ، وبين الطبقات المثقفة تجد الحقيقة في ذاتها ولذاتها مجالها الواقعي .

من هنا غدا الاستشراق في نهاية التحليل يتوس بين اتجاهين متنابذين الاول يدرس ــ من خارج ــ خصائص التفكير الديني في الاسلام دراسة قائمة على احكام سابقة مبشرة وافكار فطيرة تتكشف عن سوء نية في امتلاك ثقافة متعصبة ، والثاني يبين اعمال الفكر الحيادي في استمراره الموصول لدراسة الحقيقة الاسلامية ــ من داخل ــ وبتحايث وتماس مباشرين بالبيئة الاسلامية

في هذا الاتجاه الثاني سار امام المستشرقين المعاصرين الانجليز : السير هاملتون ا. ر. جيب واضع كتاب : بنية الفكر الديني في الاسلام . ومن النافع هنا قبل ان نفرغ مضمون الكتاب ، ان نشير الى التصدير القيم الذي صنعه استاذنا الدكتور عادل العوا ليوشح به صدر الترجمة العربية ، فهو محاولة منظمة اعتمدت الاستقراء التاريخي لتعريف الدين وتحليل الفكر الديني في اطار نزعتين متباينتين : النزعة الاعتقادية والنزعة العلمية والتاريخية وضرب امثلة دالة على وجهات النظر المختلفة .

فمن الموقف الاول موقف النزعة الاعتقادية يستدعي الدين تعريفا بانه ( وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى الخير بالذات ) وثابت ان منحنى التفكير الديني في الاسلام خلال سياقه التاريخي يعتمد الثقات المفكرين المسلمين من الغزالي الى ابن تيمية ومحمد عبده وابي الاعلى المودودي الى تعريف الدين بانه وضع الهي بالضرورة ومعطى صادر عن الاعلى الى الادنى .

اما الموقف الثاني موقف النزعة العلمية والتاريخية فيمكن تعريف الدين بانه ( وضع اجتماعي يتميز بوجود طائفة من الافراد تربطهم شعائر منظمة ، وايمان بقيمة مطلقة مقدسة تقيم صلة بين الفرد وبين قدرة روحية متعالية على الانسان قد تكون متعددة او واحدة هي : الله ) .

والخطوط الكبرى للنزعة العلمية والتاريخية في دراسة الفكر الديني هي اولا جملة معطيات علم النفس في البحث عن الناحية الدينية ووصف الهيجانات الدينية والظواهر النفسية التي ترافق التجربة الدينية وهي ثانيا جماع الاراء الصادرة عن علم الاجتماع

باعتبار أن اي دين هو استجابة لحاجات انسانية صحيحة ؛ ووجود الدين دليل على وجود حاجة الى التدين ؛ فالدين اذن له وظيفة اجتماعية تنبع من مجموع التصورات الجمعية لكل مجتمع .

بهذا الاعتبار يبدو الدين فى ثوب اجتماعي نتيجه الحوادث الاجتماعية والتصورات المركبة المترسبة فى الضمير الجمعي المشترك ؛ وبتعبير آخر أن علم الاجتماع والمدرسة الاجتماعية الفرنسية بالذات تلح على ان الدين وضع اجتماعي فى الدرجة الاولى ــ لا وضع الهي كما تريد النزعة الاعتقادية ــ وضع تصنعه الضرورة الاجتماعية ولذا ينفرد المجتمع بميزة فذة هي صهر الارادات الفردية فى ارادة مركبة من مجموع الارادات ومفارقة لها فى ذات الوقت فيغدو المجتمع فى آخر الامر : ينبوع القيم كل القيم ومصدر الدين فى شتى اشكاله وانماطه .

فهل يعني هذا ان المجتمع هو خالق الدين ؟ .

بين ان التعريف الاجتماعي يباين مباينة فاصلة التعريف الاعتقادي من جهة اولى ويعارض معطيات علم النفس ومذهب تاريخ الاديان من جهة ثانية ــ ففي اعتقادنا من الوجهة النفسية ــ أن الانسان بما يحتاز من وعي لفكرة الله يستجيب لشعور ديني ذاتي يضفيه عمليا على مختلف اشكال الدين ؛ فالدين فى بنيته ينبدى اول ما يتبدى فى حلة شعور ديني فردي موصول باحساس الانسان بتبعيته لقوة عليا او بادراكه الفطري الخاص بالسببية والصعود الى سبب اخير اعلى او بحدسه اللانهائي او بزهده فى العالم .. وكل هذه عوامل يرجع اليها اصل الدين .

اما ما يحيط ذلك الشعور الديني من ظروف تاريخية معينة محددة واوضاع اجتماعية موائية فذلك لمنح فرص امام الدين ليستطيع ان يبرز كعامل هام فى حياة الانسان .

وبتعبير آخر ان اصل الدين هو حاجة انسانية فردية منبجسة من عاطفة دينية ذاتية ولكن فى مرحلته النهائية مرحلة التوحيد اصبح سلوكا منظما مسوقا للانسان من الاعلى الى الادنى معطى من الارادة الالهية للقضاء على ضلال الشرك والتعدد ؛ يساعد على ذيوع هذا السلوك وتثبيت السمات الرئيسية فيه درجة استعداد المجتمع لتقبله وتنفيذه .

وجماع القول : ان مضمون التصدير الذي بذل فى ابرازه الدكتور العوا جهدا مشكورا يتفتق عن عرض للصفات المقومة للدين كوضع الهي من جهة ــ وكوضع اجتماعي من جهة اخرى .

ولا بأس من الاشارة الى ان عمل الاستاذ العوا يهدف الى رسم القاع الثقافي الذي تبثث فى تضاعيف خطوطه الكبرى دراسة الاستاذ المؤلف جيب ووضع اطارين احدهما للنزعة الاعتقادية والآخر للنزعة العلمية التاريخية فى تعريف الدين ؛ ومن الجلي ان هاتين النزعتين هما بالاصل نزعتان ثقافيتان ــ الاولى شرقية والثانية غربية ــ وقد التقتا فى تفكير فلسفي عميق ومعاناة جدية لصعاب المسائل فى فكر الاستاذ جيب تتلاحمان فى هذا الكتاب المركز ايما تركيز المكثف اعظم تكثيف كتاب : بنية الفكر الديني فى الاسلام .

يقول الاستاذ جيب : ( كتبت هذه الفصول لا لاجل التقرير بل لاجل التحريك غرضها البحث واكثر اهتمامها بمواد البحث ووسائله ؛ فموضوع البحث كما يدخل فى الحياة الفكرية العاطفية فى كل طبقة منتمية الى الاسلام بشرط الا تتناسى جميعا انها خاضعة لسيادة المبادىء الاساسية التي وضعت فى القرآن الكريم ص 57 ) .

والبحث فى مناحي الفكر الديني الاسلامي والاتجاهات الاصيلة فى استمراره والمواقف الفكرية المتفاعلة فى صلبه ؛ يستدعي دراسة فينومنولوجية تتخطى تنوع المذاهب والحوادث الطارئة على الدين الاسلامي وتضعه بين قوسين ــ من اجل التوغل الى صميم الدين وبنيته وتحليل المواقف الدينية الاسلامية والمنابع التي منها تستمد والمفاهيم التي تحدد تفكير المسلمين بوجه عام فى موضوع الاله ؛ وفى كيفية تصورهم العلاقات بين العالم اللامرئي والعالم المرئي .

ولهذا جاء مضمون الكتاب مشحونا بالافكار المركزة العميقة تتوزعها اربعة فصول على صعيد التحليل والمناقشة : 1) العامل الاحيائي 2) محمد «ص» والقرآن الكريم 3) الشريعة واللاهوت 4) التصوف .

1 ــ ففي الفصل الاول يحاول ان يدرس الاسلام من حيث انه تجربة دينية فذة لا تماثلها تجارب دينية اخرى تتبدى احيانا فى موقف حدس الدين واحيانا فى موقف تعقل الدين فاذا كانت العاطفة اكبر من العقل

نتج التصوف واذا كان العقل اكبر من العاطفة نتج اللاهوت ، فهناك ثنائية قائمة بين الحدس الديني والعقل اللاهوتي ، بين الايمان وتعقل الايمان ، بين ايمان العجوز التي ترى ان الله في السماء وايمان المعتزلي العقلي الذي يرى ان الله في كل مكان وليس في مكان وهذه الثنائية لاتتجلى في التضاعيف التاريخية التي شملت النمو الديني الاسلامي وحسب ، بل انها تتصل كذلك بالوضع الداخلي في الاسلام على اعتباره دينا حيا حاضرا .

ولا بد لتفصيل شامل ان نعود الى حيث نما الاسلام في احضان مجتمع احيائي من نوع خاص هو مجتمع الجزيرة العربية القديم بتاثير اللامرئي على المرئي واضفاء روح وحياة على كائنات وقوى خفية ولاريب ان الاسلام لم يصدر صدورا ضروريا عن هذا المجتمع بل كان الاسلام بالدرجة الاولى ثورة على الاحيائية العربية غير ان هذه الثورة ابقت على اشياء بدت انها توافق روح الاسلام ، فالحج القبائلي كان اوج العبادة في الوثنية فابقى عليه الاسلام ولكنه غير معناه وغايته .

ورغم ترسب معطي الاحيائية العربية في القاع العقائدي للاسلام فقد نشأت في البيئة الاسلامية بعد فترة الغزو الاسلامي الاول مناقشات كلامية احدثت ضربا من التوازن في التفكير الديني الاسلامي بتغليب العقل على الخرافة وترجيح الجانب العقلي على الجانب الانفعالي فكان رد الفعل نمو التجربة الحدسية في حقل التصوف الاسلامي لمعارضة التفكير اللاهوتي ولاحياء العقائد القديمة وطقوس الجاهلية «ص 71» من جديد ، كما ان الاسلام وجد في آسيا الوسطى والهند واندونسية وافريقية احيائية قديمة موروثة فلم يستطع القضاء عليها تماما وما تزال حتى اليوم مواقف اسلامية مختلطة اختلاطا معقدا بمواقف احيائية مما ادى الى تفهم الدين الجديد على ضوء الدين القديم بالضرورة .

2) وفي الفصل الثاني : محمد (ص) والقرآن ـ يحاول المؤلف ان يربط معطيات الاحيائية العربية القديمة بالدعوة المحمدية التي تجلت في تنقية مفهوم الله في الجاهلية من الغموض وظلام الخرافات واحلال الاله الوحيد خالق السموات والارض ومن فيهما وما بينهما محل اله الجاهلية واقامة بناء ضروري يتجه من الاعلى الى الادنى ، من تصور الله على انه الآمر الناهي الى الانسان المخلوق المدعو لتنفيذ الامر والنهي بالانتقال من الشعور بالخوف والاحترام الى الشعور بالتقوى والاجلال والوعي بالله .

تلك هي الرسالة التي حملها القرآن الكريم الى الجيل الاول من المسلمين والاجيال اللاحقة كلها

فالى من يوجه القرآن حديثه ؟ يجيب الاستاذ جيب : ان القرآن ليس بكتاب لاهوت لان اللاهوت تاويل الكون تاويلا فلسفيا عقليا ص 89 . ولكنه كتاب يعتمد بالدرجة الاولى التخيل الديني ولا يعتمد العقل الا بالدرجة الثانية ص 90 ـ فكان الدين الحقيقي ان يحيا الانسان عقائده عمليا دون ان يسال عن ماهية تلك العقائد .

3) وبجانب القرآن الكريم يبدو الحديث الشريف ناقلا الى الاجيال التابعة صورة محمد (ص) : الانسان والنبي في وجوده المليء بالتجارب الحية الرائعة صورة لم تصبح البتة صورة نمطية اصطلاحية وربما لن نشطط اذا قلنا ان تأجج هذه العاطفة الشخصية نحو الرسول الحبيب هو منذ زمن بعيد اكثر العناصر حيوية في دين الجماهير الاسلامية ص 94 ) تشهد بذلك جملة القصائد والمدائح النبوية والاناشيد والالحان التي نظمها المتصوفة على شرف الرسول تجمل جميعها تعلق المسلمين قاطبة بشخصية محمد (ص) .

4) واضح الآن اننا انتهينا مما يطابق عصر الرسول والصحابة بتبيان ان القرآن يعرض تجربة محمد (ص) الحدسية من جهة ويعتبر من جهة اخرى الينبوع الذي يرجع اليه المسلم دائما لينعش رؤيته الروحية ( فهو لاينطوي على عرض فلسفي او عرض منسق في مجال العقيدة ص 97 ) فيبدو من هنا ، المجتمع الاسلامي مجتمعا اخلاقيا يستمد اخلاق الوحي الصادرة عن ايمان غير معقد قائم على الحدس الديني ، ولكن سرعان ما شرع ذلك المجتمع يتوسع بدخول مؤمنين كثيرين وحدوث مسائل اجتماعية واخلاقية الحت على اعطاء حلول لها عاجلة ، وكانت هذه المسائل قد اوحت باعتماد «الاحاديث» والاجماع والقياس والراي والاجتهاد ، فدعا كل هذا الى ان تستمد الشريعة الاسلامية عناصرها من نتاج التامل وتقوية ناحيتها العملية « الفقه » بتنظيم الحياة الاجتماعية على ضوء الدين دون تمييز سافر بين ما هو واجب نحو الله وواجب نحو الناس ودون فصل بين ماهو روحي وما هو زمني

ولكن تطور التفكير الديني لم يقف عند هذا الحد بل ظهر ضروريا ان ينتهي ايمان الناس البسيط الساذج الى ايمان معقد قائم على تعقل الدين وفلسفته فجاء اللاهوت او علم الكلام دفاعا عن العقيدة الاسلامية بأساليب منطقية وبرزت فرق دينية حاولت ان تدافع عن العقيدة الاسلامية من وجهة نظرها الخاصة غير ان الاستاذ جيب يعتقد ان : ( العصر لم يكن بعد قد بلغ من النضج حدا يظهر معه اللاهوت . وثمة حقيقة راهنة هي ان نمط الفكر الحدسي يعجز عن المحاكمة اللاهوتية وكان لابد ان يتعلم بعض المسلمين على الاقل المنطق والفلسفة قبل انشاء لاهوت اسلامي بالمعنى الدقيق ص 106 ) خاصة ( وان خطر البراعة العقلية لا ينشأ عن استعمال الذكاء بل عن الغلو فى استعماله ص 105 ) ولكن يبقى مع ذلك اللاهوت واللاهوت السني بالخصوص هو العمود الفقري للشريعة الاسلامية رغم اصابته ( بضعف فى بعض الاحيان لتساهله مع النزعات الصوفية او مع نظريات وحدة الوجود ص 109 ) .

فهل مذهب التباين والتوحيد المطلق ـ سواء على اساس عقلي معتدل او مفرط ـ يثير ضعايا فلسفية ان الاستاذ جيب يؤكد ذلك اذ ان بنية الفكر الفلسفي التي ورثها الاسلام عن اليونان تقصر فى الواقع عن تفسير التوحيد ميتافيزيائيا مما يؤدي الى الاهتمام بالشكل دون المضمون ، والصيغ المنطقية دون المسائل الدينية الحقيقية؛ وعلى هذا فان السعي لفلسفة العقيدة الاسلامية ( لم يدفع فى الوقت عينه الى الغلو والمبالغة وحسب بل انتهى اخيرا الى التشويه حين نسي ، او ابعد بدون تمييز ، بعض العناصر التي توجد فى آن واحد فى القرآن وفى الادراك الحدسي للامة ص 115 ) .

وبتعبير آخر ان مذهب التباين الصارم والتوحيد المطلق اذ ينمي نظرية التعالي عن الانسان ويحذف كل اتصال بين الله والانسان (يشد منابع التجربة الدينية) ويجفف الحدس الديني بصرامته العقلية . لابد اذن ان يخلق رد الفعل ضروري ضد التاويل العقلي . . فجاءت الحركة الصوفية .

5) طبيعي ان ينمو التصوف الاسلامي بالتدريج ففي القرن الاول كان المجتمع العربي الاسلامي مجتمعا اخلاقيا مثاليا يقبل الامر والنهي بايمان بسيط دون ان يسأل السؤال الفلسفي : لماذا ؟ وكيف ؟ ثم بدا اتجاه الشريعة باتساع النشاط العقلي اتساعا متزايدا وتبعه اتجاه علم الكلام والتفلسف فى الدين واخيرا جاء التصوف كرد فعل طبيعي وضروري يضاد تجميد التجربة الدينية فى قالب عقلي ، جاء على شكل زهد اولا وفى ثوب مذهبي فلسفي ثانيا ؛ فالتصوف الاسلامي فى صميمه نفحة عبقة من نفحات القرآن ، وتطلع مباشر الى الحقائق الدينية ولكن التصوف الاسلامي فى ذاته تطور من موقف الزهد والجمع بين الشريعة والحقيقة الى موقف التصوف الفلسفي المبني على الغاء مقولات التوحيد وادخال نظريات فلسفية اشراقية كنظريات حلول اللاهوت فى الناسوت واتحاد الذات الالهية ووحدة الوجود او حضور العالم فى الله وهما واحد .

وهذا اقصى مرحلة فى تطرف التصوف مما ادى الى غلو وشذوذ فى الفكر الديني فى الاسلام واصابة الاسلام بضرر بالغ فى جوهره ( الى انحراف التصوف عينه عن معناه الروحي الاول ودخول الخرافات فى حركات التصوف الشعبي فاصبح من العسير تمييز الصوفي الحقيقي عن الصوفي المشعوذ ؛ كما قوى التعلق بالاشخاص اكثر من التعلق بالافكار مما ساق الى ( اتباع تعاليم فرد واحد اتباعا اعمى ص 128 ) والى تقديس الشيخ والاعتقاد بعصمته ونوال بركته باطاعة اوامره .

ورغم كل هذا استطاع التصوف ان يجذب تداؤد الصوفي شعوبا كثيرة استهواها ما فى التصوف من انجذاب نحو الله بل ان الاستاذ جيب يؤكد ان الفضل فى استمرار الوجود الاسلامي عائد الى الجماعات الصوفية ص 122 بل ان علماء السنة انفسهم بسبب بقائهم حيث هم فى عزلتهم ـ هكذا يعتقد المؤلف ـ ـ منحوا ـ التصوف سانحة الانتشار فى حركات جماعية

الا انه حدث فى القرن التاسع عشر رد فعل معاكس تغذى بتيارين متضادين احدهما يتمثل فى الحركة الوهابية وانصار القديم والآخر يمثل اهل التجديد وانصار التجديد ـ محمد عبده فى مصر وسيد امير ومحمد اقبال فى الهند ـ

وفى اعتقاد المؤلف ان التيارين اسرفا فى نزع البذور الحسنة من قلب الدين الاسلامي وتجميد العاطفة الدينية بل انهما افسحا المجال ( لخرافات جديدة هي اعظم ضررا وامضى اباذة ص 135 ) خرافات

تعشش في صلب المدينة الاوربية وتفوق كثيرا خرافات التصوف ، وهنا يتربص الخطر بتجفيف ينابيع الدين ذاتــــه .

فاذا نضبت التجربة الدينيــة في الاسلام فمــاذا سيكون مصيرها في الاسلام وفي العالم اطلاقــا ؟ ؟ ان مجرد اثارة هذا السؤال الذي اثاره المؤلف ليدل بقوة على عمق المشكــلة .

## منـــاقشـــة :

من هذا العرض السريع الذي قدمناه يتبين ان استاذنا الدكتور عادل العوا زين صدر الترجمة العربية بتصدير هام بين فيه تعريف الدين من وجهــة نظــر النزعة الاعتقادية عبر سياق تاريخي ــ فكري يبدا من التهاوني الى ابي الاعلى المودودي المعاصر ، وقيمة هذا التصدير في نظرنا ــ ليس في وضع تعريف جامع مانــع للدين والدين الاسلامي بالخصوص بل في اسهام كل من الغزالي وابن تيمية ومحمد عبده وابي الاعلى في انمــاء التفكير الديني في الاسلام بكل ما يملكه كــل منهم مــن استعداد شخصي وتفكير ذاتي وموقف خاص امــام مســائل الدين بالاضافة الى تنوع معطيات العصــور التي برز فيها اولئك المفكرون من علوم وثقافات .

بيد ان الاستاذ العوا بما بذله من جهد مشكور قد قدم للمكتبة العربية ترجمة امينة لكتاب تتركز فيـــه افكار المستشرق الكبيــر هـ جيب الــذي تفهــم روح الاسلام عن قرب ــ غير ان لنا بعض الملاحظات في هذا التفهم لكوننا مسلمين وتهمنا عقيدتنا من جهة اولــى ولاننا نعتقد ان منطق الحروب والخصــومة والتوتــر الارعن من صميم الحياة المادية لا من صميم الاديــان ؛ وفي القرآن الكريم آية سامية يتفتق مضمونها عن مبدا رائع في المساواة في الاعتقاد الديني : لا اكراه في الدين ــ فالجدل بالتي هي احسن اجدى على صعيــد النقاش الفكري من الجدل المتطرف من جهة اخرى :

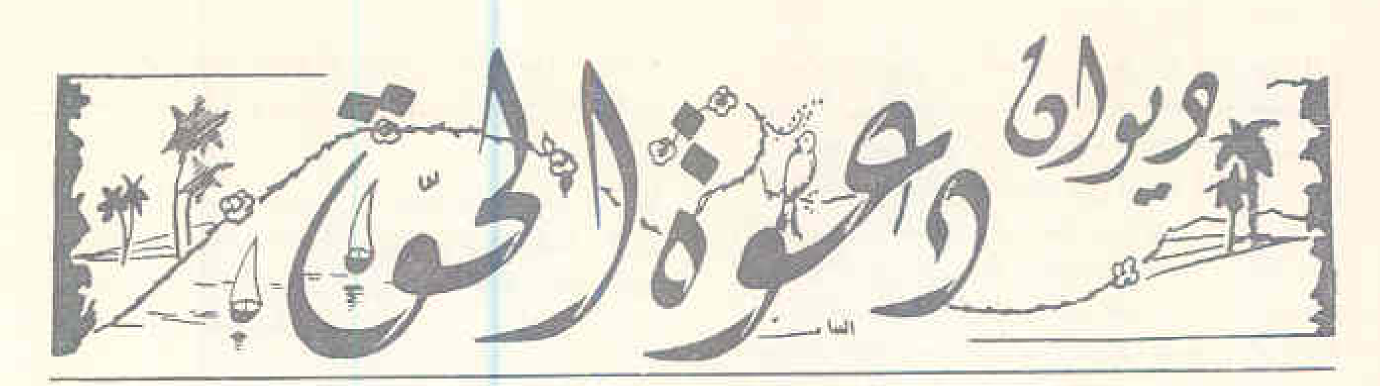
فاولا : نعتقد ان قول المؤلف في الفصل الاول ان الاسلام جاء لينظم الاحيائية العربية ويراقبها ، هـــذا القول فيه اطلاق لان الاسلام في جوهره ثورة جارفــة على كل احيائية عربية كانت او غير عربية قديمــة او جديدة ، وهنا يجب كذلك ان نفرق بين ما هو عــادات اجتماعية وما هو طقوس دينية اذ ان المؤلف نظر ــ على ما يظهر ــ الى بعض العادات الاجتماعية على اعتبــار انهــا طقــوس دينيـــة .

وثانيا : نرى ان الشعور الديني لم يكن قويا الى الدرجة التي تسمح بتصلب في المواقف الدينية فالمقاومة التي بذلها العرب لمواجهة الاسلام جاءت على اســاس اعتبارات اجتماعية كالمحافظة على المركز الاجتماعـــي والسعي وراء الشهرة اكثر مما جــاءت على اســـاس ديني ، والعربي كان يؤمن بالصنم ولكنه كان ينفر منه اذا لم يحقق غرضه بل ربما اكل معبوده المصنوع عــن التمر اذا جاع وهذا دليل على فراغ الشعائر العربيــة من معناها وقيمتها .

وثالثا : يرى المؤلف ( ان القرآن الكريم مثله مثل كتب الانبياء في العهد القديم انما يتكلم لغة الشعــر ص 91 ) ويعتمد في المكان الاول الحدس الديني ولكــن القرآن يلح على ناحيتين : ناحية العقل وناحيــة القلب ويتحدث حديثا موجها الى العاطفة والعقل معا فطبيعة القرآن الكريم تدعو الى التفلسف واثارة اسئلة فلسفية غايــة في العمـــق

ورابعا : نقول ان حضور علم الكلام في التفكيــر الديني الاسلامي كان طبيعيا ان في الاسلام او في كل دين ففي مرحلة اولى يكون ايمان بسـيط بــلا فلسفــة وفي مرحلة ثانية يبدا الناس يتفلسفون ويتعقلون دينهــم ، وعلم الكلام الاسلامي جاء نتيجة اسباب داخلية اهمها القــرآن الكريــم والاستقــرار الحضاري والظــروف السياسية واسباب خارجية ابرزها وجود عناصــر تدعو الى اثارة مسائل دينية من ديانات مختلفة ، ودفاع الفرق الدينية وخاصة المعتزلة عن الاسلام والرد علــى المخالفين ، فعلم الكلام اذن لم يقف حجر عثرة امــام مرونة الدين الاسلامي كما يدعي المؤلف ، ونحن نوافق المؤلف على ان الغلو في استعمال العقل ومحاكمته فــي الامور الدينية يؤدي الى تجميد تلك الامــور ذاتهــا فالدين كما يقول الاستاذ احمد امين يتطلب شعورا حيا اكثر مما يتطلب قواعد منطقية الا ان استعمال العقــل باعتدال هو الطريق الســوي لتفهم الدين .

واخيرا فاننا نرى في التصوف اسلاميا كــان او مسيحيا او هنديا تجربة حية فردية في حدود الذاتية يدعو اليها الاسلام في مجــال لايتعــدى مبدا التبايــن الفاصل بين الله والانسان اما ان تكــون تلك التجربــة هي قوام الحياة الدينية في الاسلام فاننا لن نستطيــع رسم خطة مضمونة لمستقبل الاسلام لان الاسلام هــو اولا وبالذات تقرب الى الله عن طريق التدبر والحدس معا وسائق لذوي العقول والقلوب جميعــا .







يا زمان استمع ، فهذا نداء تحاماه اذنك الصماء

هذه قولة من الاطلس الحـ ـر تشادت بوقعها الارجاء

انما المغرب القصي تراث خلفته لنسلها الآباء

انما الأطلس المقدس ارث تفتديه الآباء والأبناء

قد من جسم امة صخره الصلـ ـب كأن الاثنين شيء سواء

وسقاها من مائه وسقته من دماء فتم ذاك الاخاء

نحن شعب ألقت على الارض نورا وجمالا ايامه الغراء

حيرت موكب القرون فكانت لعلانا في جوه اصداء

تتحدى امجادنا قسوة الدهـ ـر ولا نسلم الحمى اذ نساء

شهد الناس اننا امة تحـ ـمي حماها واننا شرفاء

لسنا نعدو على الانام ولكن نحن للعز في الحمى اكفاء

نحن من طينة العروبة روحا وجسوما لنا بذاك ازدهاء

انما المجد ظلنا منذ كانت ارضنا هذه وهذي السماء

نحن والعز توأمان قديما وحديثا لنا به ما نشاء

نحن من دوح البسيطة فتحا نحن في الفكر والنهى اذكياء

يومنا في الزمان عطر ونور ... وجلال وهيبة وبهاء
سلسل المجد فخرنا فتوالى ... وتوالى له السنا والبقاء
هذه السن التواريخ تحكي ... عن علانا ما يرتضيه الثناء :
كل نصر تعجب الدهر منه ... كل فضل كأنه انواء
كل مجد ورفعة واعتزاز ... كل ذكر له سدى واعتلاء
شرف هز جانب الكون حتى ... غارت الشمس والنجوم الوضاء
وتحدى حوادث الدهر حتى ... ايقن الدهر انه الدهياء
وتغنت به العصور نشيدا ... اطرب المشرقين منه الغناء
من له في الزمان ايام مجد ... مثلنا ضاق عن صداها الفضاءلا
فاسال «الارك» و «الزلاقة» عنا ... تات بالخبر منهما انباء
واسالن «وادي المخازن» لما ... اضرمت غارة به شعواء
ضعضع الارض جيشنا فهو ان سا ... ر اظلته قبة شجراء
وركضنا على البحار سفينا ... كالرواسي يظلهن اللواء
موكب سارت العدالة فيه ... والمعالي وسار فيه الوفاء
اشرقت في سمائه شرعة اللـ ... ـه وحدي وملة بيضاء
ورعته العقول بالفكر حتى ... امرعت في جنابه النعماء
وطوى الدهر يسحب الذيل فخرا ... وتثني اعطافه الخيلاء
رقصت حوله ملائكة النصـ ... ـر ابتهاجا وباركته السماء
وتدلت عليه من دوحة الغـ ... ـن غصون اريجة خضراء
اسكر الكون عطره فتهادى ... خلفه يستحثه الاغراء
موكب خالف الزمان علاه ... فهما في الخلود شيء سواء
ربط الشرق بالمغارب حتى ... لم تحل ابحر ولا صحراء
نحن في جانبيه اسد غضاب ... انجبتنا سيادة قعساء
انما عزمنا حديد وصخر ... يترك الخطب وهو رخو هباء
عزمنا حطم الخطوب وامسى ... وله في مجالها كبرياء
هذه الارض كلها حسدتنا ... يوم ثرنا وشب فينا الفداء
وصببنا على فرنسا خطوبا ... خضبتها معارك حمراء
طار من هولها صواب الاعادي ... فتمنوا متى يحين النجاء
فهزمنا جحافلا غطت الار ... ض وعجت بوقعهن الجواء
ومحونا من فكرهم كل حلم ... حببته اليهم الاهواء

فتنادوا الى الرحيل وقالوا :    ان بقينا يطبق علينا الفناء
هذه امة الابناء وهدي    ارضها زلزلت فكيف البقاء ؟
كذبتنا احلامنا فانتبهنا    يوم ثارت ويوم حق الجلاء
قل لمن غرت الاماني حجاه    لا يغرر بك الهوى والرجاء
هذه امة لها العز عبد    والرزايا من جندها والبلاء
فاذا شئت ان تلاقي محقا    فادن منها يكن عليك القضاء
لايرى غير حتفه من تعادي    ولو اشتد باسه والفتاء
رضعت في لبانها عزة النفـ    ـس فقرت وخالطتها الدماء
اقسمت ان تعيش في كل يوم    حرة ما تعاقبت آناء
ولها بالخلود عهد ونبق    ومع المجد لحمة وولاء
عرشنا صخرة تدك الرواسي    له كالشمس صولة وبقاء
شيد الله ركنه منذ قامت    بيننا شرعة الهدى الغراء
وعلى الحق والعدالة ارسى    اصله فاستمر ذاك البناء
اين من عرشنا عروش تهاوى    وهو الطود لامسته السماء ؟
في جذور القرون امسى عريقا    وعلى الشمس سقفه واللواء
ان يكن للعروش جند فهذا    جنده الشعب والهدي والوفاء
وملوك مقدسون اذا ما    ذكروا قيل هكذا الاولياء
ان عرشا له ابن يوسف كفء    لخليق به البقاء والعلاء
مالك كالملوك شخصا ولكن    طهرت عرق اصله الانبياء
خاتم الرسل والذبيح المفدى    وخليل الاله ، ذاك السناء
كيف يخزى من كان منهم سليلا    وتوالت بيمنه النعماء ؟
شرف الطين والفعال ، وهذا    منتهى ما به يناط الرجاء
مدح الناس كل يوم علاه    وتغنى بمجده الشعراء
حسبوا المدح فيه مدحا ولكن    هو مدح لشعرهم وثناء
اين من قدره القريض ؟ وماذا    يبلغ المنشدون والخطباء ؟
يا له من مظفر حير النا    ريخ عزما فحار فيه الذكاء !




للشاعر : احمد سعيد التازي

يا ابنة الغاب في تلاع الزمان … بين طيف الرؤى وسرب الأماني

انت فوق الجمال والسحر والحسـ … ـن وفوق الدمى وفوق الحسان

لا ارى في لماك الا فتونا … رائعات تضوع آنا لآن

انت طير الخيال ينشد لحنا … ابدي الخلود عذب التواني

لعروس الصباح للنور للغا … ب لضوء المنى لبدر الزمان

روعة الفن في سماك تجلت … ها فؤادي في حبها متفان

ها يراعي في رقة يتهادى … مع نغم الصبا لذيذ الاغاني

ربة السحر يا هديل الرجاء … منك فجر السنا ونور الحنان

جدول الحب في جفونك يشدو … بالوحي النهى وفيض البيان!

اوراء ابتسام جرس القوافي … تعزف اللحن في خبايا الجنان ؟

ام وراء الضياء والنور والسحـ … ـر وبين الربى وذاك العنان ؟

حيث تلك الطيور تنشد سكرى … بكؤوس الندى على غصن بان

وبنشر الاقاح والياسمين … واريج الورود والاقحوان

ان حبي ونغمة الفن في قبـ … ـلك اني وكيف يفترقان

فوق عشب الحياة في دوحة العشـ … ـق وتحت الظلال يرتويان

وبوحي الاميل في مبسم الافـ … ـق . . بثوب الهوى يلتحفان

*

ايها الجدول المرقرق في الوا … دي بلحن الصفا لكل العيان

لونك العذب عبر دنيا السواقي … مثل أم الشعاع في اللمعان

بك سحر يهز أوتار نفسي … وجمال بهاؤه قد سباني

لك ـ مادمت ـ مهجتي وفؤادي … وشعوري ومنطقي وجناني

لحنك الشادي في سكون الليالي … لم يدر في الوجود اي مكان

ملأ الكون روعة وبهاء … فسل اليوم عنه كاس معاني

ان لبي بمنظر الغاب دابا ... مبتل بالهوى شغوف وعان
اذ هناك الورود من كل لون ... ليس يرقى لها بهاء الغواني
نسمة الزهر فيه تحلم بالعشـ ... ـق وتوحي للشعر بالفيضان
هي في الحسن والمفاتن يم ... لاتنعها ذخائر الهمدان!

*

ليتني عشت فيه احلم بالعـ ... ـز بعيدا عن الخنا والهوان
وقريبا من الحدائق والزهـ ... ـر بعيدا عن ضوضاء تلك المباني
وبعيدا حتى عن الناس بعدي ... عن ضروب الدلال والهذيان

*

كدت ادعو واعبد الغاب لولا ... كل شيء اراه لابد فان

---

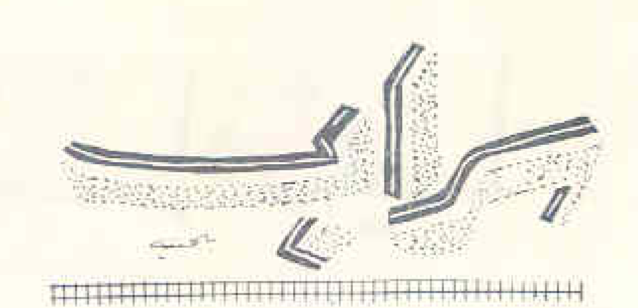
## النساء ثلاث

1) امراة عفيفة هينة لينة ودود ولود تعين اهلها على الدهر ولا تعين الدهر على اهلها ، وهذه قلما تجدها .

2) واخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك شيئا .

3) واخرى غل يجعلها الله في عنق من يشاء .

« عمر بن الخطاب »




للشاعر
عبد الكريم التواتي

سحر وددت لو انه       اضحى مثالا ، يعبد
فظللت انشده النجا       ة ، وارتجيه فينجد
ويريح قلبا هده       ياس ، وحظ انكد
حسب الحياة جميلة       تهب الرجاء ، وتسعد
وراى السراب ، فظنه       ماء نميرا يورد
فغدا يعب وينتشي       والموت يرغي ويزبد
حتى اذا امن العبا       ب دهاه موت اسود

*

انا لنسكب ادمعا       لكنها تتبدد
وتضيع ، بائس الحيا       ة ، ويس دمعي الانكد
ما بالنا ابدا نرو       م من الدنى ما يجهد
نهب القلوب فداءها       ولنا دواما تجحد
. . ونحلها مهجا اجـ       ـل من الزمان واجلد
كانما الدنيا غرو       ر دالما يتجدد
تبدي لنا املا فنسـ       ـتبق الخطى نتزود
ونهيم يحدونا الحنيـ       ـن ورغبة وتجلد
ويحثنا الامل الفحو       ل فننثني نتشهد
حتى اذا خلنا السرا       ب حقيقة لا تنفد
قلبت لنا ظهر المجـ       ـن ، فكل شيء اربد

# طبول إفريقيا

للشاعر: احمد البقالي

رؤوس كصخر جليد
معممة الحديد
على مقلتيها يسيل الصديد

واجسامهم كالبغال
تجر الجبال
على متنها والبطون الثقال

تسير الى غير اين ،
بلا قدمين ،
وقطعة صلب على كل عين .

وفي الافق المعتم
صدى اعجمي
يبشر بالفجر بالانجم

وفي كل دغل وغاب
خلال الضباب
بدت لامعات رؤوس الحراب

ومن كل فج عميق
تعالى شهيق
وصوت هتاف : « بدانا نفيق »

وصاح الدخيل الطريد
« افاق العبيد ؟ »
« وعادت طبولهم من جديد » .




**مهداة الى الذين بحثوا عن وجودهم من خلال النضال الانساني**

كان على غير عادته ، بادي الاضطراب شارد النظرات ، وعلى وجهه وجوم باهت يعبر عن الم عميق يعانيه ، وقد ادركت امه لاول وهلة عند ما عاد عشية امس من عمله فى ساعة مبكرة ، فسالته عن « النفقة » و « الدواء » فقد اعتاد ان يعرج كل مساء بعد خروجه من عمله على السوق كي ينتفق منه للغد ، ولما بدا لها شاحب الوجه بادي القلق اتسعت حدقتاها فى ذعر ملحوظ قائلة :

— ماذا وراءك يا بني ؟ ارجو ان يكون خيرا .

وطاف بخاطرها عدد من خيالات سوداء سرعان ما قطعتها نبرته الحزينة قائلا :

— لقد ضاعت محفظة نقودي هذا المساء ؛ لقد افتقدتها قبيل مغادرتي المعمل لاضع فيها اجرة الاسبوع فلم اجدها .

وابتدرته امه قائلة

— كم كان فيها من النقود ؟ اذ حسبت ان قلق ابنها يتناسب فعلا مع قيمة هذه النقود الضائعة ، ثم ندت منها شهقة الم حزينة ، فقال :

— لا ، لم تكن بها نقود كثيرة ، كان بها الف وبضع مئات من الفرنكات ، وبعض اوراق من بينها ورقة تعريفي .

وساد صمت كان لا يتناسب حقا مع قيمة هذه الاشياء الضائعة ، ولكن الام سرعان ما ابدت حسرتها على النقود اكثر من اى شيء آخر فلم تنس ان تذكر ابنها بخطئه عند ما لم يشتر الدواء منذ الصباح واذن ، لربح على الاقل ثمنه ، ولضاعت الاوراق فقط ، فاغتاظ لغباء امه التي لم تدرك خطورة ضياع ورقة تعريفه وقال :

— وورقة تعريفي ، نعم ورقة التعريف ، الا تسمعيني ان من لا يحملها يتعرض للسجن ثلاثة اشهر ؟ الا تعرفين اننا نتعرض للتفتيش فى الطريق من طرف « البوليس » كل يوم ولا تنقذنا من يد بطشهم الا هذه الورقة ؟ .

شحب وجه الام وعلاه حزن عميق ، ونادى احمد اخاه كي يسخره للسوق ليقضي حاجتهم من السكر والخبز والبترول واللحم للغد ، فلم يعد من الخير ان يخرج هو هذا المساء وهو لا يحمل ورقة تعريف .

كان احمد يركز تفكيره فى ضياع ورقة تعريفه ، وكيف يمكن ان يعثر على محفظته ، واخذ يفتش بخياله ، ويتساءل : اين ضاعت ، كم يتطلب الوقت للحصول على ورقة ثانية للتعريف ؟ وتلاحقت فى خياله الاسود صور التفتيش التي تجري عشية كل يوم او صباح كل يوم هنا او هناك من احياء المدينة الاهلية وشوارعها ، حيث البوليس الفرنسي يحاصر الاحياء بغتة ليملأ الناقلات العسكرية بالناس لاسباب مختلفة ، وعلى راسها عدم وجود ورقة التعريف .

بالامس فقط حاصرت شرذمة من البوليس الفرنسي بعرباتها الزرقاء المصفحة شارع « السويس » من جميع منافذه ، وطفقت تفتش كل المارة ، كانوا عند مدخل كل زنقة فيه يوقفون الناس حتى النساء والاطفال ليفتشوهم ، ويشتمون ويبصقون ، وينظرون بحقد ، كانوا قد امسكوا بتلابيب احد الشبان ثم صفعوه وخلوا سبيله بعد ذلك ، وكان هو نفسه من المحاصرين الذين ينتظرون دورهم في التفتيش من طرف «الحرس المتحرك» هذا الحرس المعروف بوقاحته وصلفه عند الناس ، وكان يشعر في ذات الوقت بانه خالي الجيوب من اية حديدة او اداة معدنية ، وانه بالاضافة الى ذلك يملك وثيقة « التعريف » انها وثيقة الحرية ، وقد فكر ان يضعها في يده كي لا يترك للبوليس اي وقت لصدور اية حركة اعتدائية منهم عليه ، بيد انه شعر بانه جبان لحد كبير ، وربما كان مرجع ذلك انه لم يعرف السجن من قبل ، او انه يسمع الكثير عن اعمال البوليس التعذيبية وتنكيله في المخافر بالذين يلقى عليهم القبض ، هكذا حدث نفسه وهو يرى العربة البوليسية الصماء يساق اليها من حين لآخر برجل او رجلين كالخراف الذليلة برفس ولكز من اطراف البنادق ليشحنا من خلف السيارة بمختلف انواع الشتائم .

كان يستعيد هذه الحادثة بكل تفاصيلها فتنعكس على وجهه اطياف باهتة للباس الذي يساور نفسه يزيدها الشحوب والارهاق لونا داكنا ، وحدث نفسه : كيف يمكن اجتياز شارع « السويس » هذا الصباح في الذهاب او العودة عند الزوال دون ان يكون ذلك مخاطرة بنفسه ، او القاء بنفسه في تلك العربات الزرقاء الداكنة الرهيبة ، ان المدينة غدت كلها محاصرة ومكتظة بالجيش والبوليس ، هؤلاء الخنازير الذين لا يسامون من مطالبة الناس باوراق التعريف اولا ثم تفتيشهم ليبحثوا عن « المسدسات » و « الفدائيين » كما يعتقدون ، ولم يكن ممكنا ان يظل قابعا في عقر الدار ، فرب المعمل الذي يعمل فيه — وهو فرنسي — لا يرحم ، فسيظن انه عندما يتغيب انه لبى نداء ما للاضراب دعت اليه في نظره هذه المناشير التي يوزعها «الارهابيون» كما كان يسميهم ، انه لو توقف اليوم عن عمله سيحرمه من العمل ، فضلا عن ان ورقة التعريف تحتاج الى انتظار اسبوع كامل ، انه لا يستطيع ان ينقطع عن العمل ، بل لا يستطيع ان يتغيب ولو هذا الصباح لانه لا يقدر ان يلقي بمصير امه واخوته بين مخالب الجوع ، وشعر بانه واقع تحت كابوس من التفكير الاسود الثقيل ، وانه لم يعد يشعر بوجوده في غمرة هذه المخاوف التي تكتنفه من كل جانب ، فشعر باحتقار نفسه ، لانه لمس لاول مرة ضعفه المهين فاندفع نحو الباب ليخرج ، وكانه قرر في نفسه امرا من وحي رد الفعل لهذا الضعف والجبن ، لقد قرر ان يخرج لانه استنفد طاقته في التفكير بخوف فلم يجده نفعا الا تزايد الخوف ، انه كان يعبر الشارع وهو يشعر بانقلاب يوشك ان يحول مخاوفه وضعفه الى شيء صلب ، واخذ يسترجع ايمانه بنفسه ، وبقدرته على ان يذهب الى المعمل هذا الصباح ، وان يعود في المساء دون وجل وحدث نفسه : « ان ورقة مهما تكن قيمتها ليست هي مصدر وجودي او سعادتي » وعجب كيف لم يتنبه لهذه الحقيقة منذ امس . لعله كان مغفلا ، بل لعل امه كانت على صواب حين لم تهتم كل الاهتمام لضياع هذه الورقة اكثر من اهتمامها للنقود ، ان المشكلة بكل وضوح كما بدت له : انه انسان بلا تعريف في نظر البوليس : انه بلا حقيقة في نظرهم ، وسخر في اعماقه من هذه السخافة التي كان يحترق في التفكير فيها ، واعتقد ان هذه الورقة التي ضاعت منه انما كانت مصطنعة لاحصاء الناس في بلادنا ليكونوا في قبضة الجلادين متى شاءوا ، واستيقظ ضميره بغتة ، انها ليست محنتي انا وحدي بل انها محنتنا جميعا ، اننا لا نساوي جميعا الا هذه الاوراق الخضراء او البيضاء التي يسلمها « الخليفة » وهو واحد منهم ، وبدونها نساق الى السجن كاننا لا نملك وجودا حقيقيا بدونها ، وعادت الى ذاكرته كلمات كان قد سمعها من اذاعة صوت العرب منذ اسبوع « لقد فقد المغرب كرامته بابعاد محمد الخامس » انه يفهمها الآن فهما واضحا اكثر من ذي قبل ، ولكن ماذا يمنع ان نبحث عن هذه الكرامة ، نعم ، ماذا يمنعني من البحث عن وجودي وكرامتي منذ الآن ؟ لماذا ظللت منذ امس فريسة عذاب لا مبرر له من خوف وقوعي في قبضة البوليس الذي لا يعترف بشخصي مجردا عن ورقة التعريف .

وتنفس هواء باردا جديدا في ذلك الصباح ، ولاول مرة شعر بلذة الايمان بالحياة والايمان بالوجود يعودان اليه ، فوجد فيهما كل سعادة انسانية ممكنة ، وكل قوة انسانية ممكنة ، كان صباحا باردا من اصباح شهر يناير المقرورة ، والرذاذ يرش المدينة كلها رشا خفيفا ، ولكنه كان متداركا كثيفا فالقى على ذلك الصباح غلالة رمادية شفافة تسيل ، وكان شارع « السويس » يبدو طويلا داكنا رمادي النور ، والمارة يسيرون ملء خطاهم في جمود وتوتر خاليين من كل معنى ، بينما كان اصحاب

الدراجات يسرعون وقد انكمشوا فوقها ورؤوسهم متطامنة الى صدورهم اذ كان الرذاذ يملأ وجوههم بالماء، وكان المارة جميعا في رأيه بلداء، وكان يقول في نفسه: مساكين هؤلاء المارة انهم مطمئنون لانهم يحملون معهم اوراق التعريف، هذا سر خطواتهم الرتيبة). اما هو فكان يذرع رصيف الشارع بثقة جديدة لم يشك في انها ملحوظة عند كل من يراه، وكأنه كان ينطوي على قوة نادرة ليست لأي من هؤلاء العابرين، وقد لاحظ ان انفاسه تتصاعد دافئة كالضباب في جو الصباح البارد فتسيل مع الرذاذ، وانه ولد من جديد، فلم ير أبهى من هذا الصباح، واتجه صوب آخر الشارع كي يمر منه الى المعمل الذي يقع في رأس شارع « مديونة » ولم يدر لماذا اختار هذا الصباح المرور من هذا الطريق الذي لم يعتده من قبل وكأنه يلح في ان يواجه بوليس التفتيش، وكان مظهره ينم عن فقر وعزم اذ كان متلفعا بمعطف خشن من الصوف القديم بدا بعد ان ارتوى من رذاذ ذلك الصباح نحتا داكنا لزج الثنايا والطوق، اشعث الرأس قليلا، بادي الشحوب ثاقب النظرات، ينتعل حذاء قديما، وبالجملة فقد كان مهمل الزي لا يكاد يختلف عن هؤلاء الكادحين الذين تمتلىء بهم الشوارع الاهلية كل صباح ومساء في الدار البيضاء.

وفي منعطف الشارع حيث يفضي الى شارع « مديونة » كانت شرذمة من اولئك الجنود السودانيين المدججين بالسلاح قد وقفوا ثابتين كالجدارات في وجه كل من افضى به سوء الحظ اليهم من كل مكان من الاحياء الاربعة المفضية الى هناك، فعلاوة عن البنادق الرشاشة التي بدت فوهاتها من وراء مناكبهم، كانت الفؤوس جامدة ومعلقة من فوق خصورهم المنطقة بالفشك، والمدي الحادة تلمع مسلولة في الناحية اليمنى من اوراكهم الثقيلة، وكانت نظراتهم تلتمع بلهيب الحقد اشد وطأة من السلاح نفسه، كأنهم كانوا على اهبة شن حملة ابادة على عدو خطير، وكان احمد موقنا انه سيسقط كالدجاجة في ايدي هؤلاء، بيد انه لم يكترث لذلك، انه كان يشعر انه لم يعد فريسة ذلك الخوف الثقيل، وقد يكون مرجع ذلك انه اصبح يحب الوجود والحياة بشكل جديد، فعبر الشارع دون ان يحفل بهم، وان كانت اذناه مستعدتين اكثر مما سبق لتتلقيا اي صوت يصيح به، غير انه تجاهل هذه الحقيقة، فتابع خطواته باصرار نحو المعمل، ووجهه يوحي بالريبة والعزم، وسلم من تفتيش الجنود، ولما وصل الى باب المعمل وجده قد ابتلع كل العمال، والدواليب توشك ان تتحرك قاطعة ناشرة الاخشاب على شتى الاحجام.

دخل احمد فاجتاز الدهليز القصير دون ان يكترث للمكتب المفتوح الذي يقع في منتهى الدهليز والذي يدلي فيه العمال باوراق الحضور الاسبوعية، وانتهى الى مكانه فنزع معطفه ورمى به على رف واطىء توضع عليه مختلف ادوات النجارة الخفيفة، وتبادل مع جاره الحسين تحية الصباح في ايجاز وحرارة، وانكب من فوره ينقل الاخشاب المعدة للنشر اجزاء متساوية فقربها من طاولته، وامعن فيها نشرا وتقطيعا.

شعر بحاجته الى الكلام، فاخذ يحدث جاره الحسين، هذا الرجل الصلب الغامض الذي كان يبدو له قبل اليوم يصطنع الجد حيث لا ينبغي الجد، غير ان حديثه كان مع الحسين اليوم قد اصطنع فيه من الجد ما اثار انتباه صديقه نفسه، والواقع انه حاول ان يكسب كل شيء تافه دار في حديثهما مغزى عميقا اكثر مما تحتمل تلك الاشياء ذاتها، وبغتة انعطف الحديث به هذا المنعطف الغير المتوقع فقال سائلا صديقه:

— كم احتاج من الايام لآخذ ورقة تعريف جديدة؟

— ثلاثة ايام، وهل ضاعت ورقة تعريفك؟

— نعم، البارحة، قالها باقتضاب كأنه غير حافل بشيء.

— الا تخشى مغبة ضياعها منك! انهم يحاصرون كل مكان للتفتيش عن امثالك الذين لا يحملون ورقة تعريف.

وجم احمد قليلا ثم ندت منه حركة كأنه جرح في كرامته، وقال:

— لم اعد اخشى شيئا مما تخشون، سوف لا احمل ورقة تعريف بعد اليوم.

فارسل الحسين نظراته النافذة ليتفحص صديقه احمد لاول مرة فحصا دقيقا يريد ان يقرأ دخيلة نفسه، وظل صامتا كأنما يستزيد كلام صديقه، فقال احمد:

— يجب ان التمس « هويتي الجديدة » لا هوية ورقة التعريف السخيفة التي لم تورثني الا الخوف من هؤلاء الخنازير.

ــ ومن اين تريد ان تكسب هويتك اذن ؟ مــن السجن المدني مثلا ؟ وندت منه ضحكة مصطنعة فأجاب احمد : لم اعد اخشى السجن ولم اعد بحاجة الى هوية « دار الخليفة » لانني املك بعد هويتي ولم تضع مني كما توهمت عشية امس ، وانما كنت بحاجة الى نبذ الخوف .

ــ وهل نبذت الخوف ؟

ــ اعتقد اني بحالة وعي جديد ، بعيدا عن الخوف .

ــ اذن انت عازم على فعل شيء ما ؟

اندهش احمد لهذه الجراة التي طرق بها الحسين نفسه ، لقد انقذه من حيرته المرتبكة مع نفسه ، بيد انه شعر برعدة خفيفة تكاد تشل لسانه ، فاعتزم ليقطعن كل سبيل للضعف على نفسه ، فقال وقد عرته حمى شديدة كان مبعثها حب الانتقام لنفسه :

ــ هيهات . وشعر بانه ما زال يختفي وراء كلمات الضعف ، فزاد قائلا : اذا وجدت . . وقبل ان يتمم كلامه وقف رب المعمل وهو في اثناء تطوافه على العمال وخلفه احد العمال وهو منتفخ الوجه بادي الصلف ، ولم ينس ان يبدي ارتيابه مــن حديث الصديقين في هذه العبــارات بالفرنسيــة :

ــ اعتقد ان العمل الجدي لا يسمح بالثرثرة .

واخذ اجزاء من الخشب المقطوع وقايس بعضهــا الى بعض ، ثم تابع تطوافه في اركان المعمل ، وكانمـا خشي احمد ان يقارن رب المعمل الفرنسي بعض اسرار نفسه من نظرات عينيه فتكلف اللامبالاة به .

بعد ثلاثة ايام كان احمد والحسين في معمل حقير يشاركان في اجتماع سري مع احد الفدائيين يمثل جمعية سرية للمقاومة ، وحاول احمد ان يجد في ملامح الفدائي ، وكان قصير القامة ممتلىء الجذع حاد البصر مهيب الطلعة ، حاول احمد ان يجد فيــه شيئا خارقــا للعادة كما كان يتوقع ، فلم يجــده يختلف عنــه بغيــر انتصاره على الخوف ، وايمانه بشيء جديــد يعمــل من اجله . وعجب كيف لم يقع في حبال التفتيش منذ ثلاثة ايام ان امه تعتقد ان ذلك بفضل دعواتها ، واراد ان يختبر نفســه ، وشعر انه محموم الشعور ، مشتاق للايمــان بوجوده اكثر فاكثر كهذا الفدائي للانتقام لنفســه التــي كاد ينسفها الخوف ، ولتحرير جميع مواطنيه مــن كابوس الخوف لفقدان كرامتهم ، حتى ان امه واخوتــه لم يعودوا يحتلون المكان الاول من اهتمامه بين هــذا الحشد الهائل الذي يظل بين ايدي البوليس الفرنسـي من تفتيش الى شتم ، الى سجن وتعذيب ، انهم كلهــم اخوانــه وامهاتــه .

وفي مساء ذلك اليوم دخل احمد على امه شاحب الوجه ، يجتهد في ان يخفي ارتباكه خلف اسئلة تافهة ، ثم اخذ يسترجع انفاسه شيئا فشيئا ، فعتبت عليــه امه مرة اخرى تأخره في الخارج وهو لا يحمل ورقــة « التعريف » ، ودخل اخوه البيت كالسهم وهو يصيح :

ــ لقد انفجرت قنبلة امام بائع الدخان الذي يوجد في رأس شارعنا ، ولقــد حاصر البوليــس الحي كلــه للتفتيش .

ذعرت الام ، وهبت واقفة لتحول بين ابنها وبين الخروج ، وكان قد هم به متوسلة :

ــ ارجوك يا ابني ، انك لا تحمل ورقــة تعريفك ، سيتهمونك ، ارجــوك . .

اما ابنها احمد فكان ينظر لامه بهدوء ووجهــه طافح بنور كنوز الانتصار وهو يقول لقد استرجعتها يا امــاه ، لاينبغي ان تخافي على بعد اليوم .

# الفنان المغربي والفن الحديث

للأستاذ ب . ك

الامر الذي لاجدال فيه ان كل قطر يهدف بعد حصوله على الاستقلال الى بلوغ شخصيته الوطنية وتاكيدها فى سائر المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ، ويكون السير نحو هذا التاكيد هو سير نحو التخلص من رواسب الاحتلال الاجنبي

ولكن الكيفية التي يجب ان يتم بها مثل هذا السير من الخطر ان تخضع لاعتبارات عشوائية . واختيار غير مدقق او مدروس ، ومن الملاحظ ان بعض البلدان ترتكب اخطاء كثيرة فى هذا السبيل ، منها السعي الى ابراز الشخصية الوطنية فى مظاهر عصرية مستعجلة سببه الطموح الحاد الى التخلص من الشعور بالنقص ازاء البلدان الراقية ، ويكون هذا المسعى المنحرف على حساب اهمال المقومات الاصلية للشخصية الوطنية للالاد .

ان اتجاها كهذا لايمثل الوسيلة السليمة للنهوض او التخلص من آثار التخلف ورواسب الاحتلال . واذا اخترنا واقع نهضة فن التصوير فى المغرب ووضعناه فى اطار هذه النتائج ، لرايناه للاسف يسير فى اغلبية انجازاته الحالية نحو هذه الطريق الخاطئة ، ان فن التصوير المغربي يرمي الى تاكيد ملامحه العصرية ليصبح مقارنا للفنون العصرية فى دول الغرب ، معتقدا ان استقلال المغرب والطموح الى جعله دولة راقية يبرر له ذلك .

والشيء المؤكد ان فن التصوير المغربي فى وضعه هذا انما يعكس مرحلة من مراحل بحثه عن مقوماته ، وعلى العموم فهو الآن تائه . . ضائع . . حائر ، والمشكلة الرئيسية التي تواجهه هي استغراق اكثر الرسامين المغاربة فى ممارسة اساليب الفنون الحديثة الغربية للاسباب التي شرحت آنفا .

ان اخذ التطورات العصرية والاستفادة منها بالنسبة لبلد حديث الاستقلال كالمغرب . شيء ضروري بلا شك ولكن بشرط ان تكون هذه التطورات حصيلة مقومات جدية ناتجة عن ينابيع حضارية ايجابية انسانية ومن الممكن ان تغذي اية ثقافة انسانية بغض النظر عن موطنها .

فهل الفن الحديث فى الغرب . . نتج عن تطور حضاري انساني ؟ ؟ انه سؤال لابد ان يلقيه على نفسه كل رسام مغربي قبل محاولته للبحث عن الملامح العصرية لانتاجه الفني .

ما هو الفن الحديث فى الغرب ؟ ؟ انه فن يعتمد على الاهتمام الصرف بالشكل فقط بكل ما يتضمنه هذا الشكل من عناصر لونية وخطية وتوزيعات مثيرة ، اما الموضوع . . المضمون . . الفكرة . . فيهمل ويصرف النظر عنه ويصبح عنصرا ثانويا ، وقد يهتم الفن الحديث احيانا بالمضمون من النوع الخرافي كما يفعل الفن السريالي مثلا .

والرسام الحديث يشبه فى ذلك ، البهلوان ، حيث يتلاعب بمهارة بعناصر الشكل ويلجا الى تجديدات غريبة لظواهر سطحية بعيدة عن واقع الحياة .

ما سبب هذه الظاهرة ، ظاهرة تنكر الفن الحديث للمضمون الانساني الحياتي ؟ من الممكن معرفة السبب لو درسناها فى اطار الواقع التاريخي الحالي لحضارة

الغـرب الاستعمـاري التـي هـي حضـارة الفئـات البرجوازية في الغرب والتي تحاول ان تستمر بالاعتماد على استثمار الشعوب وسرقـة خيرات بلادهـا ، ان مقومات بقاء هذه الحضارة فقـدت بالتالـي مظهرهـا الانساني ، وهذه الصفة البشعة تنعكس بصورة تلقائية على سائر منجزات تلك الحضـارة ومنهـا المنجـزات الثقافية التي يمثل الفن احد عناصرها .

ان الحضارة الانسانية التي تسعى لخير البشرية تجعل المضمون الوطني الحياتـي للفـن اساسـا ، امـا الشكل فهو وسيلة للتعبير وخاضع لمقتضيات المضمون. اما الحضارة الاستغلالية الاستعماريـة فانهـا تحطـم المضمون وتهمله وتلفظه وتكتفي بالشكل لتجعل منـه الاساس الذي تطرح بواسطته عنديانها . وهـو امـر يزداد استفحالا عندما تشرف هـذه الحضـارة علـى الانهيار وتبدا بمعاناة مخاض مصيرهـا الاخيـر . ان الحقيقة التي يدعمهـا المنطـق التاريخـي تؤكـد ان الاهتمام بالشكل واحتقار المضمون لاي نشاط انساني ظاهرة من ظواهر تحلل الحضارات التي فقدت اسسهـا البنائيـــة .

ولناخذ كمثال ، منجزات الحضارة العربية عندما احكمت عليها عصـور الانحطـاط ودخلت في عهـــود الظـــلام .

نرى الادب العربي يفقد مضمونه الحي ويصبـح بهلوانية شكلية تعتمد على التلاعب بالالفاظ واختيارها والبحث عن موسيقاها السطحية ، والمقامـات التـي اختارت سبيل السجع اللفظي نموذجـا لهذا الانحراف المؤلـــم .

بل وحتى مظاهر الحياة الدينيـة التـي كـانت منطلقا للحضارة العربية ؛ فقدت في ذلك الطور مضمونها الديني النبيل لتصبح طقوسا شكلية واوهاما خرافية وتصوفـا بليـدا .

ان كل نشاط انسـانـي للحضارة العربيـة وعلى الاخص مظاهرها الثقافية ، في عصور الانحطاط ، قـد فقد مضمونه الحياتي البناء ، وبقـي هيكلـه القشري وشكله الخارجي الاجوف يتفنن المفكرون الشكليون في تزيينـــه .

هناك ولا شك اعمال فردية قد تكون شذت عـن هذا الانحراف ، كمؤلفات ابن خلدون ، ولكنها كانت تبدو كظواهر شاذة بالنسبة للقاعدة العامة السائـدة . ان الفن الحديث في الغرب اذا فهمناه على اساس هـذا التحليل الحضاري ، واذا وضعناه في اطـار الواقـــع التاريخي الحالـي للحضـارة البرجـوازيـة للغـرب الاستعمـاري ، عرفنـا انـه تعبير عن افلاس ثقافـة وتحلل حضارة تشرف على الموت لم تعد تستجيب لمـا تحتاجه الشعوب من قيم بناءة تعينها على كفاحهـا في سبيل بناء حضارة جديدة تستمد بقاءها من التعاون والتآخي والسلام وليس من الاستثمـار والعــدوان والحـــرب .

ولكن روح الانصاف يجب ان تدفعنا ونحن ندين حضارة الغرب الاستعماري ومنجزاتها الثقافية الى ان نشير الى ناحية ايجابية من هذه المنجزات ، وهـــي التطورات التكنيكية العلمية التـي تنعكس في الفـــن الحديث بظهور اتجاه منه يعتمـد على اسس علميـــة يخضع لها تنظيم عناصر الشكل ، وهو اتجـاه مفيـد وضروري للحياة المعاصرة ، كالفن التجريدي العلمـي الذي نرى تطبيقاته متداخلة في فنون البناء والعمـار والاعلانات وطوابع البريـد واثـاث المنازل وتنظيم المعارض الدولية ولعل معرض بروكسيل الدولـي بالاجنحة التي ضمها كان نموذجـا رائعـا للتطبيقـات الايجابية للفن التجريدي العلمي .

وحتى لو استفيد مـن اساليب هـذا الفـن في منجزات فن التصوير ، فمن الضروري ان تظل هـذه الاستفادة خاضعة لمقتضيات المضمون دون ان تفقـــد كونها وسيلة للتعبيـر ولتنظيم عناصـر الشكـل في الصورة ، من توزيع الوان وتنسيق المساحات وربطهـا وتوازن محتويات المضمون ، الامر الذي يجعله اقـوى تعبيرا واصدق تاثيـرا .

من خلال هذا المنظور للفن الحديث يمكن للفنان المغربي ان يواجهه ، اي ان يواجهه عن تفكيـر علمـي تاريخي ليعرف ما يختار منه وما يلفظه .

اما اذا انغمس فيه بدون هذا الوعـي ولمجـــرد الطموح الطفلي المنحرف الى الاخذ بمظاهر عصرية للفن لها وجوه فوضوية كثيرة خادعة ، فانه بذلك سيقع اسير فوضى فنية وهستيريا مؤلمة تحطـم الاســس الانيانـة الوطنية الاصيلة لمواهبه .

ان كثيرا من المغاربة للاسف يعانون الآن هـذه الازمة ، حيث يتسارعون لممارسة وتقليد الفن الغربي الحديث دون وعي منظم علمي ، مهملين تماما المضمـون الفكري لاعمالهم جاعلين من الشكـل الاعمى اساسـا وهم بذلك يرتكبون خطأ فادحا في حق الفـن المغربـي الوطني الناشيء الذي يجب ان يعبر عن مقومات شعب يريد المساهمة الجدية في بنـاء الحضارة الانسـانيـة الجديدة التي تنشط الشعوب من اجل ابراز معالمها .

ان الفنانين المغاربة يرتكبون خطأ فادحا في حـق ثقافة بلادهم بارتمائهم غير الواعي في غياهب اتجاهـات فنية حديثة تعكس انهيار حضارة يغذيها الاستعمار .

ان المضمون الحياتي الواقعي ضروري جدا للفن المغربي في مرحلة الجنينية الحالية .

ان ثقافة الغرب الآن نتيجة لتحلل النظام الـذي تقوم عليه . تعاني تمزقا عميقا وامراضـا مستعصيـة ، وهي في امراضها هذه تتقيا كثيرا من القيم الثقافيـة والفنية المخربة وقليلا من القيم الجدية الايجابية .

والفنان المغربي الذي يبحث ( العصريات ) ويريد ان يبدد مواهبه البكر في الملامح الفوضوية المظلمة للفن الحديث ، يشبه انسانا يريد أن يتغذى من قيء كائن يحتضـر .

وبعد . . فانها حقائق مؤلمة اوحى بها المعـرض الاخير للرسامين المغاربة الناشئيـن الذي اقيم في الرباط ، والذي كان في اغلب الاعمال التي ضمها احتفالا مريرا بالوجوه المظلمة للفن الحديث .

---

### مـن تامـلات « كانـط » الفنيـة

ليس الفن تمثيلا لشيء جميل ، بل هو تمثيل جميل لشيء من الاشياء تبدو الطبيعـة جميلة حيـن تترك في نفوسنـا اثـر الفـن .




**(1) فـي المغـرب**

**فى فبرايـر** من العام الماضي ، انشأ نفر مـن المعنيين بشؤون الفكر والثقافة ، وفيهم مغاربة وعرب مقيمون بالمغرب ، وبعض الاجانب من ابنـاء الاقطار المجاورة للبحر الابيض المتوسط ، هياة باسم « النادي الثقافي » لسواحل البحر الابيض المتوسط ، ومن اسم هذه الهياة يمكن ان نتبين الاهداف التـي تتوخاها والمعالم التي تلتزمها ، وربما الحوافز التـي عملت على تاسيسها ايضا ، فهي تستهدف العمـل المشترك بين سكان البلاد المتاخمة للبحر الابيـض المتوسط ، وتبـادل النشاط الثقافـي ، وهي تنظـر الي الثقافة ، نظرة موضوعية مجردة عن جميع المؤثرات التي لا تتصل بموضوع الثقافة نفسها ، الا ما يكـون قائما على الاعتبارات الجغرافية الاقليمية ، وهـذه الاعتبارات ذاتها تكيف نظرتها الى الثقافة من حيث موضوعها ، ولكنها تحدد المدى الذي تراه مجالا صالحا لان تستوحيه تاريخيا او واقعيا من حيث مشاهده او حاجاته الثقافية ، والذي ترى ان تقيم منه الرابطة او الوشيجة المعينة لطبيعة تاليف هياتها وتعاون اعضاء هذه الهياة .

وعقب تاسيسها وخلال الموسم الدراسي لسنة 1960 بذلت هذه الهياة نشاطا موفورا فى سبيل الهدف الذي تاسست من اجله . فاشرفت على تنظيم عـدة محاضرات لطائفة من اعلام الفكر ، فى كل من فرنسـا وايطاليا والمغـرب امثال دوكونديالك : استاذ الفلسفة بجامعة باريس ودوفينو : الكاتب الفرنسي الاختصاصي فى علـم الاجتمـاع . وريكو استاذ الفلسفـة بجامعة باريس ودوميناك مدير مجلة الفكر الشهيرة ، وسليـم كتان الملحق الثقافي بالسفارة الايطالية بالمغرب .

وكان آخر المحاضرين فى موسمها الماضي هذا هو الاستاذ محمد الفاسي عميد جامعة الرباط ، وعقب محاضرته التي كانت عن الوزير الكاتب محمد بن عثمان اقيمت حفلة استقبال وتعارف ، حضرها لفيف مـن رجال الثقافة وانصارها بالمغرب ، وينهض نشاط هذه الهياة على جهود مكتب اداري يمثل تكوينه اهدافهـا ومنهاجها العملي ، ويتولى تسييره الدكتور محمـد عزيز الحبابي الاستاذ بكلية الاداب بجامعة الربـاط والذي كان يتولى تقديم المحاضرين الى الجمهور وادارة المناقشات عقب كل محاضرة ، وتسيير ندوات ثقافية اشترك فيها اساتذة اجانب ، وبعض طلبة الجامعة ، ونفر من المثقفين المغاربة واقيمت كجزء من البرنامج الثقافي للموسم الاول لهذه الهياة .

وقد ارتات فى هذه السنة ، ان تستهل موسمها الثاني بمحاضرة للدكتور جمال الدين الشيال استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية سابقا الـذي يتولى الان منصب المستشار الثقافي لسفـارة الجمهورية العربية المتحدة بالرباط ، وسيكون موضوع هذه المحاضرة التي تقدر ان يلقيها فى الساعة السادسة والنصف من يوم الثلاثاء 20 ديسمبر الحالي ( التاريخ للتاريخ الاسلامي ) وترجو هذه الهياة ان يتاح لها تنفيذ برنامج حافل اعدته لهذا الموسم الثقافي من محاضرات وندوات يشترك فيها طائفة من مفكري المنطقة التـي اتخذت منها مجالا للنشاط والاستلهام ، منطقة البحر الابيض المتوسط وان كان برنامجها هذا اكثر عناية من البرنامج السابق بالعالم العربي ومفكريه عامة، والمغرب ومفكريه بصفة خاصة .

وما من شك فى ان لمنطقة البحر الابيض المتوسط ظروفا واوضاعا لها من الاتصال واحيانا من التشابك ما يجعلها صالحة لان تكون طرازا من الوشائـج

الثقافية ، وما من شك ايضا فى ان ما نشا من تعارف فكري وذهني بين شعوب هذه المنطقة يشكل رحما ثقافيا لها ، ليس من الممكن تجاهله ولا من المصلحة عدم الاستفادة منه سواء للشعوب الواقعة الى الجانب الشمالي او لتلك الواقعة الى الضفة الجنوبية من هذا البحر ، بالرغم من اختلاف مستوى الفريقين الثقافي تاريخيا وواقعيا، اذ ان هذا الاختلاف لا يتيح الرجحان لاحدهما على الآخر فى المجالين معا ، فاذا كان الساحل الشمالي ارجح من الساحل الجنوبي فى التقييم الثقافي باعتبار المعادلات الراهنة ، فان للساحل الجنوبي رجحانه بقيمته الثقافية فى عهود ازدهاره السابقة ، فضلا عن ان كلا الجانبين قد وصلتهما الاحداث السياسية وصلا مكن لكل واحد منهما من ان يؤثر فى الآخر تأثيرا بالغا لامد غير قصير .

غير اننا نشعر بحاجة عميقة الى ان نستقبل بكثير من التحفظ هذا النوع من الهيئات الثقافية ذات الطابع المتاقلم على مدى يساوق بعض النزعات السياسية والاستراتيجية فى تأقلمها ، فلسنا ندري ان كان مجرد صدفة ان تتخذ هذه الهيأة منطقة البحر الابيض المتوسط مجالا لها ، وهي نفس المنطقة التي تتخذها مجالا لها بعض النزعات السياسية والاستراتيجية ، وفى وقت اخذ يلح فيه على الاذهان والاسماع ما يدعو اليه ارباب هذه النزعات وخاصة اهل الضفة الجنوبية ، من الوان التكتلات ذات الطابع السياسي او الاستراتيجي مثل حلف البحر الابيض المتوسط .

لا نريد ان نقحم بالسياسة فيما هو من صميم الثقافة ولا ان نصم بالسياسة مقاصد رجال وقفوا اهتمامهم وجهودهم على الثقافة ، ولكنا لا نستطيع ان نزعم لانفسنا ان تكون النزعات الثقافية قادرة عن التجرد عن كل مؤثر خارجي عنها وان كان لاشعوريا ، وعلى الرغم من تقديرنا وادراكنا ادراكا حسنا على ما نظن للاعتبارات التي ارتكز عليها تحديد منطقة البحر الابيض المتوسط ، كمجال وطني لهذه الهيأة ان صح هذا التعبير ، فاننا نشعر بالحاجة الى مزيد من وسائل الاقناع لكي نطمئن الى ان هذه الاعتبارات صالحة لتحديد المجال الوطني لجهاز او هدف ثقافي، لسنا ممن يؤمن بعالمية الثقافة كما نحن مؤمنين اعمق الايمان بعالمية العلم ، غير ان الوطن الثقافي فى رأينا، لا تحدده الاستراتيجية ، وانما تحدده المقومات القومية وآية ذلك ان الامتداد الفكري والثقافي الذي كان لشمالي افريقيا ، الى الشعوب الواقعة غربي وشمالي البحر الابيض المتوسط ، لم يمنع هذه الشعوب بعد ان بلغت اشدها الثقافي ، من ان تكون مصادر تفكيرها ومنابع الهامها ومحيط تفاعلها نازعة الى وسط واطراف اوربا ، بدلا من ان تنزع لو كان لذلك الامتداد ان يهيمن الى شمالي افريقيا والشرق العربي ، ما من شك فى اننا ابناء افريقيا لا نزال اكثر قابلية للاخذ عن اوربا وامريكا الشمالية منا لاعطائها ، غير ان هذا لا يعني اننا فى مستقبلنا الثقافي سنكون انزع الى الاستمرار على استلهام تلك الشعوب او حتى على مساوقتها فكريا ، اننا اليوم كما كانت هي من قبل نتلمس الطريق ولكننا مثلها يومئذ لا نبحث عن الغاية ؛ لان الغاية انما تعينها طبيعتنا طبيعة اوضاعنا ، وطبيعة تكويننا البشري والحضري ؛ ولن تكون هذه الغاية الا الانبعاث الحي الفاعل لجميع العناصر التي منها كان تاريخنا القديم ، وهذا ما يبعثنا على التساؤل ان كان اتخاذ منطقة البحر الابيض المتوسط ، مجالا للتعاون الثقافي عملا يساوق مقتضيات تاريخنا وطبيعة انبعاثنا وينبعث من صميم حاجاتنا الثقافية الصرفة .

## (2) في سبيل التطوير العلمي لسوريا

فرغ المجلس الاعلى للعلوم بالاقليم السوري ، من وضع برنامج خماسي للنهوض العلمي بهذا الاقليم، من الجمهورية العربية المتحدة ، ليوضا يساوق حاجات التنمية الاقتصادية والتطور الصناعي له ، وطبقا لهذا البرنامج فسيوفد (1000) طالب للحصول على درجات علمية عليا ، من بين الماجستير والدكتوراة فى فروع مختلفة من العلوم ، وسيجلب (270) خبيرا للاشتراك فى تنفيذ خطط التطوير العلمي فى الجامعات والوزارات ، وفى دعم المعامل اللازمة للبحوث والدراسات ، وستنشا معامل جديدة مجهزة باحدث الاجهزة واحدث المراجع على ان يتم انشاؤها خلال عشر سنوات ، وقد اعتمد المجلس لهذا البرنامج (105) ملايين ليرة سورية ، ويامل واضعو هذا البرنامج ان يساعد بعد تنفيذه على حل ما يواجهه الاقليم السوري من مشاكل فى الزراعة والري والتعدين والمواصلات واستغلال موارد الاقليم من البترول ، والانماء الصناعي ، وتحسين الخدمات الصحية ، ودعم جامعتي دمشق وحلب .

والمجلس الاعلى للعلوم هيأة انشأتها الجمهورية العربية المتحدة في اوائل سنة 1959 للعمل على حل المشاكل الصناعية والزراعية والعلمية وزيادة الانتاج القومي، والدخل العام، وذلك باحدث الاساليب الفنية، وقد بدأ العمل من اجل تحقيق اهدافه بحصر جميع المشاكل الموكول اليه حلها، ثم بحصر المراحل والادوار والوسائل التي يتخذها الى اهدافه بما في ذلك الفنيون والمعامل وطرق التوجيه والتخطيط، ثم تناول كل مشكلة من تلك المشاكل الى عناصرها الاولى، واحال كل عنصر منها على المختصين حسب اختصاصهم على ان يعملوا في تناسق وتعاون، بصورة تؤلف منهم وحدة متكاملة.

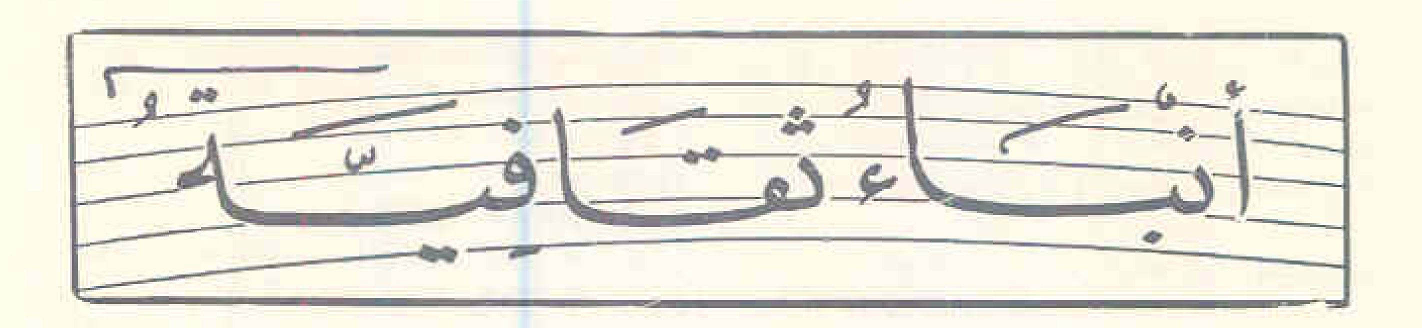
وفي اوائل سنة 1960 انشأت الجمهورية العربية المتحدة مجلسا مماثلا للاقليم السوري، وعهدت اليه بمهمة مماثلة لتلك التي يضطلع بها مجلس الاقليم المصري.

ومن قبل انشاء المجلس الاعلى للعلوم في كل من الاقليمين انشأت لكل من الآداب والفنون ثم رعاية الشباب مجلسا اعلى فيهما، ومن مجموع هذه المجالس العليا يتألف جهاز الاشراف والعمل على التطوير الثقافي والعلمي، والتخطيط الصناعي خاصة، والاقتصادي عامة لكل من اقليميها ثم وهذا امر له اهميته القصوى لتنسيق التطور القائم في كل من الاقليمين ماديا وفكريا، تنسيقا يتوخى ان تكون مراحله في نفس الوقت مراحل للالتقاء فالالتقاح فالوحدة بينهما، وبذلك يصبحان في النهاية بصورة لا تبدو الا انها نهاية طبيعية وحدة متكاملة.

وفي الخطاب الذي القاه السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، في عيد العلم الذي اقيم بجامعة القاهرة في ابتداء الموسم الدراسي 1959/58، الح على ابراز مدى حاجة العالم العربي الى طي المراحل للالتحاق بالموكب العلمي العالمي، الذي يشكل محور التقدم الحضاري للشعوب.

واذا لاحظنا ان هذا النشاط العلمي يساوقه العمل من اجل تحقيق الاكتفاء الذاتي المتمثل في الاكتفاء اللغوي علميا وذلك بجعل اللغة العربية تتسلم الهيمنة شيئا فشيئا على التدريس العلمي، وعلى العمل في مختلف ميادين العلوم، استطعنا ان ندرك الى اي مدى سيتاح لاقطار الوطن العربي الاخرى، وخاصة المتخلفة منها في هذا الميدان عن القاهرة ودمشق مثل المغرب، ان تستفيد مباشرة في انبعاثها العلمي، والجهود التي تبذلها للاسهام في نهضة العرب العلمية، اذ ان منجزات الجمهورية العربية المتحدة في هذا الميدان، ميدان الاكتفاء اللغوي علميا مع التطور المطرد ستوفر على هذه الاقطار ما يقتضيه جعل انبعاثها الحضاري انبعاثا قوميا في شكله وموضوعه من جهود لا ريب في انها شديدة الاعنات، ومن هذه الناحية تبرز بشكل اوضح واشد الحاجة الصبغة العربية الجامعة لتلك المنجزات التي تحققها دمشق والقاهرة في هذا المجال.

**محمد الحاج ناصر**




✻ يقيم حاليا فى الرباط الاستاذ محمد صادق عفيفي الذي اصدر اخيرا هو والاستاذ محمد ابن تاويت كتاب « الادب المغربي » الذي تلقته الاوساط الادبية بالترحيب . ويقوم الاستاذ عفيفي باتصالات مباشرة مع ادباء المغرب ليمدوه بانتاجهم وترجمات حياتهم فى سبيل اصدار مؤلف عن « الادب المغربي المعاصر » . وقد انتدب للتدريس فى مدارس محمد الخامس بالعاصمة . فنرجو للبحاثة عفيفي النجاح فى مهمتـــه .

✻ تصدر قريبا « دار الكتاب اللبناني » الطبعة الجديدة من كتاب « النبوغ المغربي » للأستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون وقد راجعه الاستاذ وادخل عليه تحسينا وتحويرا يناسب ما تجدد من البحث فى الموضـــوع .

✻ يستعد صاحب « دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر » ببيروت ، لتأسيس مطبعة بالدار البيضاء ، لطبع الانتاج المغربي ، وترويجه فى البلاد العربية على مستوى واسع .

✻ اعلن الاستاذ السيد عبد الكريم غلاب ، رئيس تحرير جريدة « العلم » الغراء عن اصدار كتاب له فى هذه الايام

✻ كان لصدور كتاب « المعسول » للاستاذ العلامة السيد محمد المختار السوسي ، صدى واسع فى الاوساط الثقافية المغربيـــة .

✻ اكتشف حديثا فى قبيلة بني عروس من اقليم تطوان مجموعة من دنانير ذهبية يبلغ عددها 33 قطعة ، ويعود تاريخها الى العهد المريني .

✻ نشرت الجريدة الرسمية للمملكة المغربية فى عددها الصادر بتاريخ 16 دجمبر مرسوما يقضي بمنع رواج وبيع وتوزيع وادخال الكتاب الذي يحمل عنوان « اسرائيل » الى مجموع البلاد المغربية . ويعتبر هذا الكتاب من مجموعة ميكروسكوم الفه دافيد كاطاريفاس ، وطبعه طاردي فى بورج بفرنسا .

✻ حصل على جائزة المغرب للطب فى هذه السنة الدكتور جاكوب الطبيب الداخلي بمستشفى الدار البيضاء .

✻ اتخذ وزير الانباء والسياحة المغربية عدة تدابير ، ترمي الى بعث صناعة سينماتوغرافية بالمغرب . وتقضي هذه التدابير بتحقيق ما يلي : ابتداء من سنة 1961 سيكتب الحوار السينمائي باللغة العربية على جميع الافلام الواردة على المغرب . سيفرض تسجيل العبارات العربية على جميع الافلام الناطقة باللغات الاجنبية لتعريب الحوار . وستجري هذه العملية بالمغرب . بعد الرقابة السياسية والخلقية ستعرض كذلك على هذه الرقابة من جديد جميع الافلام البسيطة او الرديئـــة .

✻ يعتزم الاستاذ حنا الفاخوري وضع تاريخ علمي للادب المغربي منذ اقدم العصور الى يومنا هذا . وقد قرر قبل ان يقوم بالخطوة الاولى ان يزور البلاد المغربية لدراسة الآثار والمخطوطات التي قد تساعده على انجاز الكتاب المذكور .

✻ سيقوم الدكتور عبد الرحمن بدوي الاستاذ بجامعة عين شمس ، والدكتور محمد البهي مدير الادارة الثقافية بالجامع الازهر ، والاستاذ محمود تيمور عضو المجمع العلمي بالقاهرة ، بزيارة المغرب ، والقاء عدة محاضرات فيه .

※ اجتمعت اللجنة التحكيمية التي عهد اليها بالنظر في القصائد والكلمات والابحاث الواردة على التشريفات الملكية بمناسبة الاعياد الثلاثة المجيدة . وبعد امعان النظر فيها اقترحت ما ياتي : **منح جائزة اولى للشاعر محمد بن علي العلوي . منح جائزة ثانية للشاعر محمد الحلوي . منح جائزة ثالثة لكل من الشاعرين محمد السيداتي بن الشيخ ماء العينين ، وابى بكر الجرنى . منح جائزة عن بحث تاريخي للملازم السيد احمد البسيرى .**

※ منحت شهادة الدكتوره الفخرية لكل من الاستاذين عباس محمود العقاد ، وتوفيق الحكيم . بعد ان كان رفضها العقاد فيما قبل .

※ تجري مفاوضات بين وزارة الثقافة بدمشق ومحمد ابن تاويت الطنجي حول تصوير المخطوطتين الموجودتين في استامبول على الميكروفيلم وارسالهما اليها . اما المخطوطتان فهما «مقدمة في النحو» لخلف بن حيان الاحمري مع رسالتين اخريتين في خزانة شهيد علي ؛ و «الادوار في معرفة النغم والاوتار» لعبد المومن المخولي الاسدي في خزانة الفاتح .

※ اقام مدير وكالة المغرب العربي للانباء الاستاذ النشيط السيد المهدي بنونة حفلة فاخرة بمقر الوكالة، وذلك بمناسبة مرور سنة على تاسيس هذه الوكالة الوطنية التي نرجو لها مزيدا من النشاط .

※ قدمت مؤخرا الى المغرب شركة فرنسية سينمائية ، وشرعت في تصوير فيلم التقطت جل مناظره في الرباط .

※ نظمت جماعة من الادباء المغاربة مهرجانا ادبيا بمناسبة ذكرى مرور ثلاث سنوات على وفاة الشاعر المهجري ايليا ابى ماضي . وقد اقيم هذا المهرجا بتاريخ 2 دجمبر في قاعة المحاضرات بكلية الآداب المغربية .

※ عقدت في يوم 2 دجمبر في اديس ابابا اول مناظرة لدراسة مختلف المشاكل الانسانية وخاصة مشاركة المراة في الحياة العامة . واشتركت فيها وفود من 25 بلدا افريقيا .

※ عقد بالقاهرة من 12 الى 20 دجمبر المؤتمر الثاني للكتاب الاسيويين والافريقيين . وكان موضوعه « ادب الكفاح لتحقيق العدالة الاجتماعية » «ودور الترجمة في التقارب الفكري والوجداني بين الشعوب »

※ اصدر الاستاذ انيس فريحة كتابا بعنوان « الفكاهة في الادب العربي » .

※ اعلنت الجمعية الجغرافية القومية ان احد الاثريين البريطانيين في متحف نيروبي في كينيا قد عثر على جمجمة يرجع عهدها الى 600.000 سنة ، ويبدو ان هذه الجمجمة هي من الآثار المتخلفة عن اقدم انسان عثر الاثريون على بقاياه حتى الآن ، وقد امكن كشف هذه الجمجمة في جهة نائية في شرق افريقيا .

※ اعلنت جامعة بنسلفانيا ان احدى البعثات العلمية التابعة لها والمهتمة بالآثار ، اكتشفت مستعمرة فينيقية قديمة على بعد 75 ميلا شرقي طرابلس في ليبيا ، وقالت ان هذه المستعمرة ترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد .

※ جائزة شوقي وقدرها 200 جنيه التي رصدها المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة لاحسن مسرحية شعرية او ملحمة قومية ، تقدمت لها خمسة موضوعات ، لم يرق احدها الى مستوى الجائزة التي تقرر حجبها هذا العام .

※ يقوم مجلس الفنون والآداب بالقاهرة بجمع آثار دوريش ، وداود حسني ، وكامل الخلصي ، وتدوينها كاملة

※ « كريستيان كولمبوس » هذا اسم كتاب الفه صامويل اليوت موريسون ، ونقله الى العربية الاستاذ فوزي قبلاوي .

※ « تاريخ الزراعة القديمة » اول دراسة من نوعها باللغة العربية نشرها في كتاب ضخم اخيرا الاستاذ عادل ابو النصر .

※ اصدرت منشورات فرانكلين طبعة من كتاب « مغامرات الافكار » للفيلسوف نورث وايتهد الذي ترجمه الى العربية الاستاذ انيس زكي حسن

* احتفل بالقاهرة مؤخرا باليوبيل الفضي لتأسيس المسرح القومي بها .

* اصدرت وزارة الاوقاف بالقاهرة مجلة شهرية باللغة الانجليزية واخرى بالفرنسية .

* ستقوم الدار القومية للنشر بالقاهرة باعادة نشر كتب المازني في سلسلتها « كتب قومية » .

* يحتفل في هذه الايام بمرور 1100 سنة على وفاة « ذو النون الاخميمي » الرائد الاول في ميدان التصوف الاشراقي في مصر في القرن الثالث الهجري .

* يقوم انور الجندي باعداد دراسة عن معالم الادب العربي المعاصر في خمسة اجزاء .

* انتخب عشرون عضوا جديدا في المجمع اللغوي بالقاهرة .

* سيطلق اسم الفنان احمد صبري على احد شوارع القاهرة .

*** قررت الجامعة العربية اعتمادا قدره ثلاثة آلاف جنيه للمساهمة في نفقات حفظ التراث الموسيقي العربي الاندلسي الذي اصبح مهددا بالتلاشي والضياع، وذلك بسبب وفاة اغلب حفاظه .**

* ستصدر مدام فيفي تيكهولم استاذة علم النبات بكلية العلوم بالقاهرة كتابا بعنوان « المسيحية في مصر » .

* اصدر القاص السوري عدنان الداعوق مجموعة قصص بعنوان « زرقاء » وذلك في منشورات دار الكرنك بالقاهرة .

*** في شهر ابريل من السنة المقبلة سيعقد بالقاهرة مؤتمر لادباء الجمهورية العربية المتحدة .**

*** اتفقت دار « لونج مانز » للنشر في بريطانيا مع المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة على نشر ثلاثين كتابا لادباء العرب المعاصرين باللغتين الانجليزية والفرنسية لنشرها في بريطانيا وفرنسا . وستقوم احدى دور النشر في النمسا بترجمة هذه الكتب نفسها الى اللغة الالمانية ونشرها في النمسا . والكتب التي وقع عليها الاختيار تترجم تحت اشراف اساتذة الجامعة المختصين في الأدب .**

* كتاب « تاريخ مصر والفتح العربي » يقوم بترجمته من اللغة الحبشية الى العربية الدكتور مراد كامل

* تقوم لجنة التبادل الثقافي والترجمة بالقاهرة بطبع المقالات الانجليزية التي كتبها مرسي سعد الدين وسجل فيها النهضة الثقافية في مصر .

*** تالفت لجنة في القاهرة باشراف وزارة الثقافة لوضع خمسة معاجم عربية مختلفة تساعد الكتاب في الاسلوب والمعاني اللغوية .**

* اصدرت منشورات فرانكلين طبعة رابعة تولتها مكتبة النهضة العراقية ودار الحياة اللبنانية للترجمة العربية من كتاب « مغامرات الافكار » للفيلسوف الفرنورث وايتهد . وقد كان لهذا الكتاب اثره في الحياة الاوربية والامريكية عند صدوره . ومترجمه هو الاستاذ انيس زكي حسن .

* نقل الى العربية كتاب هارولد لامب عن سليمان القانوني بقلم محمود نديم .

* تؤلف مفيدة عبد الرحمن كتابا عن تاريخ دخول المراة مهنة المحاماة وتطورها في المهنة والاعمال القانونية .

* رشح اساتذة الادب في جامعات الجمهورية العربية المتحدة الدكتور طه حسين الى جائزة نوبل لسنة 1961 .

* سافرت بعثة مكونة من عدة اساتذة من الاقليم الجنوبي للجمهورية ع. م. الى روسيا لدراسة الاقمار الصناعية والصواريخ لمدة خمس سنوات .

* « الغاب المسحور » ديوان جديد للشاعر نجم الدين الصالح عضو مجلس الامة ، وقد ظهر اخيرا في القاهرة .

※ انتهى حسن نديم من مراجعة ترجمة ( التربية العاطفية) لجستاف فلوبير الذي تصدره وزارة الثقافة بالقاهرة .

※ « فصول من الثقافة المعاصرة » كتاب جديد لمحمد عبد المنعم خفاجي تناول فيه الوانا مختلفة من الثقافة المعاصرة وسير الادباء المعاصرين في العالم العربي .

※ « الخواطر والسوانح » كتاب من عيون الادب العربي صدر حديثا . وهو من تاليف ابن ابي الاصبع بتحقيق وتقديم الدكتور حفني شرف .

**※ تطبع دار المعارف في سلسلة نوابغ الفكر العربي حلقة عن جمال الدين الافغاني بقلم محمود ابوريه .**

**※ انتهى الدكتور سامي النشار من تاليف كتاب بعنوان « نشأة التفكير الفلسفي في الاسلام »**

**※ تعني دار احياء التراث بوزارة الارشاد القومي بالقاهرة بنشر الاجزاء التي توقف نشرها من كتب « التراث » والتي نشرت بعض اجزائها مثل « النجوم الزاهرة » و « نهاية الارب » و « مسالك الابصار » وكذلك بجمع التراث الذي لم يسبق نشره من ديوان البارودي ، ونشر معجم التهذيب للازهر ، وسيصدر منه جزءان ، وهو اصل من الاصول التي اعتمد عليها معجم « لسان العرب » .**

※ « ادب المعتزلة » دراسة عن ادب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري وتأثرهم بالثقافة اليونانية ومدى انطباعات هذه الثقافة على الانتاج الادبي . سيظهر قريبا هذا الكتاب .

※ « روبرت بروك شاعر الحب والسلام » هذا هو عنوان الكتاب الجديد الذي الفه الاستاذ كمال الحناوي . وقد جمع فيه المؤلف قصائد الشاعر بروك وقدمها بدراسة عن شعره . وقد عاش الشاعر المذكور خلال فترة الحرب العالمية الاولى وكتب اروع قصائد الحب والسلام .

※ قررت وزارة الثقافة بالقاهرة شراء خمسين في المائة من انتاج الادباء الناشئين بعد عرضه على لجنة مختصة .

**※ رخصت جامعة الازهر لفتاة اميركية متابعة دراستها بها . وقد اعتنقت هذه الفتاة الدين الاسلامي منذ بضع سنين ، ثم تفرغت لدراسة اللغة العربية دراسة عميقة . واستبدلت اسمها الاميركي «فرديكا» بالاسم العربي « خديجة » . وقد قرر الشيخ محمد شلتوت عميد الجامعة المذكورة ان يخصص لها اساتذة يلقنونها الدروس على حدة ، حتى لا تختلط بالطلاب الذكور ، وذلك صيانة لتقاليد الجامعة .**

※ اصدرت الجمهورية ع . م . طابع بريد بمناسبة المساعدة التي قدمتها اليونيسكو لحماية آثار النوبة .

※ ستؤسس في القاهرة دار اوبرا جديدة بعدما ادت الدار القديمة وظيفتها في خدمة الثقافة الفنية زهاء تسعين عاما .

※ تم التعاقد بين الناشر الايطالي والدكتور حامد ربيع استاذ العلوم السياسية المساعد بجامعة القاهرة على نشر مؤلفين خلال هذا العام . الاول بالايطالية « كارل ماكس من الخرافة الى الحقيقة » والثاني « الصراع حول قناة السويس لعام 1956 واثره في التطور المعاصر للاستراتيجية السياسية » .

※ يعد الدكتور محمد مندور كتابا جديدا بعنوان « فنون الادب » يناقش فيه النظريات الادبية التقليدية ازاء فنون الادب المختلفة .

※ استقال انور المعداوي من عمله بوزارة التربية والتعليم بالقاهرة ، تمهيدا للتفرغ الذي وافقت عليه الوزارة المذكورة .

※ « محاولة لفهم الشعر الحر » كتاب جديد يعده الناقد علي شلش .

**※ اصدر الاستاذ احمد حسن الزيات كتابا جديدا بعنوان « عبقرية الاسلام » وضعه على غرار الكتاب الذي الفه شاتوبريان عن « عبقرية المسيحية »**

※ اشترى الدكتور محمد يوسف نجم استاذ الادب بجامعة بيروت 17 مسرحية مخطوطة كان فقيد الفناء سلامة حجازي يقدمها على مسرحه .

※ تلقى الموسيقار محمد عبد الوهاب خطابا من الحكومة السينغالية تطلب منه فيه ان يقوم بتلحين النشيد القومي للسينغال .

**※ بدأ في هذا الشهر بالقاهرة تنفيذ مشروع اختصار حروف الطباعة العربية .**

※ يعد الدكتور عثمان امين كتابا عن الفن من وجهة نظر فلسفته . سيتناول فيه بيكاسو ، والمدارس التجريبية ، كما سيتناول الفن الشرقي ، وسيشرح معنى الرقص الجواني والبراني .

※ منذ يومين خلا مقعدان في المجمع اللغوي بالقاهرة ، احدهما كان يشغله المرحوم حايم ناحوم والثاني المرحوم الشيخ ابراهيم حمروش .

※ قريبا تصدر الترجمة العربية لبعض القصص الالمانية الحديثة ، ومنها « موت الاعزب » و « امرأة ورجلان » وتصدر معهما مقدمة تقدية بقلم الدكتور طه حسين .

**※ تفسيرات جديدة للقرآن الكريم يعدها الآن الشيخ امين الخولي .**

※ عين الدكتور طه حسين نائبا لرئيس مجمع اللغة العربية لمدة اربع سنوات .

※ منحت لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة 300 جنيه لورثة المرحوم ابراهيم المازني مقابل نشرها لديوانه .

※ « السلطان الحائر » هو عنوان المسرحية الجديدة التي أصدرها توفيق الحكيم .

**※ احتفلت الاندية الثقافية بدمشق بزيارة الكاتب الجزائري مالك بن النبي لها .**

※ صدر في دمشق العدد الاول من مجلة «النغمة» وهي مجلة شهرية ثقافية .

※ تمكنت بعثات التنقيب عن الآثار التي تعمل بالقرب من قرية اللطامنة في شمال محافظة حماه في سوريا من العثور على كهف اثري له قيمة كبيرة في حوض نهر العاص ، يرجع عهده الى حوالي 135 الف سنة ق . م .

※ اعلنت دائرة الآثار السورية ان بعثة آثار بريطانية اكتشفت مدينة ارامية عمرها ثلاثة الاف سنة في شمال سوريا . وقد عثرت البعثة التي ترعاها جامعتا لندن ، وسيدني ، على المدينة القديمة تحت مرتفع يدعى « تل رفعت » في منطقة عزاز ، في مواجهة الحدود التركية . وقد اتضح ان المدينة تدعى «اربد» وهي احدى العواصم الارامية التي يعتقد أنها بنيت في الالف سنة ق.م. وخلال القرن التاسع على الارجح . ويتوقع ان يلقى اكتشافها ضوء على التاريخ الارامي في وادي الفرات .

**※ قرر المجلس الاعلى للشؤون العلمية في دمشق وضع تصميم خماسي للتربية والتعليم في الاقليم السوري .**

**※ صدر في بيروت كتاب « غرائب اللغة العربية » بقلم الاب رفاييل نخلة اليسوعي يبرز فيه كل غريبة في لغة الضاد .**

※ تعد نقابة الصحافة في لبنان العدة لانشاء معهد الصحافة في بيروت رغبة في النهوض بمستوى المشتغلين بالصحافة وتنشئة جيل جديد من الصحفيين يجمع بين العلم والعمل .

**※ قدر ما يستهلكه تلامذة لبنان من الكتب في هذه السنة بنحو 3 ملايين ونصف مليون . وما تطبعه دور النشر اللبنانية بنحو 15 مليون و 600 الف نسخة . وهذا مما يجعل لبنان عاصمة فكر وانتاج .**

※ اصدر شيخ ادباء لبنان مارون عبود كتابا بعنوان « ادب العرب »

※ اصدرت الكاتبة اللبنانية ليلى البعلبكي كتابا بعنوان « الآلهة الجديدة »

※ انتقل الشاعر نزار قباني من عمله في سفارة الصين الى سفارة لبنان للجمهورية العربية المتحدة .

* سيقام في بيروت احتفال كبير تكريما للشاعر اللبناني بشارة الخوري (الاخطل الصغير) . وقد دعا الى هذا الاحتفال الشاعر اللبناني الرمزي سعيد عقل .

* صدر في الايام الاخيرة في بيروت ديوان جديد للشاعر اللبناني الشهير سعيد عقل بعنوان « اجمل منك ؟ لا . . . » وقد صدر لهذا الشاعر حتى الآن الدواوين الآتية « قدموس » « المجدلية » « بنت يفتاح » « رندلي » علاوة على كتابه النثري « لبنان ان حكى » .

* تقوم السيدة عائدة ادريس بترجمة كتاب سيمون دي بوفوار « للعمر حكاية » ، وذلك من اللغة الفرنسية الى العربية .

* « لم يعد صدرك مهدي » قصة طويلة للاديبة اللبنانية ليلى بعلبكي ، وقد صدرت اخيرا .

*** منحت الجائزة الادبية الكبرى لرئيس الجمهورية اللبنانية الى الناقد اللبناني الاستاذ مارون عبود المعروف بـ « ابي محمد »**

* اصدر حديثا الاديب اللبناني المعروف خليل رامز سركيس كتابين بعنوان « ايام السماء » و «وصية في كتاب» ، وبالاضافة الى هذين الكتابين فقد اصدر المؤلف من قبل كتابين آخرين بعنوان « من لاشيء » و « صوت الغائب » .

* سجلت مسرحية «بنفسج» نجاحا كبيرا في اخراجها على المسارح الاوربية ، وهي من تاليف الكاتب المسرحي جورج شحادة ، صاحب مسرحيات « سمر الامثال » « حكاية فاسكو » « السيد بوبل » .

* اعلن الدكتور عوني الدجاني مدير الآثار الاردنية اكتشاف مقبرة بيزنطية في منطقة الخليل والعثور على تماثيل كبيرة للمسيح على الصليب ، وقال الدكتور الدجاني ان الحفريات في البتراء في جنوب الاردن ستستأنف لمدة ثلاثة اشهر بالتعاون بين دائرة الآثار الاردنية والمدرسة البريطانية للآثار في القدس . وسيحاول علماء الآثار ، الحصول على برهان بان افراد قبيلة الانباط العربية قد احتلوا البتراء ، كما انهم سيواصلون اعمال البحث في نظام حكم الانباط خلال القرن الاول بعد الميلاد ودراسة دخول الرومان البتراء ، وصناعة الفخار التي كان يقوم بها الانباط .

* توفي ببيروت المستشرق البريطاني جون فيلبي عن 75 سنة .

*** صدر في عمان العدد الاول من مجلة « رسالة المعلم » عن وزارة التربية والتعليم الاردنية . فنرحب بالزميلة الجديدة راجين لها كل توفيق .**

* اكتشف في عمان ضريح وقاروتان من الفخار وسيف ، تعود جميعها الى 3 000 سنة ق.م. في مقاطعة الزرقاء التي تبعد بـ 30 كلم الى الشمال عن عمان . واعلن الدكتور عوني الدجاني رئيس دائرة الآثار في الاردن ان هذا الاكتشاف ينفي نظرية عالم الآثار الاميركي نيلسون غلوك بانه لم تكن في عمان حضارة قبل 1 900 ق.م.

* اعلنت مديرية الآثار العامة في بغداد موافقتها على طلب تقدم به معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو لاستئناف عمليات التنقيب عن الآثار في موقع نفر بالمنطقة الوسطى من العراق . وكانت بعثة هذا المعهد قد توقفت عن التنقيب في الموقع ذاته في بحر عام 1957 . ويتوقع وصولها الى العراق لاستئناف اعمالها . ومن المنتظر ان تصل في الربيع القادم ايضا بعثة اثرية بريطانية برئاسة ماكس‌ملوان زوج الكاتبة القصصية اغاثا كريستي كما يؤمل ان تصل بعثة يابانية اثرية لاستئناف التحريات في موقع التلاثات الاشوري في شمال العراق . وتقوم الآن بعثة عراقية بتحريات في منطقة شهرزور التيستغمرها مياه خزان دربنديخان وتقول مصادر دائرة الآثار انه تبين ان بين الالواح الفخارية الثمانية التي عثرت عليها البعثة العراقية ـ وهي ترجع الى عصر حمورابي في القرن الثامن عشر ق . م .

* اوقف الشاعر العراقي المعروف محمد المهدي الجواهري نقيب الصحافيين العراقيين جريدته « الراي العام » عن الصدور . وقد تولى نجله قرات الجواهري اصدارها .

*** صدرت في بغداد مجلة ثقافية بعنوان «التضامن العراقي» فنرجو ان تؤدي رسالها الهامة**

※ اعلنت المديرية العامة للآثار العراقية ان بعثة آثار اميركية عثرت خلال هذه السنة على سبعة هياكل عظمية تعود الى العصر الحجري ، وذلك خلال قيامها بالتنقيب عن الآثار في كهوف شانيدا القريبة من رواندوز بشمال العراق . واظهر فحص العظام وغيرها من المواد العضوية ان الهياكل تعود الى 50000 سنة مضت ، ويرأس بعثة الآثار الاميركية الدكتور رالف سوليكي احد اساتذة جامعة كولومبيا .

※ ستعنى جمعية علوم الآثار اليونانية بحفريات في مقاطعة مقدونيا الغربية حيث ظهرت بعض قطع الرخام التي تعود الى حقبة خلفاء الاسكندر على اثر اعمال حفر جرت في قرية بيرفوس بالقرب من قوزاني . وبحث ايضا علماء الآثار اليونانيون والاميركيون عن بقايا مدينة « فيا » القديمة التي قامت على شاطيء البيلوبيز الغربي .

**※ تعاقدت حكومة اندونيسيا مع دار يابانية للنشر على طبع 5 ملايين نسخة من القرآن الكريم .**

※ ذكر احصاء الامم المتحدة ان الهند احدى الدول الخمس التي تعد من اكبر ناشرات الكتب في العالم .

**※ تنبأت الروائية الاميركية بيرل باك بان الصين ستصبح اعظم قوة على وجه الارض بالذكاء والحس العقلي والطاقة المتزايدة .**

※ « شعراء نجد المعاصرون » هو اسم الكتاب الذي الفه شاعر الجزيرة العربية عبد الله ادريس . ويعرض فيه الوانا مختلفة من الشعر .

※ بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الشاعر الهندي طاغور ، نشرت في موسكو مجموعة من كتبه .

**※ مائة وعشرون بعثة جيولوجية ارسلت الى جمهورية كازاخستان السوفياتية لدراسة طبقات الارض والتنقيب عن حيوانات ما قبل التاريخ .**

※ ذكرت وكالة طاس السوفياتية ان عالما سوفياتيا عثر على آثار اقدام هي الوحيدة من نوعها في العالم لحيوان الدينا في واد يقع في منطقة بامير .

وقالت الوكالة ان الخبراء في موسكو يعكفون على دراسة صور هذه الآثار ويعتقدون انه حيوان يبلغ وزنه ثمانية عشر «طنا» وهو من نوع الديناصور الذي عاش قبل 200 مليون سنة .

※ في 11 نوفمبر الماضي مرت على وفاة الكاتب الروسي الكبير ليون تولستوي خمسون عاما . وبهذه المناسبة احتفلت روسيا والعالم الادبي بهذه الذكرى .

※ نشرت صحف القاهرة ان عميد جامعة الازهر سيزور موسكو في السنة المقبلة ، تلبية للدعوة التي وجهتها اليه اكاديمية العلوم بها .

※ عثر الدكتور عمانوئيل فلاك عضو بعثة علم الآثار التشيكوسلوفاكية على نسخة من كتاب نادر يعود تاريخه الى القرن الثامن عشر ، وذلك في احدى مكتبات جامعة اللاما بهاغان ، ويتضمن الشروح الوافية والاوصاف عن مختلف الحيوانات وعلى الاخص رسوم واوصاف رجل الجليد ، ويتحدث الكتاب كذلك عن رجل جليد ، وجدت اقدامه مرارا دون ان يتمكن احد من القاء القبض عليه . وهذا يثبت وجود هذا الانسان في اراضي آسيا .

※ احتفلت المانيا بذكرى فيلسوفها الكبير ارثر شبنهاور ، وذلك بمناسبة مرور مائة عام على وفاته .

※ اكتشف الدكتور محيي الدين الشناوي في برلين مخطوطة عن رسالة « ابن النفيس » في الطب ، الذي يعد اول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى في الانسان قبل الانجليزي هارفي بقرنين .

**※ نظمت كلية الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية بستراسبورغ مناظرة حول الحماية الدولية لحقوق الانسان بمناسبة الذكرى العاشرة لامضاء الاتفاقية الاوربية لحقوق الانسان ، وشارك في هذه المناظرة عدد كبير من علماء القانون والمحامون من مختلف انحاء العالم .**

※ احتفلت برلين الغربية اخيرا بمرور عشر سنوات على اهداء « جرس الحرية » الى مجلس برلين ، تقديرا لكفاح العاصمة الالمانية من اجل الاحتفاظ بحريتها وسلامتها .

*** ترجمت المستشرقة الالمانية انا ماري شيميل مقدمة ابن خلدون الى اللغة الالمانية .**

*** بعث خمسون كاتبا فنلنديا رسالة احتجاج الى وزارة الثقافة الفرنسية على اضطهاد موقعي المنشور الشهير بشان الجزائر**

* اصدرت سيمون دى بوفوار كتابا جديدا عن الممثلة « بريجيد باردو » تناولت فيه التركيب النفساني للنساء .

*** اوصى المؤتمر الثقافي الفني لدول البحر الابيض المتوسط الذي عقد في ايطاليا بانشاء مدينة لادباء المنطقة وعلمائها وفنانيها في احدى دول البحر الابيض المتوسط .**

* قررت محكمة لندنية بعد مناقشات سرية منع خادم الاميرة مرغريت السابق ، السيد جوهن دافيد باين من نشر اي شيء سواء باسمه الخاص ، أو السماح لغيره بنشر مقالات عن العائلة المالكة ؛ وذلك بناء على طلب قدمته الى المحكمة الملكة الأم ، كما منعت المحكمة خادم الاميرة البريطانية السابق من اعطاء اية ارشادات للصحافة عن العائلة المالكة . وصرح السيد باين الذي له حق طلب الغاء هذا القرار بانه في ظنه لايؤثر على نشر مذكراته في فرنسا والمانيا . ويلاحظ أن جريدة « فرانس ديمانش » التي نشرت القسم الاول من مذكرات باين تباع الآن في لندن .

*** اصدر الكاتب الانجليزي فيليب تودى كتابا في منشورات « هامشهاملتون » الانجليزية عنوانه « قضية سارتر » تناول فيها بالبحث موضوع التهمة التي استدعى لاجلها الفيلسوف الفرنسي سارتر الى المحاكمة بسبب دفاعه عن الجزائر . ولاستجوابه عن البيان الذي وقعه مع كل المثقفين والادباء الفرنسيين احتجاجا على سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر .**

* ظهر في لندن اخيرا كتاب جديد بعنوان « ثورة في الجنة » يروى قصة امراة كافحت لتحرير اندونيسيا ، الفه الكاتب الاندونيسي كاتوت تانتري .

* نسخة واحدة من كتاب قديم بيعت في هذه الايام بانجلترا بمبلغ 11 الف جنيه استرليني . وترجع اهمية هذا الكتاب الى انه اول كتاب طبع في اكسفورد سنة 478

* تعاقدت شركة بارامونت مع تشرشل على انتاج فيلم عن الكتاب الذي أرخ فيه لفترة شبابه . وكذلك المجلدات الاربعة من كتابه « الازمة العالمية » .

*** قررت الولايات المتحدة ان تقترح تخصيص مبلغ ايضافي من المال قدره مليون دولار للنهوض بالبرامج التربوية والثقافية التي تقوم بها منظمة اليونيسكو في الاقطار الناشئة .**

* توفيت في بروكلين بنيورك صاحبة جريدة « مرآة الغرب » السيدة انخلينا دياب عن سبعين سنة

* الفيلم الروسي « اغنية جندي » فاز بلقب احسن فيلم في مهرجان سان فرانسيسكو الرابع للافلام .

* اجمع النقاد الاميركيون على ان قصة جون ابديك الجديدة « اركض ايها الارنب » ، هي من اجمل بل من اعظم القصص التي ظهرت هذا العام .

*** نظمت خمس جامعات اميركية دراسات عن الشرق الاوسط هي ميشيجان ، وجون هوبكنز ، وكولومبيا ، وبرنستون ، وهارفرد .**

* اكتشفت في ارغوس عاصمة ارغوليد القديمة عدد من الاضرحة يعود تاريخها الى نحو 900 سنة قبل الميلاد ، وهي تحتوي على قطع من الخزف وادوات نحاسية وملاقط شعر ذهبية وتشرف على اعمال التنقيب اولغا الكسندرى .

# فهرس العدد الثالث ـ السنة الرابعة

الصفحـــة

الصفحة